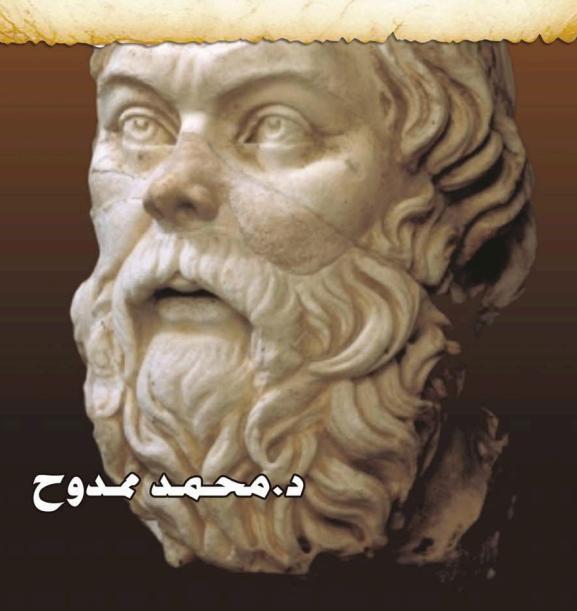


المكر المال العلق المنال العلق العلق المنال العلق المنال العلق العلق المنال العلق العل



سقراط اغتيال العقل

المؤلف

دكتور/ محمد ممدوح

دكتوراه الفلسفة اليونانية...جامعة القاهرة





جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولي 1279هـ ۲۰۱۸م

دارالكتب والوثائق القومية فهرسة اثناء النشر إعداد إدارة الشنون الفنية

ممدوح. محمد.

سقراط اغتيال العقل تأليف محمد ممدوح القاهرة. روابط للنشر وتقنية العلومات. ٧٠ ١٧.

ص١٧.٢٦٤ س تدمك: ٧-٢٨ -١٥٤٢ - ٩٧٨

أ-الفلاسفة اليونان ٢-سقر ٢ السقراطية (فلسفة) أ-العنوان ۲ - سقراط . ٤٧٠ ـ ٢٩٩ ق.م

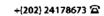
411.1

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٧١ ٢٠م



للنشير وتقنيية المعلوميات For Publishing & Information Technology

🎓 ۱۹ حسن أفلاطون ـ بجوار مستشفى عبد القادر ههمين - أرض الجوليف - مصير الجديسدة.







الإهداء

إلى أبنائى أسماء والحسين

لو علمتا كيف عانى أبوكما وهو فى مثل سنكما لعلمتما كم من نعم تتقلبون فيها...

لقد كانت حياة أبيكما ملؤها العوزمن كل شئ سوى الأخلاق.... والفقر في كل شئ سوى القناعة.... لقد كانت القرية تعيش على مآثر القدماء علوهم القناعة بأقل القليل...أو القناعة بالعدم ذاته أو أقل من العدم....

حياه ملؤها الفقر والجوع ونقص من الأموال والثمرات..... ولكن كان الصبر سمتها....والرضا بابها.... والأخلاق تتزم على ضفافها.... وفي المقابل السمع والطاعة للكبير... فتقبيل اليد والرضا بالرأى والإنصياع التام لما يقوله الكبار دون إبداء الرأى أو أدنى مشروعية لحق التساؤل أو إعطاء فرصة للعقل للتفكير وإبداء ما في باطنه من قبول أو رفض.....كل ذلك من دلالات تلك الحياة..

حياة أقل ما يقال عنها أنها العذاب الذى يعلوه الجحيم،.... الجحيم الذى تستعر ناره ويتطاير شرره ليصل للجميع.....



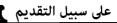


ومرت الأيام والأعوام تتوالى كل يوم أصعب من ذى قبل لدرجة أن خُيل إلى أن الله صنعنى على عينه.... فكنت أجده معى ف كل خطوة... يدفعنى دائماً للأمام،.... يفتح لى نوافذ الأمل فى غد يشرق منه النور وعلؤنى فيه النعيم ، وتختلط فيه المشاعر لأصل فيه إلى درجة لم يكن أحد يصدق أننى وصلت إليها..... لما عادت بى الذاكرة تأكدت وقارنت الأحداث وما وصلت إليه و تيقنت من أننى صنعت على عن الله....

أبنائى الأعزاء لقد قابلت فى حياتى رجالاً هم بحق رجال وقابلت ذكوراً لا يستحقون سوى سوق النخاسة... اعترفت بالجميل لصاحب الجميل منهم... وحجبت نفسى عن أولئك الذين يدّعون الرجولة وهم ليسوا منها فى شئ

أما اليوم وبالمقارنة بتلك الأحداث فقد توفر لكم من كل أسباب النجاح والسعادة ورغد العيش ما لم يذق طعمه أبوكما قبل أن يراكما.... فأصبحتم أنتم الأمل.... وأصبحتم أنتم الألم.... كل ما يحدوني أن تحققا مجدا تهيأت لكم أسبابه وأن تسيرا على درب أبيكما لتصنعا مستقبلاً أعددتكما له.... هل تشكرا هذه النعم وهل تغتنما تلكم الفرص التي لم تواتي أباكما لتصبحوا صناعاً لمستقبل أرى سنا ضوءه وأراه من المحسنين قريب.... تلك هي أمنتي وذاك هو رحائي الذي آمل أن تحققاه....

دكتور / محمد ممدوح



5

شكر وتقدير

أبى وأستاذى الأستاذ الدكتور مصطفى حسن النشار منكم أستمد وجودى ومن علمكم أستمد قطرات أراها تعيننى على الحياة ومن بحر عطائكم أزخر بعطاء العقل والروح معا فلا روحى تشبع من وجودكم ولا عقلى يستوعب قدر فلسفتكم فلتقبل منى عملاً أراه متواضعاً إلى جواركم ولكنه في النهاية ثمرة غرسكم

حفظكم الله أستاذي وأطال في عمركم

ابنكم / محمد ممدوح



على سبيل التقديم



«سقراط، سقراط... لا أجد وصفاً لك سوى أنك رجل.. وما أعظمك عندما تجسد الرجولة» (1).

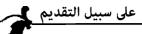
في البداية، يخاطبنا ديكارت بلغة العقل، تلك اللغة التي لأجلها فُضل الإنسان، وذاك العقل الذي به كُرم الإنسان، ليقول لنا في عبارات علوها الوضوح والقوة «إن الفلسفة وحدها هي التي تميزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، وإنها تقاس حضارة الأمة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها، ولذلك فإن أجّل نعمة ينعم بها الله على بلد من البلاد هي أن يمنحه فلاسفة حقيقيين»(2)، ثم يوضح ديكارت أهمية التفكير للكائن الحي ودور الحكمة في الحياة بقوله «إن المرء الذي يحيا دون تفلسف لهو حقاً كمن يظل مغمضاً عينيه لا يحاول أن يفتحهما، ولا يمكن أن يقارن التلذذ برؤية كل ما يستكشفه البصر، بالرضي الذي ينال من معرفة الأشياء التي تنكشف لنا بالفلسفة إنه لا جرم أن تكون الحكمة هي القوت الصحيح للعقول، فإن الذهن هو أهم جزء فينا، وطلب الحكمة لابد



بالضرورة من أن يكون همنا الأكبر»(3)

وهذا الهم الأكبر، كان هو السمة الغالبة عند اليونانيين القدماء، البحث عن الحكمة والتفتيش عنها داخل العقول، وهو ما عبر عنه القائد العظيم بركليس بقوله «إننا ننتصر للفن، ولكننا نفعل ذلك دون تطرف، ونظاهر العلم دون أن نفقد نبل العقول»(4)

ولعل البحث عن نبل العقول، هو ما كتب لآثينا الخلود عبر الزمان، يقول مايثوأرنولد ما نصه: «إن هذا ليبين السبب في أن صورة آثينا القدمة تثر اهتماماً بالغاً في نفوس أصحاب العقول، ذلك لأنها صورة لثقافة شعب إنها ليست صورة فئة ارستقراطية تضفي من روحها السامية رونقاً على الجماهير التي تسيرها ثم تتركها كما هي دون تكوين صحيح، وما هي أيضاً بصورة دعوقراطية متطرفة جمة النشاط ولكنها عدمة الذوق ضيقة العقل مفتقرة إلى النبل، إنها صورة طبقات دنيا ومتوسطة ارتقت بإنسانيتها إلى أرفع الفنون ولم تقنع بأقل من هذه الآثار، وإنك لتسمع خلال المناقشات التي سجلها أفلاطون وتلك التي أوردها زينوفون الـواقعي، وهـي مسـاجلات أصـبحت مـثلاً يحتذيه أبناء العالم المثقف أجمع عندما يبحثون الأداء المختلف في مناقشات حرة مهذبة، إنك لتسمع في هذه المناقشات صوت



أصحاب المتاجر والحوانيت من سكان أثينا، فإذا لم يكن الإنسان دعياً فإن في مقدوره أن يتبين من هذا السبب الذي جعل حفنة من الآثينيين عاشوا منذ ألفى سنة يثيرون اهتمام أكثر من ملايين الناس في أكثر الأمم المعاصرة»(5)

وفي خضم هذه الصورة المشرقة التي يولد فيها الفكر والفن والفلسفة، وتنصهر جميعها في ثوب واحد، يطالعنا رجل، يبدو وكأنه جاء برسالة تخاطب العقل أينما حل أو ارتحل، ينادى في بنى قومه بأعلى صوته قائلاً: «بنى آثينا، إن البحث في الطبيعيات والكون لن يقدم أو يؤخر، فلتنتبهوا إلى دراسة الإنسان، ذالكم المخلوق الذى هو سيد هذا الكون بأسره» خرج هذا النداء من سقراط، ولا شك أن الجميع قد سمعه، فمن مؤيد وموقن بصحة موقف الرجل، ومن معارض يدعى العلم والمعرفة دون أن يصل إلى أدنى درجاتهما، ومن مغتر جاهل لا يريد علماً ولا معرفة.

لقد قام سقراط بمجهود علمى وأخلاقى لا حد له، حيث نقب عن عناصر الجودة فيما سبقه من أفكار، وبحث فى كيفية إعادة صياغة الفكر البشرى بأسره، يقول الدكتور النشار: «كان سقراط هو الذى حول تلك الاتجاهات الفكرية المتناثرة إلى فلسفة محددة المعالم، وإليه يرجع الفضل فى كل التطورات. التى تمخضت عنها هذه الفلسفة فقد أثرت شخصيته النفاذة فى



أقوام أخص ما يكونون تبايناً في طباعهم وأخلاقهم، من أرائه اشتقت أفكار واستخلصت نتائج جد متعارضة فيما بينها من الناحية المنطقية ومن الواضح أنها جميعاً مستمدة من شخصية سقراط»(6)

نعم، لقد كانت حياة سقراط العملية جزءاً لا يتجزأ من فلسفته النظرية، فقد كان مثالاً بحق للفيلسوف الذي يفعل ما يقول، وفضلاً عن ذلك، كان هو المنوط الأول بتغيير مسار الفكر الإنساني في عاصمة الفكر والفلسفة، إذ لفت الأنظار إلى دراسة الإنسان، وليس النجوم والشجر، يقول شيشرون: «على يد سقراط نزلت الفلسفة من السماء إلى الأرض واندست في البيوت والأسواق» (7).

ولكن معضلة كبرى تواجه من يبحث في سقراط، تلك المعضلة هي أنه لم يكتب شيئاً ولكن كُتب عنه، وكُتب باسمه، ولم يُدر مدرسة، ولكن المدارس كانت تدعى سقراطيتها، وبالتالي فالمعضلة تتمثل حقيقة في قول المدكتور النشار: «إن من أعجب طرائف التاريخ الفلسفي أن هذا الفيلسوف الذي اختار بإرادته حياة يملؤها النقاش والتحاور الشفهي ولم يكتب شيئاً من ذلك، هذا الفيلسوف شاء قدره أن يكون أول من تصلنا حياته وأفكاره كاملة عبر كتابات الفلاسفة والمحرورين من تلاميذه ومحبيه لدرجة أن الصعوبة

الحقيقية التى تواجه من يؤرخ له هى: كيف عيز بين الحقيقى والزائف فيما قبل أو كُتب عنه»(8).

ثم تتوالى العقبات، يتبع بعضها بعضاً، حيث معضلة النبوة، هل كان سقراط نبياً ذا وحى؟ أم أنه كان يشعر فقط بأنه صاحب رسالة، وعليه أن يؤديها، وهل من دلائل على نبوة سقراط؟!

ثم تأتى معضلة المعرفة والفضيلة، وما الذى أراده سقراط من وراء تلك الإشكاليات جميعها? وما السر وراء سؤاله، الذى لم يكن ينتهى أبدا إلى إجابة محددة، بل كان يفند ما يلقى إليه من إجابات ويثبت خطأها ثم لا يقدم ما يراه هو من صواب، ولكنه يترك العقل ليتحير، وكأنه لا يفعل شيئاً سوى أنه يحير العقل بتساؤلاته دون أن يشق على نفسه في إيجاد أى إجابة.

وكنتيجة حتمية لتلك المعضلات جميعها، سيق سقراط إلى المحاكمة بتهمة الإلحاد وإفساد الشباب...

وكم كان المدّعون ضد سقراط أذكياء في شكل الدعوى أغبياء في مضمونها، أما ذكائهم فيأتى من اختيار أشخاص مقيمي الدعوى حيث أحدهم خطيب والآخر شاعر والثالث صانع ورجل أعمال، وكأنهم أرادوا أن يصوروا للرأى العام العالمي، أن آثينا كلها تقف ضد سقراط، نعم، آثينا الدولة، بحكومتها وقادتها وشعبها، كلهم في خندق ضد سقراط.



وقد أفلحوا ولو إلى حين فى رسم تلك الصورة، ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً فى اختيار بنود الإتهام، لأن سقراط بأقل مجهود يذكر أثبت لهم خطأ دعواهم وكذب افترائهم، وبالإجمال أثبت لهم جهلهم أمام الجميع.

ولكن القرار كان قد أشبع طبخاً في معامل السياسة الآثينية، وصدر الأمر للمحكمة قبل انعقادها للمحاكمة بضرورة التخلص من سقراط...

ثم، على إثر تلك المحاكمة مباشرة كتب لسقراط الخلود، فلم تمض سوى لحظات عقب ذلك الإغتيال الأثيم، وبعد أن شرب سقراط سم الشوكران، حتى نشأ بين عشية وضحاها نوع من الأدب الحقيقى، الأدب الثرى، فهذا يصف اليوم الأخير، وذاك يصف الدفاع، وثالث يصف خلود الروح، ورابع يتخيل ما كان ينبغى أن يقوله سقراط، وخامس يحلل المأساة، وسادس يبحث عن الأسباب الحقيقية وراء الاغتيال، وسابع وثامن وعاشر.

وهكذا، سيظل سقراط هدفاً للأقلام إلى قيام الساعة ، لأن دماء الشهداء تصنع المجد والخلود لأصحابها، تصنع ما لا يستطيع الساسة بسياستهم أن يصنعوه، وما لا يستطيع الأبطال بسيوفهم أن يصنعوه، إنها تصنع الخلود، ذاك الخلود الأبدى الذي يستمر في ذاكرة التاريخ إلى أن يغدو لا تاريخ، وإلى أن يصبح



الكون لا كون، ويصير الجميع هناك حيث لا هناك.

بالاختصار، إنه الخلود، ولا شئ أروع من ذاك الخلود في ذاكرة الإنسانية إلى أن تنتهى تلك الذاكرة من التذكر.

ذاك هو سقراط، وذاك هو ما صنعه.

صنع ذاك المجد عبادئه العظيمة، وقيمه الخالدة، ومواقفه الثابتة، ثم أخيراً، رفضه حياة رخيصة على حساب هتك لقانون أو عصيان للدولة.

نعم، لم يكتب سقراط شيئاً، ولكنه كُتب في القلوب بهاء الخلود.. ولم يترك سقراط نصوصاً كثيرة، بل إن إجمالي ما قاله لا يتعدى الكتاب الواحد.. ولكن حول هذا الكتاب الواحد تعددت الكتب، فمن مفسر، ومن شارح، ومن مجتهد، ومن مؤول، ومن متشيع مدعى السقراطية.

ولكن ما يؤلم النفس حقاً، أن ما كتب عن سقراط لا يفيه حقه، إذ لم يعش أحداً ممن كتب عن سقراط تجربة سقراط، ولم يعاني الآلام الجسدية والمرارة النفسية التي عاناها سقراط، تلك الآلام التي كان يجد سعادته في معاناتها، وفي تحمل مرارتها، فلا نجد أحاديثهم سوى قشور ليس من ورائها لباب، وليس ورائها ما يغنى أو يسمن من جوع.



ومن هنا يأتى هذا العمل ليشق منهجاً أراه جديداً، ليبحث عن الأزمات الحقيقية التى عاناها سقراط، وليحاول أن يتعرف على الأسباب الحقيقية وراء اغتيال سقراط، ثم يقف عند الأتباع والمحبين.

إجمالاً، لقد حاولنا تقديم رؤية - لا أدعى لها الكمال - ولكن سعيت لأن تكون مقبولة على أقل تقدير، داخل الأوساط الفلسفية، ولعلى بذلك أكون قد وفيت ولو جزءاً يسيراً من حق أستاذ عظيم بحجم سقراط، على كل عشاق الفلسفة فى كل زمان ومكان، وفى الطبعة الثالثة لهذا الكتاب مايدل على استقبال القارئ العربى له بما يليق بسقراط من ناحية، وبما تكشف عنه تلك الدراسة من جوانب مختلفة فى فكر سقراط تهيط عنها اللثام من ناحية أخرى، وبما يؤكد حاجة البشر إلى الفلسفة الحقيقية من ناحية ثالثة... فسلام على هذا الرجل العظيم، حتى تلتقى الأرواح بالأرواح فى مستقر رحمات أظنها قريبة، من الرحمن الرحيم، رحمات تليق بالمحسنين، وما أرى سقراط إلا أعظم المحسنين.

المؤلف

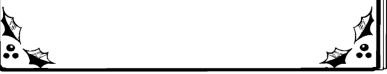
المنصورة في العاشر من يونيه 2017م.

هوامش المقدمة

- (1) محمد ممدوح، سر السؤال السقراطى، بحث منشور بجلة تطوير، جامعة سعيدة - الجزائر، ص131.
- (2) ديكارت، مبادئ الفلسفة، نقالاً عن د. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، سلسلة مشكلات فلسفية، مكتبة مصر، القاهرة، ط3، سنة 1967م، ص6.
 - (3) نفسه، المقدمة، ص6.
- (4) نقلاً عن بيرنز، (دليـل)، المثـل السياسـية، ترجمـة لـويس إسـكندر، مؤسسة كل العرب، القاهرة 1964م، ص50.
 - (5) نقلاً عن بيرنز، نفسه، ص53-52.
- (6) د. مصطفى النشار، مدخل إلى الفلسفة السياسية والاجتماعية، دار المسرة، عمان، الأردن، 2012م، ص117.
- (7) نقالاً عن وولف (فرانسيس): سقراط، ترجمة منصور القاضى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص17، ص14.
- (8) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002 م، ص103.



الفصل الأول الخلفية التاريخية





تمهيد



لقد استقرت في أعماق عاشق الفلسفة فكرة أنه لا يمكن الفصل بين الفيلسوف وبيئته التي عاش فيها، وتفلسف لأجلها، وكانت هي الأرض الخصبة التي أنبتت فكره، فهو متأثر بترابها، عاشق لطبيعتها، غاضب لما ألم بها من أحزان، يحاول بكل ما أوق من قوة أن يعبر فوقها ببلده إلى شاطئ الأمان الذي يرتأيه مناسباً لها.

وهذا الأمان الذى يبحث عنه الفيلسوف بعقله لابد وأن يتأثر بثلاثة مؤثرات رئسية كالتالى:

- 1) بيئته التى نشأ فيها من كافة النواحى، الجغرافية، والسياسية، والفكرية.
- 2) أسرته التى تربى فيها ومحيطه الاجتماعى، فابن الريف مثلاً يختلف في طريقة تفكره عن ابن المدينة، وهكذا.
- 3) طبيعة الشخصية المفكرة ذاتها، هل هى شخصية متدينة أم لا،هل هى شخصية اجتماعية أم انعزالية، وهكذا.



هذه المؤثرات الثلاثة هى التى تصنع الفلسفة،وهى التى تؤثر فى الفكر البشرى فى جميع أطواره، وهى التى تمثل الأرض المعدة لإنبات الفلسفة، وعامل الأمان الذى يبحث عنه الفيلسوف يختلف باختلاف هذه المؤثرات، ففى حين ارتأه سقراط منذ القدم فى الفضيلة، ارتأه أفلاطون فى ذات البيئة، وبذات المواصفات تقريباً فى حكم الفيلسوف، ثم ارتأه الرواقيون فى الحكمة والفضيلة، ثم ارتأه مكيافيللى فى قوة وبطش الأمير، ثم ارتأه جون رولز فى العدالة الاجتماعية، وهكذا فالبيئة، باختلاف ظروفها وأنماطها وأحوالها، هى التى تشكل فكر الفيلسوف، لذا عادة ما يقال إن الفيلسوف «ابن بيئته» أو أن «الفلسفة هى الإبنة الشرعية لظروف عصرها».

وتالياً: لا يمكننا أن نتخيل فلسفة سقراط بدون الغوص في أعماق هذه المؤشرات، بيئته، شخصيته، أسرته..

فهذه هى المؤشرات التى تمخض عنها ميلاد عظيم لفيلسوف عظيم اسمه سقراط.. إذ لا شك أنه تأثر بالبيئة الجغرافية، وكذا تأثر بالبيئة الفكرية، وأيضاً تأثر بالبيئة السياسية التى عاصرها، وكذا تأثر بمهنة والديه، وبظروف معيشته القاسية، تلك الحياة التى ملأها التعب والألم دون أن يتخللها يوم واحد به راحة، اللهم إلا راحة الضمير رضاً بما يصنع.

أولاً: البيئة الجغرافية:

ف البداية لابد وأن تجتاز مضايق جزيرة سيلاميس، ثم تنزل إلى الشاطئ لترى تلال أتيكا حتى تشعر بما شعر به مستمعى يوربيدس عندما قال «في سيلاميس الزاخرة بزبد البحر والأمواج المتلاطمة، الحافلة بطنين النحل، استقر تلامون الشيخ بعد ترحال طويل منذ بعيد، على عرش البحار متطلعاً إلى التلال المحملة بأشجار الزيتون مأخوذاً، حيث نبتت لأول مرة فاكهة العذراء آتينا الرمادية البراقة(1)

والمتطلع إلى بلاد اليونان يجد أن الطبيعة قد أرادت لها السحر المطلق، والجمال المطلق، ذاك الجمال الذي يسر الناظرين، ولا تشبع منه الأعين، فقد كان إقليم أتيكا في مجموعه إقليماً جبلياً تتخلله الشعاب الجبلية التي تقسمه إلى أربعة سهول محصورة بين الجبال، هي سهل اليوسيس Eleusis في الغرب ويواجه جزيرة سيلاميس، ثم سهل كيفيسوس kephisus الذي يرويه نهرا كيفسيسوس والليسوس وتقع به مدينة أثينا، وهو أكبر السهول الأربعة مساحة، ثم سهل ميسوجيا Mesogaea ومعناه الأراضي المتوسطة لأنها تقع بين جبلي ميتيوس ونتليكوس، ثم يأتي أخيراً سهل الماراثون الذي يقع في الشرق ويطل على بحر يوبويا وهو أصغر السهول مساحة (2).



وهكذا قسمت الطبيعة تضاريس أتيكا إلى جبال وسهول وسواحل، مها أضفى عليها سحراً وحهالاً.

وفرضت تلك البيئة الجغرافية، مناخاً بعينه على آثينا، فقد كانت آثينا من أكثر بلاد اليونان جفافاً، فهى قليلة المطر في معظم أيام السنة، وقلة المطر هذه فرضت عليها شيئين متلازمين.

الأول: الاضطرار إلى استيراد القمح من مصر، حيث كانت مصر سلة وصومعة للغلال في العالم القديم، وحيث الحضارة المصرية الضاربة في أعماق التاريخ وجذور الماضي.

الثانى: عدم مناسبة هذا المناخ لزراعة كافة المحاصيل، وإنها اقتصرت آثينا فى غالب زراعتها على محصولى الزيتون والكروم، فقد كان الزيتون يُزرع بصفة أساسية، حيث سهولة زراعته، ومتعة حصاده، إنه ذا تاريخ متأصل فى بلاد اليونان، ومن ثم فإن القضاء على مزرعة زيتون كان خسارة فادحة، بل خسارة لا تعادلها خسارة تحطيم حقل من القمح، فليس الضرر فى ذلك خسارة دخل سنة فحسب، بل هو خسارة رأس المال أيضاً، وقد كتب سوفوكليس فى سنة 406

ق.م، وبعد أن دام احتلال العدو للبلاد سبع سنوات متوالية، فوصف الزيتون بأنه «الخالد الذي لا ينهزم» مذكراً سامعيه بأن الزيتون المقدس على الأكروبول قد عاد بعد أن ذهب الفرس عن آثينا(3)

لقد كانت شجرة الزيتون هى وقود الحياة عند الإغريق، حيث استخدم زيتها وانتُفع به، بل وجعل منها رمزاً للحضارة والسلام، فصّور على واجهة معبد البارثينون الغربية الربة آثينا وهى تنتصر على بوسيدون لأنها ضربت الأرض بحربتها فأخرجت شجرة الزيتون، بينما أخرج رب البحر عين ماء مالحة!!.

أما الكروم، فقد كان ينبت بكثرة، وحيث صنع منه الآثينيون النبيذ الذى كانوا يحتفلون بعيدين له، فى الربيع وفى الخريف، وحيث تقام المهرجانات الثقافية التى أظهرت فنون الدراما والتراجيديا احتفاءاً برب النبيذ ديونسيوس Dionysos، وبلغ من اعتزازهم بالزيتون والكروم أنهم كانوا يُصدرون النبيذ وزيت الزيتون فى أوانى فخارية جيدة الصنع ومصقولة وذات رسوم متنوعة من أساطيرهم وحياتهم اليومية (4).

أيضاً فرض هذا الوضع الجغرافي على بلاد اليونان مزاج فريد التركيب، حيث أنهم كانوا لينى العريكة وشديدى المراس في



وقت واحد، فخشونة تلك البلاد وجدبها، والتفاوت بين الفصول، وقسوة برد الشتاء، ساعدت كلها على بقاء الأصلح وجعلت من اليونانيين فى كل العصور أناساً بسطاء أشداء متقشفين، غير متهالكين على مأكل أو مشرب (5).

هذا التفسير للبيئة الجغرافية هو الذى يفسر لنا بعض جوانب الزهد السقراطي، وهو الذى يفسر لنا طبيعة بساطة سقراط، تلك البساطة التي كانت سمة عامة عند اليونانين.

أيضاً هذه البيئة الجغرافية القاسية هى التى فرضت طابع الجدية على سقراط، وهى التى أكسبته خشونة العيش، والقدرة على التزام حدّ الكفاف، ذاك الحد الذى يحفظ فقط بقاء الروح فى الجسد.

ثانياً: البيئة السياسية:

لقد نشأت آثينا بسرعة، وأصبحت خلال ردح قليل من الزمن بارزة وقوية لدرجة تمكنت فيها من زعامة العالم الهلينى فى نزاعه مع الفرس، ذاك الذى عد فى النهاية بمثابة حياة أو موت، وأصبحت آثينا بعد الانتصار على الفرس المدينة الرئيسية، أو بتعبير أكثر دقة أصبحت دولة المدينة الرئيسية فى العالم الهلينى، يقول سارتون: «وعندما نفكر فى تلك الحضارة فإننا نفكر فى معظم الأحيان فى آثينا، ولفظتا آثينا واليونان

الفصل الأول: الخلفية التاريخية

تكادان تستعملان الواحدة للدلالة على الأخرى في ذكرياتنا المفعمة بعرفان الحميل»(6).

لقد كان الصراع بين الشرق والغرب، وإن كنت لا أحبذ هذا التوصيف، فالأقرب إلى الصواب أنه كان صراعاً سياسياً وجغرافياً بحتاً،-ولم بكن للعقائد فبه أدنى دخل - مستمراً لسنوات عدة بن البونان والفرس، كان للجيشين فيها صولات وجولات، ما بين هجوم في داريو عام (490ق.م) ودفاع في مضيق ترموبيلاي عام (480 ق.م) ثم موقعة سيلاميس البحرية في ذات السنة، حيث ألحق الأسطول الفارسي وكان ملك الفرس، ويُدعى (اكسرسيس) يشاهد تلك المأساة من فـوق العـرش الذي نصوه له على أحد تلال ساحل أتبكا(7).

لقد سطرت آثينا تاريخ عظمتها بهذا النصر، حيث ارتفعت مكانتها كثيراً بعد موقعة سيلاميس، وازدادت عـزاً إلى عزهـا، ومجـداً إلى مجـدها، وقدسية إلى قدسيتها، وأصبحت إلهتها بالاس أعظم رمز للحضارة الهلينية. ونتبجة لهذه المنزلة المتصاعدة لآثينا، وتحديداً عندما تعاظمت قوتها تحت قيادة بركليس في الفترة من 461: 429 ق.م، أثارت تلك القوة غيرة اسبرطة ومخاوفها مما أدى إلى اندلاع الحروب البيلوبونزية عام (431 ق.م) بين آثينا واسبرطة وحلفائهما، واستمرت حتى (404 ق.م)،



أي أنها شغلت العالم الهليني لمدة سبعة وعشرين عاماً، وقد تردد كثيراً أن بركليس هو الذي أوقع العالم الإغريقي في تلك الحرب حتى يشغل الرأى العام الآثيني عن محاكمة بعض أصدقائه وأقربائه، ولكن المؤكد أن المناخ السياسي العام في بلاد الإغريـق آنـذاك كـان مهيئـاً لقيـام تلـك الحرب بسبب السياسة الاستعمارية لآثينا والمركز التجاري الممتاز الذي وصلت إليه، ولم تكن تلك الحقيقة لتخفى على بركليس فأوضحها قائلاً: «وأشير إلى نقطة أخرى يبدو أنكم لم تنتبه وا إليها وهي عظمة سيطرتكم لا تظنوا أن الأمر يتعلق مسألة واحدة هي العبودية أو الحرية، بل إنه يتعلق بضياع الإمبراطورية وبالضغائن والأحقاد التي يثرها توليكم قيادة العالم الإغريقي، ما أشبه سيطرتكم اليوم بالطغيان، فقيام هذه السيطرة يبدو غير عادل، ولكن التخلي عنها خطير بكل تأكيد (8)

لقد انتقلت آثینا من نصر إلی نصر، ومن عز إلی عز، وحیث احتلت مرکز الصدارة عند الیونان، فأضحت مرکزاً تجاریاً وثقافیاً هاماً، وإن لم تکن المرکز الوحید، حیث ازدهرت الحضارة والثقافة فی مدن أخری مثل کورنثه وصقلیة، ولکن أیاً کان ازدهارهما، فلن یبلغا ما بلغته عظمة آثینا، حیث لقب زمانها بعد الانتصار العظیم بالعصر الذهبی، یقول سارتون:

«بلغت سيادة آثينا الأوج في فترة السنين الخمسين التي انقضت بعد موقعة سيلاميس والحروب البيلوبونزية وقويت هذه السيادة وبدت كأنها متوطدة إلى الأبد، وكانت آثينا على رأس العصبة الأيونية التي تحولت بالتدريج إلى الامراطورية الآثينية البحرية، وكانت الأعياد الآثينية والأتيكية أكثر الأعياد شهرة وشيوعاً في بلاد اليونان، وظلت الحضارة الآثينية بالرغم من تفوقها القومي وصفتها العالمية أصلية غير متكلفة، وكان بحركها الفخر بالحاض والإمان بالمستقبل والوطنية الساذجة، وكثير من الغرور يلطفه حب المناقشة كما يحدث عادة في أوقات السلم والرخاء، وقد كانت تلك السنون الخمسون عصر آثبنا الذهبي» (9)

وبُعد هذا العض الذهبي الذي كتب الخلود لآثبنا - الخلود الفلسفي على أقل تقدير - ونشبت الحرب بين الكبيرتين المتصارعتين على سيادة اليونان، آثينا واسبرطة، وقد كانت الظروف قد تحالفت على آثينا إثر الطاعون الذي تفشي عام (430-429 ق.م) وحصد أرواح آلاف الآثىنين.

لقد عاشت آثينا حياة ملؤها الحرب، إما مغيرة وإما مغار عليها، وكانت الجولات سجالاً بينها وبين اسبرطة المنافسة لها في كل شئ إلا في الفلسفة، لذا كان الاسبرطيون يشعرون بعقدة



النقص عن الآثينيين، وكانوا يجدون في أسطولهم العسكرى وقوته عوضاً لهم عن تفوق آثينا الفكرى والحضاري.

وظلت الحياة تسير على غطية الصراع بين الكبيرين، أحدهما يتفوق عسكرياً، والآخر يتفوق فلسفياً وحضارياً، وإن لم يعدم هو الآخر مقومات النصر أو ربما عقد صلحاً بين الطرفين، لا يلبث طويلاً حتى عزق بشرر الحرب المستطير مثلما حدث في عام (416 ق.م)، ومزقت آثينا عقد الصلح مع اسبرطة وانتصرت عليها انتصاراً مؤزراً، ثم أعادت اسبرطة تنظيم صفوفها مرة أخرى في عام (405 ق.م)، وعند مصب نهر أبجوسبوتاموس، فاجئ الإسبرطيون الآثينيين بالهجوم عليهم وإلحاق الهزيمة بهم، وفرض شروطهم باعتبارهم المنتصرين لتُنهى بذلك عصر التفوق العسكرى لآثينا، تلك التي لم يكن أمامها سوى الرضوخ للشروط التي كانت أهم بنودها:

- 1- أن تقتصر السيادة الآثينية على إقليم أتيكا وجزيرة سيلاميس فقط.
 - 2- أن تُزال التحصينات الدفاعية خاصة بين العاصمة والميناء.
 - 3- أن يُسلم الأثينيون أسطولهم ما عدا اثنى عشر سفينة.

- 4- أن يُسمح لجميع المنفيين السياسيين بالعودة إلى آثينا.
- 5- أن يعلن الآثينيون اعترافهم بقيادة اسبرطة لبلاد الإغريق فى الحرب والسلم وأن تتخذ نفس الأصدقاء والأعداء مثل اسبرطة (10)

ولم يكن أمام آثينا سوى قبول هذه الشروط والإذعان للقوة العسكرية لاسرطة تلك التي ارتفع شأنها وعلا قدرها وزاد مجدها، إلا أنها مهما كسبت من مجد، فإنه لا يعدو أن يكون مجداً عسكرياً الـنصر فيه للأقوى جسداً، ولكن مجد آثينا كان مجداً لا تهزمه أبداً مئات المعارك العسكرية، لأنه كان مجد الخلود، مجد العقل لا مجد القوة، مجد الروح لا مجد الجسد، وذاك على الدوام هـ و الفرق بين المـزاجين، المزاج الآثيني، الذي يعشق العلم ويقدس الفكر وتهون عليه الدنيا لأجلهما، والمزاج الاسبرطي الذي يقدس الحرب ويعبد الجسد وتهون عليه الدنيا لأجل بلوغ هذا المجد الزائف، وشتان بين الغايتين، وشتان بين المزاجين، وفي ذات المعنى يقول سارتون «وهكذا اندحرت آثينا وانتصرت اسبرطة، وإن كانت في نظر الخلود لم تنتصر، في حين أن آثينا كتب لها أن تظل خالدة، إذ أن فوز اسبرطة لم يحل دون تقدم آثينا العقلي، وقد ظلت آثينا مدرسة لليونان ولأوروبا، وكل ما ينسب إلى البونان من محد، مرده إلى آثننا لا إلى اسرطة» (11)



ولأن المجد العقلى أطول عمراً وأبقى أثراً من المجد الحربي، فقد خلدت آثينا اسمها بفضل فلاسفتها العظام والذين لازالوا حتى اليوم موضع اهتمام وتقديس العالم من أقصاه إلى أدناه، أما المجد الحربي الذي صنعته اسبرطة فلم يدم إلا قليلاً، ولم تعمر اسبرطة على عرش سيادة اليونان إلا عشية أو ضحاها، حيث هزموا شر هزية من طيبة في معركة «لوكثرا» عام (371 ق.م) ثم ما هي إلا سنوات معدودات وأخضع الجميع للسيادة المقدونية في عام (338 ق.م).

خلاصة القول أن ذاك العصر كان يمتاز بأخص صفات الاضطراب وعدم الاستقرار، يقول الدكتور طه حسين: «فهذا العصر إذاً يمتاز بأنه عصر انحلال سياسى للأمة اليونانية، وبأنه العصر الذى كانت الأمة اليونانية قد وصلت فيه إلى أقصى ما كان يمكن أن تصل إليه من مجد سياسى أو علمى أو فلسفى أو أدبى»(12)

المزاج الآثيني:

في ظل هذا الجو السياسي الذي تغزوه الاضطرابات من كل ناحية، كان هناك سمة عامة يتمتع بها الآثينيون، إنها سمة ذات مذاق خاص اسمها «الحرية»، فقد كان المواطن الآثيني يشعر بعزة نفس لا مثيل لها، تلك العزة كانت تخيل إليه أنه سيد هذا

الكون، وسيد هذا العالم، وكان لديهم إحساس بالسيادة المطلقة إذ لا سيد لهم، وفي هذا يقول إسيخولوس على لسان المجموعة في تمثيلية «الفرس» «إن الآثينين لا سيد لهم» (13)

وليس معنى الحرية الوصول إلى الفوضى، بل الحرية تقترن بطاعة القوانين، إذ كانوا يقدسون القوانين لأقصى درجات التقديس، بل كان مناط حياتهم «احترام القانون والزاميته»...

فالحرية الآثينية كانت تفرض على كل مواطن أن يهتم بالمصلحة العامة، وتتضمن في الوقت عينه السيادة المطلقة لصالح الدولة على صالح الأفراد، ولم يكن هدف الحرية أبداً إطلاق العنان للفرد لأن يفعل ما يشاء أو ألا يدين بالخضوع لأحد، أو إلى هدم اشراف أى سلطة على الفرد، بل إن شئت الدقة فقل إن النوع الوحيد من الخضوع الذي كانت تأباه آثينا هو الخضوع إلى حكم الفرد أو حكم الأقلية، أما طاعة القوانين فهي عنصر أساسي ضمن منظومة الحرية الآثينية، يقول بيزنز «تعتبر آثينا مصدر هذا المفهوم للحرية، ومع أن مدناً أخرى سبقتها إلى مقاومة الغزاة إلا أن واحدة منها لم ترتفع إلى مستواها من حيث تكوين فكرة واضحة مها كانت تفعل، لقد أفلحت مدن أخرى في إقامة كيانها على منح الحرية ألفرد من مواطنيها، غير أن واحدة منها لم تكن فخورة بتلك الحرية أو



ارتقت إلى نظام محكم كما فعلت آثينا ومن الواضح أن الحرية من هذا النوع هي اسم آخر للديموقراطية، ونحن نعرف كم تضاءلت أهمية كلمة الديموقراطية عندما كانت آثينا في نهاية أوجها، ومع ذلك فقد قال باوسانياس وهو رجل عادى شاهد أطلال ماضيها المجيد وعاصر أيام انحلالها «لم يزدهر شعب تحت راية الديموقراطية سوى آثينا، لقد ازدهر الآثينيون حقاً لأنهم كانوا على ذكاء عظيم» من هذا نرى أن السائد منذ زمن بعيد أن الحرية التي حققتها آثينا كانت حالة شاذة من الصعب بلوغها أو الاحتفاظ بها»(14)

لقد وصف الكبيادس الديموقراطية الآثينية بأنها «حماقة معترف بها»، وقد يبدو هذا تنظيراً منطقياً لوضع قائم بالفعل، كما يبدو لأول وهلة تعليقاً عادلاً على نظام سياسى عهد بمعظم إدارة الدولة إلى حكام يختارون سنوياً بالاقتراع، وبكل القرارات السياسية إلى جماعات جماهيرية، لكل مواطن أن يحضرها أو لا يحضرها، ومع ذلك تبقى الحقيقة أن آثينا دولة ذات كفاءة ممتازة وأن سياستها الخارجية والداخلية قد أُديرت على نمط المدن المعاصرة، إن لم يكن أفضل منها، وفق أنظمة يبدو أنها كانت أكثر واقعية (15)

مكننا القول أن الحرية الآثينية فرضت وضعاً من

الفصل الأول: الخلفية التاريخية

الدموقراطية لم تبلغه دولة متحضرة، فقد كان مقدور المواطن الآثيني التحدث في كافة الأمور السياسية، بذات القدر الذي تمتع به المصريون في حرية القول بعد ثورة يناير (2011م)، حيث تجد المصريون يتحدثون في كافة أمور السياسة، في المترو والسيارة والشارع، بل وعلى المقاهي، بل وأثناء تشييع الجنائز، حرية مفرطة، ليس ورائها سوى عبودية مفرطة أيضاً، تلك الحرية التي لم يحصل عليها المصريون سوى في بداية الألفية الثالثة، متع بها ومارسها الآثينيون قبل المبلاد بأربعة قرون على الأقل.

ولا بخفى على أحد أيضاً أن تلك الحرية السياسية، فرضت رقابة صارمة على المحاكم والقوانين، لاستكمال منظومة الحرية، وحيث كانت آثينا منارة للفقهاء ومصدر إلهام للقاصدين، يقول الدكتور طه حسين: «أضف إلى ذلك هؤلاء الفقهاء الذين كانوا يفسرون القوانين الآثينية المختلفة ويدرسون ما لليونان على اختلاف أجناسهم من رأى في القوانين ويلقون أمام المحاكم الآثينية من خطب الدفاع ما لا نزال نعجب به إلى الآن، وعلى الجملة فقد كان اليوناني يقصد آثينا كما يقصد الشرقى الآن باريس، إلا أن لباريس خصوماً تعدلها وقد تفوقها في بعض ضروب العلم أما آثينا فلم يكن لها عدل ولا نظير» (16).



حقاً، لقد بلغت الديموقراطية الآثينية أوجها عندما فرضت الرقابة على القوانين فأعطت كل مواطن مهمة الطعن في أى قانون يرى فيه مخالفة للدستور، فيوقف العمل بهذا القانون فوراً حتى تقضى المحكمة في شأنه، فيحاكم القانون كما يحاكم الأفراد، وللمحكمة الحق في أن تقضى بإلغائه، فالقانون يخضع للدستور والموظف يخضع للقانون، وهذا هو مبدأ سيادة القانون كاملاً (17).

والشئ الذى يستحق التقديس حقاً، أن الآثينيين لم يكونوا ليفرقوا بين طاعة القانون والحرية، فالمزاج الآثينى كان يعتبر الحرية وطاعة القانون صنوان وليسا ضدان، وتالياً فهو السيد المطاع الدى لا يتعارض مع الحرية: «فمع أن الآثينيين كانوا أصحاب السيادة تحت قبة السماء، إلا أنهم كانوا تحت سيادة القانون على الأرض» (18).

إجمالاً مكننا القول بأن اليونانيين قد قدسوا الحياة العامة والإنشغال بالسياسة ويتجلى ذلك أوضح ما يكون فى خطبة بركليس التى قال فيها: «إننا نحب الجمال ولكن دون إسراف، ونحب الحكمة ولكن دون ضعف،أما الثروة فإننا نعتد بها لا لتكون موضع تفاخر ولكن لتعيننا على تحقيق أعمالنا، ونحن لا نعيب الرجل الذي يعترف بفقره، ولكننا نعتبر العيب كل العيب

الفصل الأول: الخلفية التاريخية 🛂

ألا يسعى الرجل إلى اجتنابه، وستجدون في بعض رجالنا اهتماماً بالشئون الخاصة، وبالشئون العامة في آن واحد، ولن تفتقدوا في البعض الآخر، وخاصة هؤلاء الذين يعنون بالعمل، نفاذ البصيرة في الشئون السياسية، لأننا لا نعتبر الرجل الذي لا يسهم بنصيب في الشئون العامة رجِلاً أنانياً بعني بشئونه الخاصة فحسب، بل رجلاً لا يصلح لشئ من الأشياء»(19).

هذا الاهتمام بالحياة العامة، وذاك المزاج الآثيني القائم على الحرية، كانا هما عاملاً الإشهار للفلسفة اليونانية العظيمة في ربيع عصرها، تلك الفلسفة التي جعلت من آثبنا معبداً للفلسفة لا محوه أثر الزمن، بقول إسبوكراتيس: «لقد تقدمت آثبنا في شوطها وخلفت بقية العالم وراءها مراحل في الفكر والتعبير حتى أصبح تلاميذها أساتذة الدنيا، وجعلت اسم اليونان مميزاً لا لجنس من الأجناس، بل لقدرة عقلية، كما جعلت لقب اليونان شارة للعلم لا دليلاً على أصل جنسي مشترك»(20).

أضف إلى ذلك، أن اليونانين كانوا ذوى نزعة متأصلة في أعماق نفوسهم مفادها: «أن الشرف خبر من التروة» إلا أن في حصول المرء على ما يسميه الإغريق «حسن تقدير» قد يـؤدي إلى سعادة حياته أكثر مما يؤديه أي شئ آخر في مقدوره القيام به، فـلا



عجب إذا ما جنح الإغريق إلى الظن بأن الفضيلة ليست أن يكون المرء طيباً حقاً، بل أن يبدو فاضلاً» (21).

هذه النزعات في إجمالها هي التي تمنحنا القدرة الحقيقية على فهم سقراط، والمزاج الآثيني الذي يهوى الحرية ويعشق طاعة القانون، هو الذي سيمنحنا القدرة على فهم أعماق سقراط، لأن سقراط وإن كان فذاً، إلا أنه ولا شك ابن بيئته، وفكره مستمد من مشكلاتها وأحزانها. ثالثاً: البيئة الفكرية:

عاصر سقراط السوفسطائيين، والبعض يغالى بالقول: «أنه لولا السوفسطائيين ما ظهر سقراط» وهؤلاء أغفلوا تهاماً بقية الجوانب التى صنعت شخصية سقراط من جهة، وصنعت فكره وفلسفته من جهة أخرى.

لقد ظهر السوفسطائيون في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الهيلاد، عقب انتصار آثينا العظيم على الفرس في موقعة سيلاميس البحرية عام (480 ق.م)، وفرضت الديموقراطية سيطرتها على ربوع آثينا، مما ترك الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام طائفة من معلمي البيان سموا أنفسهم بالسوفسطائيين، أي أن الديموقراطية الآثينية فتحت أبوابها للحرية الفكرية التي تزعمها أنصار هذه المدرسة.

الفصل الأول: الخلفية التاريخية

وكلمة Sophostos بالبونانية مشتقة من كلمة Sophos وتعني الحكيم وقد أطلقها بندار قدماً على طائفة الشعراء، وأطلقها بوربيدس على طائفة الموسيقين، كما أطلقها أبقراط على الفلاسفة الطبيعين، كما سبق وأن أطلقت على الحكماء السبعة(22)

إذاً، مكننا القول بأنه لولا تلك المساحة الدمقراطية التي انفتحت لها أبواب آثينا، ما كان للفن السوفسطائي أن يظهر، إذ أنه ظهر لتلبية حاجة وسد فراغ، لمواكبة الحياة الجديدة(23).

أيضاً كان من أهم عوامل ظهور السوفسطائيين سيادة الروح الفردية في آثينا باعتبار الفرد هو سيد هذا الكون وباعتبار كل شي قامًا به، فجاء السوفسطائيون لينموا هذه النزعة الفردية، ثم كان للنظام القضائي في آثينا أثره البالغ على نشأة السوفسطائيين، إذ فرضت الدعوقراطيـة نظامـاً قضائياً يسمح للخصمين بالوقوف أمام القضاء والدفاع عن موقفيهما وغالباً ما كانت المحكمة تتأثر بالبلاغة والخطابة، وتالياً يصبح النصر حليفاً للأبلغ حجة والألحن قولاً حتى ولو كان ظالماً، ولعل تلك النقطة بالذات هي التي شغلت الجانب الأكر من فكر سقراط.

لقد هبطت الخطابة من رقيها وقوتها في التأثير لإحقاق الحق، إلى مستوى الجدل، ذلك أنها غرست في الناس كيفية قلب



الحق باطلاً والباطل حق، ثم كيف لجمعية نيابية تريد من المحامى إشباع حاسة السمع فقط لا غير، وكيف لبلد تنشد الفضيلة والتقدم، أن تجعل من ذاتها عبيداً لجهال لا يدرون شيئاً عن أمر أنفسهم فضلاً عن أمر الدولة(24).

على أى حال، ليس هنا مجال الغوص في الفكر السوفسطائي إلا بقدر بيان تأثر سقراط فقط بهم، لأنهم فعلاً تركوا عميق الأثر على الفكر السقراطي، وما كان لنا أن نفهم سقراط حق الفهم دون الرجوع إلى هذه الخلفية الفكرية التي ساهمت بشكل أو بآخر في صناعة سقراط.

لكن يبقى التساؤل الآن، هل كانت السوفسطائية كلها سلبيات تستوجب النقد أينما ولت وجهها شطر أى فكرة، أم هى على النقيض من ذلك تستحق منا ثناءاً جميلاً لدرجة أن نطلق على عصرهم اسم «عصر التنوير، كما فعل أستاذنا الدكتور عبد الرحمن بدوى عندما قال «يلاحظ أن حركة السوفسطائيين أقرب شبها بالقرن الثامن عشر منها بعصر النهضة، فكلا العصرين، ونعنى بهما القرن الخامس قبل الميلاد بالنسبة للحضارة اليونانية والقرن الثامن عشر بعد الميلاد بالنسبة للحضارة اليونانية والقرن القرنين يتصفان بصفات متشابهة، وهذه الصفات تتلخص في كلمة واحدة هى التنوير،

فإن خصائص نزعة التنوير هى أولاً: الإيمان بالتقدم المستمر نحو الغاية الأصلية للإنسانية، وثانياً جعل العقل الحكم المطلق في كل شئ، وثالثاً إخضاع كل العقائد والتقاليد الموروثة لحكم العقل ورابعاً النزعة الفردية التي تجعل من الفرد من حيث حريته واستقلاله الأساس لكل تقويم، سواء أكان ذلك في الفن أم في الأخلاق أم في العلم أم في الدين، وهذه الخصائص كلها واضحة في كلا القرنين المتوافقين، مما يدفعنا إلى القول بأن قرن السوفسطائية هو قرن التنوير في الحضارة اليونانية (25)

قطعاً هذا الرأى صواب لا يعتريه أدنى شك، ولكن ما لم يوضحه أستاذنا العظيم، أن هناك فرق كبير بين المنهج والغاية، فقد تستخدم منهجاً صحيحاً مائة بالمائة، ولكن غايته شريرة مائة بالمائة، ويمكن الاستدلال على ذلك بكل بساطة من تأملنا لغايات التعليم السوفسطائ، فلم يكن لهم سوى غاياتان فقط، الأولى المجد الزائف والشهرة الخادعة، والثانية الثروة والمال ولو على حساب الشرف والأخلاق.

نعم، هم استخدموا منهج صناعة التنوير، لكن غايتهم لم تكن هى التنوير، وإنها كانت شيئاً أخر تماماً، وهو الذى أثار سقراط ضدهم، بل إنهم هم الذين ألهموا سقراط بعضاً من مبادئه كما سنرى، لا لأنهم أصحاب مبدأ، ولكن لأنهم داسوا



بأقدامهم جميع المبادئ، مما دفع سقراط إلى محاولة إحيائها.

إذاً، بدون هذه الخلفيات جميعها لا يمكننا فهم سقراط. فجدب بيئته ألهمه القدرة على تحمل خشونة العيش. والمزاج الآثيني ألهمه حرية القول والحوار والمناقشة وحب الشرف والفضيلة عند الآثينيين ألهمه البحث عن جوهرهما لا عن أعراضهما.

وظهور السوفسطائيين، ألهمه الربط بين المنهج والغاية، وألهمه البحث في جواهر الأمور، وألهمه المبادئ والقيم العظيمة، وألهمه الشجاعة في مواجهة الخطر السوفسطائي على المعرفة والأخلاق والفضيلة، بالاختصار ألهمه أن يكون سقراط. فمن هو سقراط هذا؟

ولد سقراط عام (470 ق.م) لأسرة متوسطة الحال، الأب اسمه «سوفرونسيكوس» ويعمل نحاتاً، والأم اسمها «فايناريت» وتعمل قابلة (26).

ولضيق ذات اليد أخرجه والده من المدرسة دون أن يتم تعليمه وهو في حوالي الثالثة عشر من عمره، ولكن الصبى لم يضق ذرعاً، فلم يتهم والده بالتقصير ولم ينهال على والدته سباً، بل قال «إن ما تعلمته من المعلمين يكفيني ولن أنساه أما ما سأتعلمه من الحياة ورجال المدينة فهو ما سيجعلني رجلاً صالحاً

حقاً (27)، لذا تراه يصرح في فايدروس بقوله «رجال المدينة هم الذين يعلمونني، أما الريف والأشجار فلا تعلمني شبئاً (28)

ويُروى أن سقراط كان من المتفائلين في حياتهم، إذ كان يقول أنه رجل سعيد لأنه حظى بثلاث ميزات، أولها أنه ولد إنساناً وليس حيواناً، وثانيهما أنه ولد رجلاً وليس امرأة، وثالثهما أنه ولد يونانياً وليس بربرياً(29)

وقد تزوج سقراط من امرأة تدعى «اكزانثيب» وكانت - فيما يُقال - تعامله معاملة سيئة يقابلها هو بالإحسان والصبر فكان يقول: «إن اكزانثيب مثل السماء عندما ترعد سرعان ما تبكي»(30).

ولكن ربما يكون هذا التوصيف مبالغاً فيه، ولعلى أحسن الخطى إذا افترضت مع سارتون أن السمعة التى لحقت بزوجة سقراط كونها شديدة المراس صعبة العشرة، ربما كان القصد منها إبراز مدى لطف سقراط وأناته وأخلاقه (31)،حتى لا يُقال أنه كان ممارساً للأخلاق أمام الناس منتهكاً لها في بيته، تلك هي البيئة الداخلية التي تربى فيها سقراط.

أب نحات، وأم قابلة، وزوجة مشاكسة!! ترى هل تكون هذه عوامل خلود لصاحبها؟!



أضف إلى ذلك أن سقراط كان ذا شكل غير مرغوب، أو غير محبب إلى النفوس، زاده إمعاناً في السوء أنه لم يكن يهتم بمظهره قط، بل كان أشعث الرأس حافي القدمين بالي الثياب، وربما يرسم هذا المشهد جزء من شخصيته البراجماتية البحتة، تلك الشخصية التي لم تهتم يوماً ما بأعراض الأمور، بل لم تنقب سوى عن الجوهر، إن تلك الهيئة وذاك الشكل لم يكونا ينمان إلا عن فكر، وفكر عميق، نعم لقد قال عنه القبيادس في المأدبة «إنه كان يشبه المخلوقات الخرافية المخوفة» (32) إمعاناً ومبالغة في وصف الشكل الـدميم لسـقراط، وهـو ذات الوصـف الذي أيده ديورانت بقوله «إذا جاز لنا أن نحكم من مشاهدة التمثال النصفى الذي وصل إلينا من أنقاض التماثيل القدمة، فقد كان سقراط بعيداً عن الوسامة، برأس أصلع، ووجه كبر مستدير، وعينين عميقتين ذات فراسة، وأنف كبير عريض زاهر، لقد كان رأسه في الحقيقة أقرب إلى رأس عتال منها إلى رأس أعظم الفلاسفة (33)

ولعل تلك الصورة تمثل تصويراً صادقاً للشكل، لكنها لا يمكن أبداً أن تمس نقاء الجوهر، بل إن الذين صوروا سقراط في تلك الصورة البشعة، حتى ولو على سبيل المجاز، أهدوا إليه معروفاً وقدموا له إحساناً، إذ أن هذه الصورة جاءت متفقة تماماً



مع مضمون فكره، إنه بالاختصار كان عنده نوع من التعالى على الشكل، لذا أهمل مظهره الخارجي، ومع هذا فقد كان تفريطه في الاعتناء بشكله مثابة جرح لحساسية الذوق الآثيني (34)، ورغم ذاك المظهر إلا أنه كان الحكيم بالامتياز، يقول وورنر «قد تبدو الصعوبة في أن نعرف من هو سقراط، إلا أنه يتضح لنا أننا أمام شخصية مختلفة تمام الاختلاف عن أية شخصية ظهرت قبله، فهو غير عادى من خلال كونه عادياً وذائع الصيت من خلال كونه آثينياً ومتدين من خلال منهج الشك وحكيم من خلال تظاهره بالجهل، مع ذلك لا نجد في شخصيته وسلوكه وآرائه أية متناقضات، هو في مجموعه كل متجانس، شخصيته دامًا شخصية مؤثرة، بل إن المرء ليشعر لو أن فناناً عظيماً مثل أفلاطون أراد أن يشوهها، لما أمكنه ذلك» (35)

إذاً مضمون الصورة لا يتناقض أبداً ومضمون الشخصية، لقـد ثـار سقراط ضد كل شئ بحثاً عن الجوهر وراء هذا الشئ، إن الشعب اليوناني كان يقدس الجمال والزينة وحسن المظهر، وكان يقدس آلهة الجمال، فجاء سـقراط فانتعـل الأرض وافـترش الـتراب، وارتـدي معطفـاً قدماً ويحمل في يده عصاه.

قد تسأل وما علاقة الجمال منظر سقراط؟..

والإجابة ببساطة هو أن سقراط أراد أن يُسفه الفكر

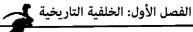


اليوناني ويثبت أنه خال من كل مضمون، إذ أن المنظر ليس مهماً، ولكن الأهم هو الجوهر، يقول وولف «لم يكن سقراط يبدو جميلاً، غير أنه جميل في الحقيقة، إنه بشع بجسمه، ولكنه جميل بنفسه، إنها بشاعة جوهرية حتماً لمصيره، ومشاركة في الأسطورة التي جعلت منه أب تقليدنا الماورائي، يجسد سقراط في نظر الإغريقيين تعارض الكون والظهور، والنفس والجسد، وهو الذي سيجعلون منه أساس تفكيرهم، والذي ما نزال نحن دافعي جزيته»(36)

ولعلك تسأل نحن نتحدث عن سقراط، فكره وفلسفته، فلماذا نجنح إلى أسرته وإلى سلوكه الشخصى، وهل يقدم هذا أو يؤخر فى محاولتنا لفهم سقراط ولعل الذى يسأل مثل هذا السؤال شأنه شأن تلك التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً!! وهل يمكننا يا سيدى أن نفهم أى فيلسوف دون أن نضعه في إطار عصره ونلبسه ثياب محتمعه؟!

ألم تكن الفلسفة بأسرها وليدة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ألم تكن فلسفة مكيافيللي وليدة الظروف السياسية؟!

ومن أين ولدت الدعوة إلى السلام عند كانط ورسو؟! ألم تولد من رحم الحرب التي يتطاير شررها؟!



إذاً الظروف هي التي تصنع الفيلسوف، وهي التي تولـد الفكر، وهي التي تكتب للفكر الخلود.

وما يقال عن مكيافيللي وروسو يقال عن سقراط، ذاك الرجل الذي تأثر ببيئته أبلغ تأثير، تأثر بها جغرافياً، حيث خشونة العيش، وتأثر بها فكرياً حيث البحث في الجوهر لا في الشكل الذي أتي به السوفسطائيون وحيث وضع معاني ثابتة لا متغيرة، وحيث فطرية المعرفة لا نسبيتها كذلك أيضاً تأثر سقراط بالمحيط الاجتماعي الضيق له، حيث أسرة رقيقة الحال، وحيث صناعة للأبوين تركت أثرها العميق على نفس الوليد.

لقد سأل سقراط والده ذات يوم، كيف عرفت الطريقة التي تضع بها أزميلك في الحجر، وإلى أي عمق تضربه حتى يخرج ذلك الأسد من قلب الحجر بهذا الجمال؟!.

فأجابه والده قائلاً: «عليك بادئ ذي بدء أن ترى الأسد كامناً في الحجر، وتحس كأنه رابض هناك تحت السطح، وعليك أن تُطلق سراحه، وكلما أحسنت رؤية الأسد أحسنت معرفة أين وإلى أي عمق تشق الحجر، والعماد بعد ذلك بطبيعة الحال على التمرين والتدريب » (37)

ونفس الموقف يتكرر مع أمه، حيث سألها عن سر مهارتها في عملية التوليد فقالت: «إنني في الواقع لا أفعل شيئاً، وإنا



أكتفى بأن أعين الطفل على الانطلاق»(38)

أو ليسا هذين الموقفين يشكلان عمق المعرفة والتذكر عند سقراط!! إذاً، لا يمكننا فهم سقراط أبداً إلا بالعودة إلى الخلفية التاريخية ورائه، فهو صنيعة عصره وابن بيئته، ويمكننى القول بقلب مطمئن «لو لم تكن تلك هى ظروف عصر سقراط، لما كان هناك سقراط ولما نما عقله بنمو مشكلات عصره».....

* * *

هوامش الفصل الأول

- (1) ألفرد زعرن، الحياة العامة اليونانية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ترجمة عبد المحسن خشاك، 2002م، صـ6.
- (2) سيد أحمد الناصرى، الاغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1977م، صـ (186-187). وكذلك أيضاً، ألفرد زعرن، المرجع السابق صـ38.
 - (3) ألفرد زيمرن، المرجع السابق، صـ52.
 - (4) سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، صـ188-189.
 - (5) ألفرد زيمرن، المرجع السابق، صـ57.
- (6) سارتون (جورج)، تاریخ العلم، ج2، ترجمة عدد من العلماء، تحت إشراف د/ إبراهیم بیومی مدکور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاریخ، صـ5.
 - (7) نفسه، صـ7.
- (8) نقلاً عن د. فوزى مكاوى، تاريخ العلم الاغريقى وحضارته، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999م، ط1، ص161.
 - (9) سارتون، نفس المرجع ص9.
 - (10) د. فوزی مکاوی، ص176.



- (11) سارتون، المرجع السابق ص171.
- (12) آرسطو، دستور الآثينيين، ترجمة د. طه حسين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1914م، المقدمة، ص5.
- (13) بيرنز (دليل)، المثل السياسية، ترجمة لويس اسكندر، مؤسسة سحل العرب، القاهرة 1964م، ص44.
 - (14) بيرنز، المرجع السابق، ص42.
- (15) جونز، الديموقراطية الآثينية، ترجمة عبد المحسن خشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1976م، ص153.
- (16) دستور الآثينيين، المرجع السابق، المقدمة للدكتور طه حسين، ص9.
- (17) سباين (جورج) تطور الفكر السياس، ج1، ترجمة حسن جلال العروسي، دار المعارف، القاهرة 1954م، ص4.
- (18) محمد ممدوح، فلسفة المقاومة في السياسة والقانون عند اليونان والرومان ، دار الوارق للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص27
 - (19) نقلاً عن سارتون، المرجع السابق، ص179.
 - (20) نقلاً عن بيرنز، المرجع السابق، ص53.
 - (21) ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص64.
- (22) Guthrie, (W.K.C): The sophists, university press, Cambridge, New york. 1971. p.27.
- (23) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص18.
 - (24) محمد ممدوح، فلسفة المقاومة، المرجع السابق، ص 72.

- الفصل الأول: الخلفية التاريخية 👢
- (25) د. عبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، 1964م، ص162
- (26) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ص109.
- (27) د. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص80.
- (28) أفلاطون، محاورة فايدروس، فقرة 320 نقلاً عن د. أميرة مطر، المرجع السابق، ص138.
 - (29) د. أميرة مطر، المرجع السابق، ص123.
- (30) نقلاً عن د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ص133.
 - (31) سارتون، المرجع السابق، ج2، ص180.
- (32) نقلاً عن فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج1، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002 م، البونان والرومان ص154.
- (33) ديورانت (ول)، قصة الفلسفة، ترجمة د. فتح الله المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، ط4، بيروت 1979م، ص10.
 - (34)Zeller (E): outlines of The history of Greek philosophy, trans by: L.R. plamet, 13 ed, Dover pubications inc, New york, 1980. p.174.
- (35) وورنر (ريكس)، فلاسفة الإغريق، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985م، ص62.
- (36) وولف (فرانسيس): سقراط، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص17.

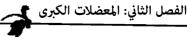


(37) (ميس) كورا: سقراط، الرجل الذي جرؤ على السؤال، ترجمة محمد محمود، تقديم حسن جلال العروس، مكتبة الأنجلو، القاهرة 1956م، ص 14،13.

(38) نفس المرجع ص14.

الفصل الثاني المعضلات الكبرى





لا يزال سقراط حتى اليوم لغزاً محبراً، وتأتى الحبرة لا من باب التناقض – الذي لا يوحد له سند بالأساس – وإنها من كثرة ما قبل وكُتب عنه.

إن سقراط هو الفيلسوف الوحيد في التاريخ، الذي لم يكتب كلمة واحدة ومع ذلك تصلنا أعماله كاملة، فهل يعنى ذلـك أنـه كـان شخصـاً خيالياً، أبدعته عقول أرستوفانيس وزينوفون وأفلاطون، وسلم بوجوده الفلاسفة من بعدهم تصديقاً لحديثهم، أليست تلك معضلة كبرى، تتلخص في «حقيقة وجود سقراط».

ألا يثير من كتبوا عن سقراط روح الشك بداخلنا، حيث لم يكن أمامنا شهود عليه سوى فيلسوف مبدع ومؤرخ صغير اتهم بأنه لا بتسم بالجدية والحيادية، وشهادة روائي ليس له من الأخلاق أدني نصيب، ثم شهادة «سقراطي» من الدرجة الثانية وهو آرسطو، وأخبراً شهادة بعض الدوكسوغرافيين(*) مثل ديوجين اللاثرتي في القرن الثالث بعد الميلاد.



فهل نفقد الثقة في هؤلاء الشهود لدرجة تجعلنا نشك في وجود سقراط ذاته»؟! وبذات المنطق الشاك أيضاً، هل يمكننا القول بأن سقراط هو الذي صنع نجومية أفلاطون!! أولاً بتعليمه إياه الفلسفة، وثانياً بتلقينه الأفكار، حيث أن النظريات الأفلاطونية ذات جذور سقراطية، وثالثاً بتفجير حياة سقراط وموته الموهبة عند أفلاطون في الفلسفة والإبداع الأدبي.

إذاً، تلك معضلة كبرى في حاجة ماسة إلى الأدلة والبراهين العقلية، والتي لا تعدم أيضاً اطمئنان القلب، سواء نفياً للوجود أو إثباتاً له، أيضاً سنواجه معضلة أخرى، وهي محاولة الإجابة على التساؤل «هل كان سقراط نبياً؟ وهذا التساؤل لم يأت من الفراغ، بل له بعض الأوجه والدلائل أيضاً.

ثم نأق إلى المعضلة الكبرى، وهى المعرفة والفضيلة، والفرق بين البحدل السقراطى والجدل السوفسطائ، ومنهج سقراط وأدلة فطرية المعرفة، ومن أين أتت حكمته، ثم في النهاية نقدم مفاتيح إعدام سقراط، أقصد بها تلك الأسباب التي أوصلته إلى مرحلة تفكير الآثينيين في عملية اغتيال سقراط، تلك الفكرة التي تصم آثينا بالعار على مرالتاريخ، وإن كانت هي عينها الفكرة التي كتبت لآثينا الخلود.



المعضلة الأولى:

«حقيقة وجود سقراط»



يقول القبيادس لأفلاطون

«اعلموا جيداً ألا أحد منكم يعرف سقراط» (1)

هل يوجد في الواقع شخص اسمه «سقراط»؟! وهل هو صاحب هذه الآراء السياسية والأخلاقية والمعرفية التي بإمكانها أن تغير مصير الجنس البشرى في القرن الحالى رغم قدم عمرها ورسوخ أصلها لو أننا أخذنا بها؟! هل حقاً ثمة وجود حقيقي لسقراط؟!

إذاً لنفترض بادئاً حسن النية، أن سقراط حقيقة وليس من نسج خيال أفلاطون أو أرستوفانيس أو زينوفون!!

وهذا الافتراض يقتضى تنقيح الشهادات عن سقراط، لنقبل منها ما يتفق والإطار العام لفكره، وندحض ما لا يتفق وهذا الإطار، خاصة شهادة كل من أرستوفانيس وزينوفون وأفلاطون.

أولاً: شهادة أرستوفانيس(2):

في ظل النشاط السقراطي والمسيرة العقلية التي بدأها



سقراط بين شباب آثينا، كان المسرح الآثينى هو المرأة التى ينعكس عليها أى نشاط فى المجتمع (3) بما يعادل الصحافة الحرة الآن، وكان شعراء الكوميديا ومؤلفوا المسرحيات هم المنوطون بإشاعة تلك الأخبار، سواء بالصدق أو الكذب، سواء لعرض الحقيقة أو لمجرد التسلية، وإن كان الهدف الأخبر له نصيب الأسد من تلك المسرحيات.

ومن أروع كُتاب المسرحيات في آثينا، ذاك الشاعر الهزلى أرستوفانيس، الذي كان أقل ما يقال عنه أنه يهدف إلى المتعة الأدبية وإن خالفت الفروض الأخلاقية.

لقد صور أرستوفانيس سقراط أبشع تصوير في مسرحية «السحب» حيث تبدأ المسرحية بمناشدة فلاح يدعى «ستريبسيدس» وهو من أبناء الطبقة الأرستقراطية – لابنه، ويُدعى «فيدبيدس» بأن يتوجه ليتعلم على يد سقراط الذى يسكن المنزل المجاور له، حيث يصف الوالد بيت سقراط لولده، بأنه مصنع الفكر، وأن ساكنوه من التلاميذ هم المفكرون حقاً، ويتوسل إليه بأبلغ عبارات التوسل أن يلحق بهم ليتعلم على يد سقراط. ولكن الابن لم يصغ لنصائح والده، لأنه يرى أن سقراط شخص يائس لا يتبعه إلا مجموعة من الأوغاد(4)

ويحاول الابن اقناع والده بعدم اتباع سقراط، لكن الأب



يرفض ويعاند عناد المكابرة، وهى صورة يحاول بها أرستوفانيس إدانة سقراط مبكراً بتهمة إشاعة القلاقل والخلافات بين جيل الآباء وجيل الأبناء.

ولو أراد أرستوفانيس الدقة منذ البداية، لبدّل الموقفين، بمعنى أن الابن هو الذى يذهب لاتباع سقراط والأب هو الذى يرفض ويقدم النصح، لأن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أن المؤمنين بسقراط كانوا من جيل الشباب، أما الشيوخ فقد كانوا من الناقمين عليه، ولعل هذا أول اعتراض منطقى على شهادة أرستوفانيس.

ثم يُصور أرستوفانيس سقراط وهو يقف ليتحدث مع آلهة السماء في دهشة، فيسأله ستربيدس قائلاً «يا سقراط، ليس أمامنا سوى السحاب فمع من تتحدث»؟

فيجيبه سقراط بقوله «مع آلهة السحاب أو السماء» وعضى سقراط قائلاً «إنهم هم الآلهة الحقيقيون، أما الآخرين فخرافة» وهنا يسأله ستربيسدس «ولكن هل زيوس ليس إلهاً»

فيجيب سقراط «مازيوس هذا، لا يوجد إلهاً بهذا الاسم» (5)

ويقصد أرستوفانيس بهذا الكلام أن يثبت التهمة التي سيق لأجلها سقراط إلى المحاكمة وهي تهمة الإلحاد، أو الكفر بآلهة



المدينة، ليشوه صورة سقراط أمام عموم الآثينيين الذين لا يجدون أدنى صعوبة في مشاهدة تلك المسرحيات باعتبارها سبيل التسلية والمعرفة الأقل تكلفة حتى وإن كانت الأكثر ابتذالاً.

وفي مشهد آخر يصور أرستوفانيس سقراط كأحد السوفسطائين، حيث يسوق على لسان ستربيدس سؤالاً موجهاً لسقراط نصه كالتالى: «إننى أطلب منكم رجاءاً أن أتميز عن غيرى في فن الحديث، وأريد أن أغير الأوضاع لصالحى وأتخلص من ديونى، فهل سأحقق مثل هذه السعادة «فيرد عليه أحد التلاميذ بقوله» سوف يزدحم الناس حول منزلك ليطلبوا منك النصح في حياتهم وفي أعمالهم ولكن على سقراط أن يبدأ بتعليمك وأن يرفع من مستوى ذكاء عقلك.(6)

ثم يتوجه سقراط بالسؤال إلى ستربيسدس «ماذا تريد أن تتعلم» فيرد عليه قائلاً «أريد أن أتعلم فن الاقناع المزيف» (7)

ما يريده أرستوفانيس من هذا كله، أن يقول للجمهور معلومة واحدة مؤداها «إن سقراط سوفسطائي ليس أكثر، فهو لا يعرف أكثر من الجدل، ولا يجادل إلا لذات الجدل»

ذاك هـو مـا أراد أرستوفانيس أن يوصله إلى عقول وقلوب جماهيره، ولكنه فشل في التصوير وفشل في الإبداع، إذ أنه يصور



سقراط على نقيض الحقيقة تماماً، وهو ما يؤكد لنا أن أرستوفانيس لم يكن يقصد سوى المتعة الدرامية في المسرح، لا أكثر.

ولكن هل يا تُرى، يترك أرستوفانيس النهاية لعقل القارئ أو المشاهد لمسرحيته!! هل يسوق الاتهامات في تلك المسرحية حيث إلحاد سقراط وحيث انشغاله بعلوم الطبيعة والسماء، وحيث أنه سوفسطائي لا أكثر، ثم يترك لمشاهده الحكم على سقراط، أقصد على تلك الصورة المزيفة لسقراط.

لم تكن هذه غاية أرستوفانيس، ولكن الغاية الكبرى لـه، أن يُغتال عقل سقراط، فليس لجزاء ما فعل سقراط شئ سوى الإعدام والإحراق بالناد.

وهنا بيدع أرستوفانيس أديباً - وإن انتكس أخلاقياً - حيث يصور ستربيسيدس نادماً لادماً باكياً حظه، حيث أنه لم يتعلم أي شئ، ولم يستفد شئ، ولعله تذكر نصيحة ابنه فيدبيدس من قبل حين قال له محذراً «إن سقراط شخص بائس لا يتبعه إلا الأوغاد»

ويبدع أستوفانيس في تصوير لحظات الانتفاضة من الغفلة، حيث يقول على لسان ستربيسدس: يا له من جنون، قد فقدت عقلى عندما اعتمدت على سقراط وعباراته الخادعة، من



فضلك يا إلهى هرميس لا تحطمنى، وسامحنى، ولكن لابد أن أنتقم لنفسى.

فيرد أحد الطلاب قائلاً: آه.

ستربيسدس: تعال لتؤدى واجبك بإشعال النار.

الطالب: ماذا ستفعل.

ستربيسدس: سأشعل النار في المنزل.

طالب آخر يسمع الحديث فيخرج ليسأل: من ذا الذى سيُشعل النار في منزلنا.

ستربيسدس: الرجل الذي خدعتموه(8)

تلك هى شهادة أرستوفانيس، ساق الاتهام، وساق الحكم بالإعدام وهى شهادة أقل ما يُقال عنها أنها محض كذب وافتراء، فهى مغلوطة من ألفها إلى يائها.

فأولاً: صوّر الشيوخ مؤمنين بسقراط والشباب ناقمين عليه، وهذه الصورة وحدها كفيلة بدحض شهادته كلياً.

وثانياً: صوّر أرستوفانيس سقراط بأنه باحث في العلوم الطبيعية، مع أن سقراط ذاته قد نفى أكثر من مرة أن يكون قد المتغل ممثل هذه العلوم أثناء الدفاع عن نفسه، وعلى فرض عدم



صدق سقراط، فهل تصوير أفلاطون واكزونوفان وآرسطو لسقراط بأنه رجل الفلسفة الأخلاقية العملية، كانت من محض ابتداعهم، وهل نثق في رواية أرستوفانيس وهو لا يعلم شئ عن الفلسفة ولا نثق في روايات عباقره الفكر البشري على مدار التاريخ، أفلاطون وآرسطو....

سبب ثالث أيضاً لرفض رواية أرستوفانيس وهو أنه ككاتب مسرحي لا يهمه الصدق في النص بقدر ما يهمه نجاح النص وتحقيقه لأعلى نسبة مشاهدة، أيضاً خلط أرستوفانيس بن سقراط والسوفسطائيين، ولعل ذلك يرجع إلى أنه لم يكن فيلسوفاً، وتالياً فهو غير قادر على الحكم على ما يسمعه أو يراه، وبالتبعية أيضاً غبر قـادر على التمييز بين الفكرة والمنهج والغاية، وهو ما دفعه إلى تصوير سقراط كأحد السوفسطائيين مع وضوح التباين بينهما - فالجدل السوفسطائي يهدف إلى الكسب بينما الجدل السقراطي يهدف إلى التعليم.

- الجدل السوفسطائي كان لأجل الجدل ولذات الجدل ويقوم على قلب الحقائق، أما الجدل السقراطي فكان للكشف عن الحقائق.
- الجدل السوفسطائي رسخ لمفهوم النسبية أما الجدل السقراطي فكان يبحث عن التعريفات المطلقة، أو



الثابتة.

- الجدل السوفسطائى كان هادماً للمبادئ والقيم، إذ يمكن
 إثبات القضية وعكسها فى ذات الوقت، أما الجدل السقراطى
 فلم يكن يهتم إلا بالترسيخ للفضيلة والقيم.
- الجدل السوفسطائ كانت وسيلته اللغة وإظهار المهارات
 اللغوية بينما الجدل السقراطى كانت وسيلته التهكم لاستنفار
 قوى العقل.
- الجدل السوفسطائ كانت غايته تزييف الحقائق، أما الجدل
 السقراطي فكانت غايته توليد المعانى.

كل هذا مما جهله أرستوفانيس، وهو غير مطالب بأن يحسن فهم هذا الكلام ويتقن هضمه، ولكنه مطالب على أقل تقدير، أن يفهم الفرق بين الغايتين، غاية سقراط وهي الوصول إلى الحقيقة، وغاية السوفسطائيين وهي الوصول إلى المجد والشهرة وجمع المال.

شئ آخر حاول أرستوفانيس تصويره، وهو كُفر سقراط، حيث أقى به يتحدث إلى السماء وسط تعجب ستربيدس، وهو بهذا المشهد أحسن صنعاً إلى سقراط على غير قصد منه، حيث صوّره باحثاً عن الحقيقة، عن الذات المسببة للوجود، فلم يقبل



الأمور على علاتها، وهذا إن دل فإنها يدل على النزعة العقلية عند سقراط، فهى إذاً تبرز حقيقة جوهر سقراط وليس العكس الذى أراده أرستوفانيس، ولكنه أفلح على أى حال فى أن يكون أحد الأسباب التى ساقت سقراط إلى مصير الاغتيال بها أضفاه عند الرأى العام من سوء سمعة الفيلسوف.

شهادة أرستوفانيس إذاً مشوهة ومغرضة، ورها كان أرستوفانيس أحد الأدوات في أيدى الديموقراطية، بحيث ينطق لسانه بها يأمر به سادته من أصحاب السلطة السياسية كشأن أي عصر به مشكلات سیاسیة، وبه کتاب بـائعی ضـمائرهم ، أو رمـا کـان أرسـتوفانیس مبـدعاً حقاً، لكنه لم يكن يخلط بين الفن والواقع، وإنما كان الفن مقدماً عنده على كل شئ، وبالتالي تصبح تهمة إشباع حاسة السمع التي انتقدها عنـ د السوفسطائين، ملاحقة له أينما حل أو ارتحل، كل هذه الأمور ممكن حدوثها، ويمكن تصديقها، لكن ما لا يمكن تصديقه أبداً هو شهادة سارتون عن أرستوفانيس، حيث وصفه بأنه صاحب قلب كبير ومدح حرية إبداعه وفنه وقوته في مهاجمة كافة السياسيين والشعراء والفلاسفة وعلى رأسهم سقراط، والأغرب من ذلك أن يجهد سارتون نفسه لإثبات أن أرستوفانيس كان معه الحق كل الحق في اتهامه لأي متهم، لأنه



كان يصدرر اتهامه عن تعقل وروية لا عن فن أو تحيز أو بحث عن شهرة، بل زاد الطين بلة أنه ذكر أن هناك عبارة صاغها أفلاطون وكتبت على قبر أرستوفانيس ونصها «حاولت إلهات الجمال إيجاد معبد يبقى على الأيام، فلم تجد أحسن من قلب أرستوفانيس»(9)

ولو فرضنا جدلاً صحة هذا الرأى، فهل كان أرستوفانيس على حق في مهاجمة سقراط؟ وما هو خطأ سقراط؟! هل أخطأ لأنه يريد وضع تعريفات محددة يتعارف عليها الجميع؟! أم أخطأ لأنه أرجع المعرفة إلى العقل وليس الحواس؟! أم أخطأ لأنه حاول تعليم مواطنيه فضيلة البحث عن الحقيقة، والغوص في الجوهر، لا الاهتمام بالعرض؟!.

وعلى فرض خطأ سقراط أيضاً، فهل يُعد البحث في علوم الطبيعة جريمة؟ هل أصبحت الميتافيزيقا والعلوم الكونية مزدراه لدرجة اتهام المشتغلين بها؟

ألم يكن هناك فلاسفة قبل سقراط سموا بفلاسفة الطبيعة؟! إذا ، لماذا سقراط بالذات؟! ولماذا يتفق أرستوفانيس مع السلطة السياسية ف اتهام سقراط، وسارتون يدّعى أن أرستوفانيس كان يسخر من السياسين!! أليست تلك الصورة مغلوطة إذاً؟!



إن الاتهامات التى ساقها أرستوفانيس لم تكن لتشبه الواقع بحال من الأحوال، ولا يمكن الحكم عليها إلا أنها اتهامات جائرة خرجت من شخص معتوه وليس فنان، ولذا فشهادته لا يمكن التعويل عليها مطلقاً أو الإطمئنان إليها، ولكنها على أى حال، أفادتنا ولو بصورة جزئية، فيكفى أرستوفانيس أنه قطع الجدل القائم بشأن حقيقة وجود سقراط، حيث أصبحت شهادته – وإن كانت جائرة – دليلاً على وجود شخص حقيقى بهذا الاسم وبهذا الفكر...

ثم العجيب أن سارتون ينقض ما قاله عن أرستوفانيس في موضع آخر، بالمثل تماماً كتلك التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فتراه يقول بالحرف الواحد ما نصه «لقد كان سقراط رجلاً من أنبل الرجال في تاريخ البشرية جمعاء، وإن وصف أريستوفانيس له «بامرئ حقير» لهو وصف مغرض وسخيف فقد خلط بينه وبين السوفسطائيين المرتزقين اللذين كانوا يجعلون أوهى الحجج تبدو أفضلها «أو بينه وبين جماعة من المتحذلقين الذين كانوا يهتمون بالأمور السماوية أو ما تحت الأرض فوق اهتامهم بواجبات الإنسان»(10) فأى العبارتين فيما قاله سارتون صادق وأيهما كاذب.

هل أرستوفانيس حقاً ذا قلب كبير، وحقاً كان معه الحق كله



في أن ينقد السياسيين والفلاسفة كيفما شاء.

إذاً، فلماذا يعود أدراجه بعد ويقول بأن هذا الوصف الذى قدمه أرستوفانيس لسقراط مغرض وسخيف أليس فى ذلك تناقض واضح تمام الوضوح وجلى تمام الجلاء، إذاً أرستوفانيس حقاً مغرض وسخيف.

لكن السؤال، هل كان سقراط سئ السمعة لأنه كان هدفاً لشعراء الكوميديا مثل أرستوفانيس؟!

والباحث ثاقب النظر، في فلسفة سقراط وما أحيط حولها، يجد أن استهداف المعتوهين من أمثال أرستوفانيس لسقراط، ليس معناه أبدا أن سقراط كان سئ السمعة، بقدر ما كانت تلك الأعمال انعكاساً لشهرة وشعبية سقراط، إذ كان الآثينيون فيما يقول برنت - يستمتعون بشاهدة غرائب أطواره وأقواله، وكانوا يستمتعون بالنكات التي تتخذ من كبار رجال الدولة والفلاسفة هدفاً لها، ويُروى أن سقراط نفسه كان يشاهد تلك الأعمال ويضحك عليها(11)...

ويُذكر أنه سئل ذات مرة عما إذا كان غاضباً مما كتبه أرستوفانيس في مسرحية «السحب» فأجاب قائلاً «حين يطلقون على النكات في المسرح، أشعر كما لو كنت في حفل عظيم بين أصدقائي» (12)



ثانياً: زينوفون:

ولد زينوفون بن جريلوس عام (430ق.م) في آثينا وتوفي في قورنثه في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، وكان شخصاً بالغ التواضع والبساطة، كما كان وسيماً إلى أقصى حد، ويذكر ديوجنس أن سقراط التقى به في ممر ضيق، وأنه مدّ عصاه ليسُد عليه الطريق، ثم سأله عن المكان الذي تباع فيه كل أنواع الأطعمة، وبعد أن سمع سقراط إجابته عن هذا السؤال، سأله سؤالاً آخر مؤداه «أين المكان الذي يغدو به الناس خيرين وشرفاء» ولكن تردد زينوفون وعدم قدرته على الإجابة دعا سقراط إلى أن يقول له «اتبعني إذاً وتعلم مني» ومنذ ذاك الحين أصبح زينوفون تلميذاً لسقراط(13)

والبعض يشكك في صحة رواية زينوفون عن سقراط، باعتبار أنه لم يكن فيلسوفاً، وتالياً فهو لا يفهم الفلسفة السقراطية، في حين أن هذا السبب ذاته هو الذي جعل الآخرون يقبلون ما يرويه زينوفون باعتباره ناقلاً محايداً للتاريخ.

لكن شهادة زينوفون على أية حال غير شهادة أرستوفانيس تماماً، فأقل ما يقال عن زينوفون أنه كان مؤرخاً محايداً وإن لم يكن فيلسوفاً، هذا مع أن بعض النصوص التي تركها زينوفون تؤكد أنه فيلسوف محترم وله رؤية محترمة، فقد أيد حكم العقل



ورفض نظام الطغاة حيث يطالعنا بقوله: «ليس الملوك والحاكمون هم أولئك الذين يحملون صولجاناً، ولا هم أولئك الذين اختارتهم الأغلبية، ولا حتى أولئك الذين اغتصبوا السلطة إما بالعنف وإما بالحيلة، بل هم هؤلاء الذين يحسنون القيادة والتدبير»(14)

وغير هذه النصوص كثير مما يؤكد على أن زينوفون كان فيلسوفاً، الله كان فيلسوفاً يحترم ذاته ويعرف قدره جيداً، ولا غرابة في هذا، فهو تلميذ شرعى لسقراط، لازمه طيلة حياته، وصوّر دقائق وتفاصيل حياة أستاذه بما يتفق تماماً وتلك الصورة المبدعة التي رسمها أفلاطون، الفارق الوحيد أن زينوفون يركز على الحدث، بينما أفلاطون يعطى للأسلوب الأدبى الأولوية على الدوام.

لقد اجتمعت روايات أفلاطون وزينوفون على أن سقراط كان داعية للأخلاق والفضيلة، مؤمن بالعقل أشد ما يكون الإيمان، ولا يوجد أدنى خلاف بين شهاداتيهما، فتصبح شهاداتيهما معاً أوثق من إحداهن منفردة، إذ أن إحدى تلك الشهادات جاءت من فيلسوف مبدع، بينما الأخرى جاءت من مؤرخ معتدل، ولو تعارض أحدهما مع الآخر لفقدنا ثمرة عظيمة اسمها سقراط.



إذاً، سقراط كان حقيقة موجودة بالفعل، أثبتها زينوفون. ثالثاً: أفلاطون (427: 347) (*).

وهو أعظم ثمرة غرسها سقراط، فقد لازمه منذ العشرين من عمره حتى وفاته، ووعى فكر أستاذه بقلبه وعقله، فحفظ لنا كل كلمة قالها أستاذه وأضفى عليها من رونق أسلوبه وجمال روحه وصفاء نفسه ونقاء سريرته، فأصبحت الصورة وكأنها تجسيد لشخص حى تسمعه وتراه.

لكن، هل سقراط - كما ادعى البعض - صنيعة الخيال المبدع لأفلاطون؟!والحقيقة أن هذا سؤال منطقى خالص، لأننا لا نعرف سبباً لعدم كتابة سقراط لآرائه وتدوينه لفلسفته؟! وهذا السبب وحده كفيل بتأييد فكرة أن سقراط كان شخصية خرافية من إبداع أفلاطون!! إذ لماذا لم يكتب سقراط شيئاً مع أن الفلاسفة قبله تركوا أعمالاً مكتوبة حتى وإن كانت هذه الأعمال مجرد فقرات أو أشعار، كما أن الفلاسفة بعده تركوا أعمالاً ضخمة مثل أفلاطون وأرسطو والرواقيين وغيرهم!!

فإذا قيل بأن أفلاطون هو الذى بدأ الكتابة الفعلية فلماذا لم يبدأها سقراط وفارق الزمن ليس ببعيد، وإذا قيل أن من قبله كتبوا فعلاً فلماذا لم يكتب هو؟!



والحقيقة التى لابد من الاعتراف بها أن سقراط لم يكن يتوقع ذلك الخلود، وتالياً فلم يأخذ له عدته، أو ربما يكون الأصوب هو القول بأن سقراط كان يعد نفسه صاحب رسالة محددة، عليه أن يؤديها ولا يلتفت إلى ما سواها، وتالياً فلم يكن يشغل نفسه بالكتابة، بل كان يفنى وقته في ميدان عمله وسط الناس، داعية للأخلاق والفضيلة والتماس المعرفة الحقيقية من أبوابها الأصيلة، أو كما يُقال، من أم الكتاب.

إذاً، أفلاطون – باعتباره التلميذ المخلص لأستاذه – عليه أن ينقل فكر أستاذه إلى الأجيال القادمة بكل أمانة، وقد فعل، لأنه أهل للأمانة، لكن يبقى التساؤل قائماً أيضاً، هل ساق أفلاطون في المحاورات الثلاث الأولى أقوال سقراط بنصها التاريخي، أم ينسج فيها بخياله صورة تمثل أستاذه تمثيلاً صحيحاً، كما يفعل الروائي بأبطاله، ومهما يكن من أمر، فلا ريب في أنه قد وفق وأجاد في ذلك التصوير، فجاء سقراط كما كان في حياته التي أثبتتها الرواية التاريخية، كثير السؤال، قليل الجواب، حاضر البديهة، لاذع السخرية، يحاور محدثه ويداوره آخذاً بزمامه إلى غاية خلقية قصد إليها ودبر لها الحديث.

وذات المعنى أيضاً نجده عند برنت حيث يرى أن كل ما كتبه أفلاطون على لسان سقراط إنما كان حقيقياً، وأن كل ما



فعله أفلاطون أنه كان مؤرخاً كما كان فناناً، وأنه فى كل محاوراته كان مجرد راوية يروى أراء أستاذه ولم يكن يستخدم اسمه كشخصية روائية أو كستار يختفى خلفه.

يمكننا القول إذاً، أن الفلسفة كانت لسقراط بينما كان التأويل الإبداعي لأفلاطون، الذي أفلح في نسج فكر أستاذه في صورة ليس ورائها سوى كل إبداع ورقى وروعة.... إجمالاً، تتفق الصورة التي أبدعها أفلاطون مع تلك الصورة. التي قدمها زينوفون، وهما معاً يؤكدان حقيقة وجود سقراط، يقول شليرماخر «كان البرنامج قد وضع مع مبدأ مقبول به لم يبطل على مر القرون، اعتبار سقراط زينوفون قاعدة و «إخضابها» بسقراط Dialogues دون إدخال الأفلاطونية إليها»(15)

والسؤال الآن للمتشككين في وجود سقراط، إذا كان سقراط شخصية خيالية لا وجود لها، وهي من محض إبداع الخيال الخصب للمبدع أفلاطون، فهل هو شخصية من ابداع زينوفون أيضاً، أو من إبداع أرستوفانيس مع تحفظنا على شهادته!!

ولو كان هذا الفرض صادقاً لما وجدنا أثراً لحياة سقراط الحقيقية والعملية بل كان أفلاطون سيلبسه ثوب الفلسفة لينطق لسانه بأفكاره فقط لا غم.



ويمكننا أن نسأل – بحسن نية أيضاً – هل اتفقت الصورة التى رسمها أفلاطون مع الصورة التى رسمها زينوفون بمحض الصدفة البحتة، هل يلتقى الخيالين ليصورا شخصاً واحداً بنفس الأسلوب وبذات المضمون الفكرى والأخلاقى؟!

وعلى ذات النهج أيضاً نتساءل، كيف يتفق مضمون تأريخ زينوفون مع مضمون تأريخ أفلاطون، والأول مؤرخ في حين أن الثاني فيلسوف!! ألا يدل كل ذلك على وجود سقراط، وأن مجرد الإنصات لمقوله أنه لم يكن هناك ثمة وجود لشخص يدعى «سقراط» يُعد ضرباً من المفارقات التى لا يقبلها عقل.



المعضلة الثانية نبوة سـقراط



أنا على قناعة تامة بأن العقل البشرى الذى هو مناط التكليف وسر التكريم والتشريف من حقه الخوض فى كل شئ إلا شيئاً واحداً وهو ذات الله سبحانه وتعالى، ولذلك أجد عقلى يسأل هذا السؤال، هل كان سقراط نبياً؟!

والذى يجعلنى أقول هذا ما تركه سقراط من دلائل على تلك النبوة، وما تركه القرآن من فسحة في هذه القضية.

أَمْ يقل القرآن مخاطباً النبي الكريم الله الله الوَّوَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَرَسُلاً لَمْ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ مُوسَى تَكْلِيمًا [النساء: 163-164].

إذاً القرآن يُقر حقيقة وجود أنبياء لم يقصصهم علينا، ولم يأت بأخبارهم أو يلمح إليهم سوى في هذه الآية ﴿ وَرُسُلاً لَّمْ



نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ 🕷

ما المانع أن يكون سقراط هو أحد هؤلاء الذين لم يقصصهم علينا القرآن، إن القرآن لم يذكر سوى آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان وإلياس واليسع وزكريا ويحيى وغيسى وذو الكفل ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً»

هذا العدد المذكور قليل جداً إلى عدد الأنبياء والمرسلين، فعن أبى ذر (ه قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: «آدم»، قلت يا رسول الله نبي مرسل؟ قال «نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً» ثم قال: «يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك»(16)

ألا يمكننا القول إذاً أن سقراط هو أحد أولئك المستترين الذين لم يقصصهم علينا القرآن.

ربا يسأل البعض، وما وجه الإدعاء بنبوة سقراط؟! بمعنى



آخر ما الدليل المادى على تلك النبوة المزعومة!!

بادئاً أقول للقارئ الفطن، أنا لا أستطيع أن أجزم بنبوة سقراط، ولكن تلك الفكرة هي إحدى المعضلات لفهم سقراط الحقيقي، وتالياً فأنا أسوق أدلة اجتهادية قد تخطئ وقد تصيب.

الدليل الأول: صوت الوحى.

نرى عبر المحاورات السقراطية، تأكيدات سقراط المتكررة على أنه يتلقى وحياً من مشير يشير عليه أن يفعل وألا يفعل، وقد أشار عليه هذا المشير بأن الموت خير لا شر فيه في فيدون، كما أن الآلهة هى التى لقبته بالحكيم، يقول سقراط «أيها الآثينيون رب سائل منكم يقول: «وكيف شاعت عنك تلك التهمة ياسقراط إن لم تكن أتيت أمراً إذاً، فلو كنت كسائر الناس لما ذاع لك صوت ولا دار عنك حديث، أنبئنا بعلة هذا إذ يؤلمنا أن نسارع بالحكم في قضيتك»(17)

إذاً، صوت الوحى الذى يأتى سقراط جعله مميزاً بشهادة أبناء وطنه وسقراط ذاته، ثم يقول فى توضيح ذلك الصوت الذى جعله يبدو غريباً ومميزاً وليس كسائر الناس، «وأعنى بذلك الشاهد إله دلفى، إنكم ولا ريب تعرفون (شريفون) فهو صديقى منذ عهد الصبا، وهو صديقكم منذ ظاهركم على نفى من نفيتم ثم



عاد أدراجه معكم، كان شريفون كما تعلمون صادق الشعور في كل ما يعمل، فقد ذهب إلى معبد دلفى وسأل الراعية في جرأة لتنبئه إن كان هناك من هو أحكم منى، فأجابت أليس بين الرجال من يفضلنى بحكمته»(18)

إذاً الحكمة السقراطية ذات مصدر إلهى، وهو ما يجعلنا نطمئن إلى القول بنبوة سقراط.

الدليل الثانى: الفلسفة الأخلاقية:

فلسفة سقراط في مجملها أخلاقية، فهو يدعو إلى الفضيلة، وإلى طاعة القوانين حتى ولو كانت ظالمة مما جعل روسو يطلق على سقراط «نبي الدين الطبيعي»، كما أنه لم يكن معتداً أبداً بنفسه لا في مأكل ولا في مشرب، ولا في ملبس، وكان أكثر الناس تواضعاً، أي أنه ليس عالياً في الأرض أو من المسرفين، ونحن لم نعهد مثل هذه الأخلاق سوى عند الأنبياء والمصلحين، مما يجعلنا نطمئن إلى أنه كان نبياً لأنه كان يتمتع بالأخلاق النظرية والعملية، تلك التي جعلت القديس أوغسطين يكتب عنه قائلاً «سقراط أيها القديس، سلام عليك في رحاب الأنبياء»(19)

الدليل الثالث: عدم جزعه عند الموت:

لم يجزع سقراط عند الموت، ولم نعهد عليه سوى كل

اطمئنان وحب لما هو قادم عليه، بل ساق الأدلة - كما سنرى - على أن الموت خير لا شرفيه، وأنه خلود ما بعده خلود، وتحدث عن مصير الأرواح الطيبة ومصير تلك الأخرى الشريرة، وكل حديثه مما أقرته النبوات من بعده، وما سطرته الكتب السماوية عن الثواب والعقاب ألا يدل ذلك على ثبوته ثم اطمئنانه عند الموت ما يشبه الاطمئنان عند الأنبياء بنص حديثه هو حيث يقول «ألا تر أن عندى من روح النبوة ما عند طيور المتم التي إذا أدركت أن الموت آت لا ريب فيه ازدادت تغريداً عنها في أي وقت آخر، مع أنها قد أنفقت في التغريد حياتها بأكملها، وذلك اغتباطاً منها بفكرة أنها وشيكة الانتقال إلى الله الذي هي كهنته، ولما كان الناس يشفقون هم أنفسهم من الموت، تراهم يؤكدون افتراءاً أن طيور التم، إنها تنشد مرثية في ختام حياتها، ناسين أن ليس من الطيور ما يغرد من برد أو جـوع أو ألم، حتى البلبـل والسـنونو، بل حتى الهدهد، الذي يقال عنه بحق إنه يغرد تغريدة الأسي، وإن كنت لا أؤمن أن ذلك يصدق عليه أكثر مما يصدق على طيور الـتم، فهـي إنما أوتيت موهبة التنبؤ لقداستها عند أبولو،فاستطلعت ما في العالم الآخر من طيبات، فطفقت تُغنى لذلك وتمرح في ذاك اليوم أكثر مما فعلت في أى يوم سابق، كذلك أنا، فإنى أعتقد في نفسى بأننى خادم قد اصطفاه الله نفسه، وإني رفيق لطيور التم فيما تعمل، فأنا أظن أنه قد أتاني



سيدى من التنبؤ موهبة ليست دون مواهبها مرتبة، فلن أغادر الحياة أقل مرحاً من طيور التم»(20)

أرأيتم إلى أى حد بلغت شجاعة سقراط وفرحه باستقبال الموت، مما يعطينا الحق في القول بأنه كان نبي، يقول الدكتور النشار ما نصه «لقد واجه سقراط الموت بشجاعة نادراً ما نجدها إلا لمدى كبار المصلحين والأنبياء في التاريخ، وتلك الشجاعة في مواجهة الموت هي ما حفر في أذهان وقلوب المعاصرين له فكان ذلك دافعاً ليخلدوا ذكراه ويخلدوا أفكاره»(21)

إجمالاً، حياة سقراط بأسرها تنم عن قداسة خاصة لا يؤتيها سوى الأنبياء وقليل من المصلحين والحكماء، وحتى على فرض عدم صحة نبوته فهو في أسؤأ الأحوال من أولئك القليل من المصلحين والحكماء، إنه قديس، أو إن شئت فقل متصوف يتغنى باسم الله، فبينما تراه يعلم الناس أن عليهم أن يهتدوا في حياتهم بفهم واع للمبدأ، فإن حياته الخاصة كثيراً ما كان يسترشد فيها بشئ يختلف عن ذلك كل الاختلاف فلقد رأينا أن صوت مهبط الوحى في دلفى هو الذى حوله إلى دراسة الفلسفة الأخلاقية وأنه اعتقد أنه مكلف برسالة من قبل إله دلفى، كما يحدثنا أفلاطون أن سقراط كان في بعض الأوقات يذهب في غيبوبة وكذلك يروى أفلاطون وكسينوفون أنه كان يسمع صوتاً



محذراً وكثيراً ما سار على هديه»(22)

لكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن أيضاً: إذا فرض وجود أدنى إمكانية لنبوة سقراط، فهل يوجد نبي لا يهتم بنشر السلام في منطقة معثه؟

بمعنى آخر ، لقد شارك سقراط فى الحروب البيلوبونزية، ولم يدع إلى السلام بين المدن اليونانية مع أنه رأى بأم عينيه أهوال تلك الحروب وما خلفته من خسائر بشرية ومادية، فهل يُعد هذا نبياً؟!

أيضاً، في كل محاورات سقراط، لم يتحدث سوى إلى الآثينيين، ففى كل كلمة يريد قولها يقول «أيها الآثينيون» فهل هو نبي محلى، لا تتجاوز دعوته إطار مدينته، لو كان محلياً لجاز أن يرسل إلى جزيرة اليونان بأكملها وليس إلى مدينة واحدة، هذا مجرد فرض عقلى بحث!! وبذات المنطق نتساءل، لماذا خص سقراط بالذات بالوحى؟! لم نقرأ أو نسمع عن أحد من سابقيه ادعى مثل هذا القول، ولم نسمع عن أحد من لاحقيه مثل هذا القول، صحيح أن أتباع فيثاغورت ادعوا له النبوة، لكنه لم يجرؤ أن يتحدث عن وحى يأتيه أو مشير يشير عليه مثلما فعل سقراط!!

إذاً ادعاء سقراط للنبوة، وادعائه تلقى الوحى عن الآلهة أو



وجود مشير يشير عليه أو روح خفية تخاطبه بأن يفعل وألا يفعل، كل ذلك غير معهود في تاريخ الفلسفة السابقة على سقراط، خاصة الفلسفة اليونانية، حتى أولئك الذين ادعوا النبوة لم يأتوا عليها بدليل مثلما فعل سقراط، ومن ناحية أخرى محلية دعوة سقراط واقتصارها على آثينا فقط تلقى بظلال الشك على مسألة النبوة، لتبقى في النهاية الإجابة على السؤال هل كان سقراط نبياً؟! إجابة عسيرة، ولكن يشفع لها أنه إن لم يكن نبي فهو على الأقل من المصلحين العظام في تاريخ الجنس البشرى، وإن كان هذا لا يلغى أبداً كنة التساؤل عن النبوة، إذ أن الدلائل كثيرة، والاعتراضات أكثر، مما يضفى على تلك المعضلة طابعاً خاصاً من الظلام وانعدام الرؤية إلا بقدر اجتهاد المجتهدين ليس إلا.

ولعل الإنصاف يقتضى أيضاً التساؤل، هل سبق وأن رأينا قديسين ليس لديهم ما يبشرون به، وأنبياء لا يعلنون عن أى رسالة، ومدعى رؤى ليس عندهم أى مذهب لإعلانه للعالم، ولا أى عقيدة لفرضها أو أى إرشاد علونه؟ سقراط وحده هو المنوط بالإجابة عن تلك الأسئلة.



المعضلة الثالثة

المنهج والغاية والسؤال



هناك فروق جوهرية عديدة بين منهج سقراط ومنهج السوفسطائين، فالقول بأنهما معاً يشتركان في المنهج (الجدل) ليس له أساس من الصحة، إذ كان منهج سقراط يقوم على التهكم والتوليد، وهو غير منهج الجدل الذي أسرف في استعماله السوفسطائيون، وكذلك هناك فروق واضحة في الغايات بين المذهبين، فسقراط يهدف إلى وضع تعريفات ثابتة تصلح لكل زمان ومكان والسوفسطائيين يأخذون من قولهم بنسبية المعرفة ذريعة لهم لتغيير آرائهم بتغير المصالح، أو باقتضاء المواقف التي تستجد، فهي غاية ليست نبيلة، وليست شريفة، ولن تُجدي أو تُفيد عِثقال ذرة.

هذه الفروق في المنهج والغاية والسؤال السقراطي، هي إحدى المعضلات الكبرى كي نفهم سقراط.

لقد كانت مهمة سقراط شاقة حقاً، فقد كان يذهب إلى حيث يكون الآثينيون في منازلهم، في الولائم، في المعهد



الرياض أو في قاعات الرياضة، وبخاصة في الجورا (الساحة العامة للمناظرات السياسية)، قلب المدينة ومركز التبادل أو اللقاءات، حيث الطبقة الدنيا من التجار المتجولين وأكواخ العطارين والحلاقين تحيط بالمكان، والنساء في بيوتهن لتدبير الأسرة، وأكثر المنشغلين من الناس الأحرار يكملون مهامهم، والأرقاء يشتغلون في خدمة السادة وإقرار السلام العام، بالاختصار – على حد تعبير باركر – يخيم النظام الآثيني ويترك للمواطنين متعة البطالة وأوقات الفراغ للمحادثة(23)

أضف إلى هذا الجو العام، جو خاص يتمتع به سقراط، حيث كان له أسلوب عظيم يتمثل في الجدل، فبدلاً من الأسلوب الأيوني القائم على إجمال نتائج سبق الوصول إليها في نثر غامض أو شعر ملئ بالألفاظ المبهمة، وبدلاً من الأسلوب السوفسطائي القائم على الترتيب المنظم للموضوعات وفق خطة موضوعة وفي حديث فصيح(24) أخذ سقراط بهنهج السؤال الواضح والمحدد، والبحث عن إجابة تتمتع بذات القدر من الوضوح والتحديد.

وربما قيل إن الجو الديموقراطى أعطى لسقراط الحرية ليقول ما يشاء، ولكن ما لا يدركه الكثيرون أن طبيعة شخصية سقراط هى التى فرضت منهجه وسيرته وفلسفته، لأنه على فرض أن أحد الطغاة هو الذي يحكم آثينا آنذاك، فإن ذلك



لن بغير من طبيعة سقراط شيئاً، لدرجة تجعلنا نقول، إن سقراط لم يكن متمتعاً بحرية الكلمـة بسـبب نظـام سـباسي، ولكنـه كـان متمتعـاً بحرية الكلمة بسبب تركيب نفسي وعقلي فريد من نوعه.

على أي حال تبدو لي المشكلة بن سقراط والسوفسطائين متضمنة في نقطتن اثنتن، الأولى أن السوفسطائين ادعوا تعليم الناس منهجاً للحباة في ذات الوقت الذي ادعوا فيه نسبة الحقائق.

والثانية أنهم علَّموا الناس الخطابة دون أن يوجه وهم إلى الغاية من هذا العلم، وبالتالي وضعوا أسلحة في يد من لا يحسن استخدامها. ولنذهب إلى بروتاجوراس مثلاً، لنجد فيه هاتين الصفتين متأصلتين ، إنه كان بدّعي أن أي شخص بقصده لابد وأن بتعلم فن السياسة، فيقول «ولكنه إذا جاءني فإنه سيتعلم هذا الذي جاء لتعلمه وهو حسن التدبير في حياته الخاصة والعامة، سيتعلم كيف يرتب داره خبر ترتيب، وسيصبح قديراً على القول والعمل في مباشرة شئون منصبه»(25) في هذا النص، الوسيلة سيئة، والغاية أسوأ.

الوسيلة الجدل أو فن الحديث، والغاية شكلية، غير ذات مضمون. فلو أن بروتاجوراس قال: «وسوف أحاول أن أغرس فيه



الفضيلة الحقيقية بغض النظر عن الشكليات» لما كان سوفسطائياً، ولكنه بصفة عامة يختصر المذهب السوفسطائي في أقواله وأفعاله وغاياته.

لقد كانت الغايات كلها منصبه حول جمع أكبر قدر ممكن من الثروة، فهم يثبتون الشئ أو نقيضه في آن واحد، ويساعدون الناس على تحقيق أمانيهم فقد كان بإمكان أى مواطن عادى أن يتعلم فن السياسة على يد أحد السوفسطائيين ثم يصبح من دعائم النظام السياسي أو القضائي في آثينا، لا لشئ سابق في نفسه، ولا لفضيلة تكمن في ذاته، ولكن لأنه بين عشية أوضحاها قد تعلم الجدل على يد السوفسطائيين (26)

حقاً، لقد سعى السوفسطائيون إلى جمع المال بقدر ما تسعفهم طاقاتهم، وعلى حساب أى شئ، رغم أن بروتاجوراس حاول دفع تلك الشبهة من قبل بقوله «حينما يريد أحد أن يتتلمذ على فإنه يدفع الثمن إذا أراد، ولا إجبار في ذلك،وإذا لم يرد فعليه أن يذهب إلى المعبد ويأخذ على نفسه عهداً بتقدير قيمة التعاليم ولا يدفع أكثر مما يعلن أنه قيمتها»(27)، فقد يبدو هذا تبريراً منطقياً، لكنه ليس له أدنى قيمة من الناحية العملية.

إجمالاً، مكننا القول أن ما يفعله السوفسطائيون لا يُعد تعليماً بقدر ما يُعد ارتقاءاً بالمهارات وتنمية للقدرات لا أكثر،



أما ما يفعله سقراط فقد كان مغايراً تماماً، إنه كان يغرس الفضيلة فى النفوس غرساً، فضيلة المعرفة، وفضيلة البحث عن الحقيقة، وفضيلة الثبات على المبدأ مع تغير الظروف، وغير ذلك من فضائل عديدة مارسها سقراط نظرياً وعملياً.

منهج سقراط:

لعل التساؤل الآن يصبح بشأن المنهج، ما هو المنهج الذى استخدمه سقراط ليصل به إلى غاياته؟! تلك الغايات التى اتفقنا أنها البحث في المضمون وليس الشكل، الجوهر وليس العرض. لقد لجأ سقراط إلى منهج جد جديد، لم يعهد من قبله، إنه منهج المتهكم والتوليد.

لقد كان والد سقراط يعمل نحاتاً. ويمكن إطلاق اسم التهكم على هذه المرحلة وأمه كانت تعمل قابلة - ويمكن إطلاق اسم التوليد على هذه المرحلة - وهما اللذان تركا أثراً كبيراً على سقراط، تقول الدكتورة هدى الخولى «ويبدو أن مهنة والدى سقراط كان لها أثراً كبيراً على الفيلسوف، والذى يظهر في تاريخ الفلسفة كنحات للعقول وكمولد للمعرفة في ذات الوقت» (28)

والتهكم عند سقراط معناه أن يبدأ سقراط بسؤال محدثه مدعياً الجهل، مما يشعر المسئول أنه أعلم من سقراط ويُضفى



عليه الزهو والخيلاء، ولكن سرعان ما يأخذ سقراط إجاباته غير المتناسقة ويفندها، ليبين أوجه القصور والخلل فيها، وكان سقراط لا يذهب إلا إلى المشاهير في فنهم، فإذا أراد أن يسأل عن العدالة ذهب إلى أكبر القضاة، وإذا أراد أن يسأل عن الشجاعة ذهب إلى أشجع الأبطال، وإذا أراد أن يسأل عن التقوى يسأل من اشتُهر بتلك الصفة وهكذا.

أما مرحلة التوليد فنجد سقراط يعيد بناء المعرفة على أسس جديدة بعد أن يكون قد طهّر نفس محدثه من الأوهام والآراء المزيفة.

ولعل قائل يقول بأن منهج التهكم الذى استخدمه سقراط كان يسئ إلى خصومه ويجرح كبريائهم، وفى ذات الوقت الذى يضيق به الشيوخ ذرعاً، ينجذب إليه الشباب انجذاباً. ولكن هذا المنهج وإن كان حقاً يجرح كبرياء الخصوم، فهم أنفسهم الذين يتسببون فى هذا الجرح، لأنهم يتعالون على سقراط ويأخذهم الغرور، والمثل الأكثر شهرة هو موقف سقراط من جلوكون، أخو أفلاطون، حيث لم يكن جلوكون قد تجاوز العشرين من عمره، إلا أنه كان شديد التطلع إلى مناصب الحكم دون علم كاف بما يتطلع إليه، ولما لم تُجد محاولات والده وأصدقائه فى شفائه من داء الغرور والإدعاء الذى أثار



عليه السخط العام تدخل سقراط إشفاقاً عليه واكراماً لأخيه أفلاطون وبدأ يوجه له الحديث الذى انتفخت له أوداجه فى بادئ الأمر، ولكن لم يكد سقراط يسترسل معه فى الحوار حتى انتهى الحديث بإدراك جلوكون لجهله بكافة أمور السياسة والاقتصاد والحرب، وهى من أخص شروط الاشتغال بالسياسة، وعندها أدرك جلوكون بأن سقراط إنها كان يسخر منه (29)

ولكن سخرية سقراط لم تكن أبداً من خصم، ولكنها كانت من ادعاء الخصم، فقد كان سقراط متواضعاً في غير ترفع، وحسن الخلق في غير ابتذال، يقول سيرون «الحكماء هم الذين امتلكوا زمام العلم والقسط والتواضع، وسقراط في حكمته جمع بين الصفات الثلاث، لدرجة تجعلني لا أقول أن سقراط كان حكيماً ولكن أقول إنه كان أحكم الحكماء (30)، ولقد تمثلت تلك الحكمة في جملة واحدة رائعة يقول فيها «أنا لا أعلم، وأعلم أنني لا أعلم، في حين أن غيري لا يعلم، ويجهل أنه لا يعلم»(31)

إجمالاً، لقد لجأ سقراط إلى منهجى التهكم والتوليد لثلاثة أسباب: الأول: أنه ربما كان يريد الوصول إلى علة تنبئه عن حقائق وجواهر الأشياء المسئول عنها.



الثانى: أنه ربما أراد توليد المعرفة لدى الآخرين بحكم عقيدته التى تقر بفطرية المعرفة وعدم إمكانية تعلمها.

الثالث: أنه ربما أراد أن يصل إلى حقيقة واحدة مؤداها «أنه لا توجد حقيقة»(32)

وعلى فرض صحة هذه الأسباب، فهل يُعد انكار سقراط أنه يعرف شئ انتقاصاً من شأنه أم رفعة لقدره، حيث يضع نفسه في نصابها وحيث يعلم حقيقة حجمها؟

ما يدلك على صحة ما ذهبنا إليه من رأى هو موقفه مع أوطيفرون

لقد التقى سقراط بأوطيفرون فى دهليز كبير القضاة، إذ كان لكل منهما عند القاضى مسألة قصد إلى انجازها، أما سقراط فقد جاء فى شأن القضية التى اتُهم فيها بالإلحاد والتى أقامها عليه «مليتس»، وأما أوطيفرون فقد جاء مدعياً فى قضية قتل أقامها على أبيه، إذ أن رجلاً من أتباع أسرة أوطيفرون قتل عبداً من عبيدها فى «ناكسوس» فأمر والد أوطيفرون بالقاتل فشد وثاقه وألقى فى خندق ريثما يستفتى علماء الدين فى آثينا عما ينبغى أن ينزل بهذا المجرم من صنوف العقاب، ولكن المنية لم قضى نحبه لما ألجانى حتى يعود الرسول من آثينا حاملاً للفتوى، فقضى نحبه لما أصابه من جوع وبرد، فلم يتردد «أوطيفرون» فى أن ينتهم أباه



بجرية القتل.

لكن السؤال الآن، لماذا يتهم أوطيفرون والده بالقتل؟

أو ليس القاتل قد قتل، فهى مسألة على أقل تقدير من باب النفس بالنفس!!

والسؤال الثاني، ما علاقة أوطيفرون بدفاع سقراط حتى يفردها جويت ضمن محاورات الدفاع.

إن الدفاع وأقريطون وفيدون متصلون بعضهم ببعض بطريقة منطقية وتسلسلية محترمة لأنهم يقصوا علينا دفاع سقراط ثم محاولة تهريبه ورفضه ثم مأساة الاغتيال، هذا تسلسل منطقى، ربحا قيل إن سقراط متهم بالفجور، وأوطيفرون تقى لأنه نحى المشاعر جانباً ورفع دعوى قضائية ضد والده متهماً إياه بالقتل، وما فعل ذلك إلا بدافع التقوى، فسقراط يريد أن يعرف تحديداً لمعنى التقوى حتى يستعين به في دفاعه عن تهمة الفجور، ولعل ذلك هو الرأى الذى اطمئن إليه الجميع، في حين أنه لا يمثل الحقيقة، لا من قريب ولا بعيد!!

إذاً، ما الدافع للمترجم أن يضم هذه المحاورات ويربطها بسلسلة واحدة!! وهل ربطها أفلاطون ذاته وهو كاتبها بسلسلة واحدة، أسئلة لا أعلم لها إجابة.



على أية حال، لنأخذ العبرة من منهج سقراط في هذه المحاورة، حيث كان التهكم بمثابة إشباع لغرور الخصم، ويتضح ذلك جلياً من قول سقراط لأوطيفرون، مثلاً «يا للألهة يا أوطيفرون! ما أقل ما يعلم غمار الناس عن الحق والصواب، إنه لابد للإنسان أن يكون ممتازاً وأن يكون قد خطا في الحكمة خطوات فسيحة، حتى يستطيع أن يتلمس سبيله إلى مثل هذه الدعوى.

فيرد أوطيفرون، قائلاً: حقاً يا سقراط، لابد أن يكون كذلك»(33) ثم يمتلئ أوطيفرون بالغرور فيتم حديثه بقوله «إن أفضل ما ف أوطيفرون وهو ما يميزه يا سقراط عن سائر الناس، هو دقة علمه بمثل هذه المسائل جميعاً، وهل ترانى أصلح لشئ لو سلبتنى هذا العلم؟

وهنا أيضاً يشبع سقراط غرور أوطيفرون أكثر فيقول له «أيها الصديق النادر، أحب أن خير ما أصنعه أن أكون تلميذاً لك، وإذا فسأتحدى مليتس قبل أن تحين المحاكمة معه، وسأقول له، إننى ما فتئت عظيم الشغف بالمسائل الدينية فما دام يتهمنى بطيش الخيال والإبداع في الدين، فقد أصبحت تلميذاً لك»(34)

وهنا تنتفخ أوداج أوطيفرون فيقدم لسقراط مثلين للتقوى



فيرد عليه سقراط بقوله «تذكر أنى لم أطلب إليك أن تضرب لى مثلين أو ثلاثة للتقوى، بل أن تشرح الفكرة العامة التى من أجلها تكون الأشياء التقية كلها تقية، ألا تذكر أن ثمة فكرة واحدة من أجلها كان الفاجر فاجراً والتقى تقياً»

وهذه العبارة وحدها تلخص منهج سقراط بأسره!! إذ أن سقراط يريد تعريفاً عاماً، بحيث ينبع الفعل من العقل لا العادة، الفكر لا العرف.

أما أوطيفرون فكل تصرفاته من محض اشتراطات العادة.

وهنا يقدم أوطيفرون تعريفاً جديداً فيقول «إذن فالتقوى هى ما هو عزيز لدى الآلهة، والفجور هو ما ليس بعزيز لديهم»(35)

بالاختصار، يأخذ سقراط هذا القول ويفنده، ليثبت لأوطيفرون أن كلامه لا يصلح تعريفاً عاماً مجرداً، فيتوسل إليه سقراط أن يعلمه حقيقة التقوى والفجور، ولكن أوطيفرون يتعلل بضيق الوقت وانشغاله، فيقول له سقراط متهكماً «وا أسفاه يا رفيقى، وهل تخلفنى في يأس؟ لقد كنت أؤمل أنك ستعلمنى طبيعة التقوى والفجور، وعندئذ أستطيع أن أبرئ نفسى من مليتس ومن دعواه، كنت سأقول له إننى استغرت بأوطيفرون ونبذت بدعى وتأملاتي الطائشة التى انغمست فيها



بسبب الجهل، وإننى أوشك الآن أن أحيا حياة أفضل» (36)

وهكذا تنتهى المحاورة دون الوصول إلى تعريف واضح ومحدد، أو دون إشباع رغبة سقراط المتطلع إلى المعرفة، وهذا يعنى – النهايات السلبية للمحاورات السقراطية – أن سقراط كان يكتفى بإفراغ عقول محاورية من معارفهم الزائفة ليضع بذلك عقولهم على بداية الطريق الصحيح للمعرفة إذا ما تنبهوا إلى معرفة معنى «التعريف الشامل» المطلق، إنه يحثهم على إدراك هذا التعريف المطلق ويبين لهم كيفية الوصول إليه دون أن يقدمه لهم(37)

وربما يقول قائل، إن سقراط يفند الآراء بشأن أى تعريف، فليعط هو تعريفاً من عنده يراه صائباً فى النهاية، ولكنه لا يفعل ذلك، إذاً فما المغزى من الحوار؟ ربما لم يفعل ذلك اعترافاً بجهله، فهو جاهل يعلم أنه جاهل وهو ما يتفق مع نبوءة الكاهنة، وربما لم يفعل ذلك إيماناً بفطربة المعرفة فيترك للناس فرصة التذكر.

إن كل ما كان يريده سقراط هو وضع تعريفات ومبادئ محددة لا تتغير بتغير الظروف والمواقف، وهذه التعريفات إنا تستمد على الأقل من مبدأ أخلاقى يحافظ على ثبات القيم لا نسبيتها، لذا ربها قيل أن سقراط، كان يخاطب الضمير الإنساني



أينما حل أو ارتحل بأن يتكلف البحث عن الجوهر لا العرض، عن المضمون لا الشكل، ولعل تلك المعضلة كانت إحدى مبررات اعدام سقراط إنه لم يكن ليرضى عن نسبية بغيضة إلى نفسه كل البغض، ولم يكن ليرضى عن الأسلوب الخطابي الذي يشبع حاسة السمع لا حاسة العقل، وتالباً فقد كان سقراط مسبباً للتوتر العقلي في نفوس مستمعيه، كان مِثابة الذبابة اللاذعة التي تحرك الشوق إلى المعرفة، تلك الذبابة التي حكى عنها في دفاعه، إنه توتر عقلي من مستوى رفيع.

إن كل ما يستطيع أن يؤديه سقراط بحسب زيللر - هو أن يخلع عن الناس طمأنينتهم العقلية ليحل محلها توتراً عقلياً ويجعلهم في حالة من الاضطراب، وكثراً ما أحدث سقراط هذه النتيجة بأن كان بدعى أنه يود التعلم على آخرين - مثلماً حدث مع أوطيفرون - ثم سرعان ما يظهر نقصهم العقلى خلال الحديث(38)

الغابة:

رُمِا يسأل سائل، وما هي الغاية من منهج سقراط [الـتهكم والتوليد]؟ ولعل الإجابة على ذلك تكمن في أن سقراط آثر أن يستعمل نفس أسلوب السوفسطائيين في الجدل، لكن شتان بين جدل يبنى، أو على الأقل يوقظ النفس من سباتها، وجدل



يهدم، أو على الأقل يطفئ في النفس قيمتها.

كذلك شتان بين الغايتين، غاية سقراط تثبيت أركان القيم، ووضع تعريفات ثابتة، وغرس القيم وترسيخ الفضيلة، وغاية السوفسطائيين الكسب المادى وتحقيق شهرة زائفة لا أكثر، تلك الغاية هى التى كانت تبيح لهم قلب الحقائق وتعليم الناس الخطابة واستغلال مهاراتهم اللفظية ومواهبهم في قدرات الذكاء المتعدد للكسب المادى فقط لا غير.

خلاصة القول في الفارق الرئيسي بين التعليم السوفسطائي الذي أقل ما يقال ما يقال عنه أنه هادم لكل معرفة، وتعليم سقراط الذي أقل ما يقال عنه أنه نبيل الغاية، يكمن في قول الدكتور بدوى «أجل، إنه لا يطلب من السوفسطائي أن يخلق قادة من حيث لا تسمح الطبيعة بإيجاد القادة، فإن هذه الصفات التي تستلزمها القيادة مثل حضور الذهن والمثابرة والاقدام، وهي الصفات التي تطلبها ثيوكيديدس من السياسي، لكي يكون على رأس دولة وبها وصف ثموستوكليس، نقول إن هذه الصفات فطرية وليس للسوفسطائي أو لأى كائن من كان أن يخلقها في نفس الرجل، ولكن الشئ الذي يمكن بل ويجب أن يربى عليه الإنسان فهو الخطابة، والقدرة على التأثير في الناس، أي الناحية الشكلية في الروح الإنسانية، لذا سيكون الغرض الأصلى للتربية متجهاً إلى



الناحية الصورية في الرجل، فهى إذن مبدأ صورى في الشخص الذي تكون فيه»(39)

إذاً، السوفسطائيون لا يهتمون سوى بالناحية الشكلية من الصورة الإنسانية وسقراط لا يهتم سوى بالناحية الجوهرية من الروح الإنسانية (وليست الصورة الإنسانية) ولو لم يوجد فارق بين الغايتين سوى هذا الفارق لكفى بأن يخلد اسم سقراط ويسمو بغايته.

السـؤال:

سقراط كان كثير السؤال قليل الإجابة، فهو يسأل كثيراً، ولكنه لا يعطى إجابات لما يطلقه من أسئلة.

لقد كان سقراط دائم السؤال عن معنى الشئ؟ وقد نقول لماذا يهوى سقراط افزاع الناس بأسئلة قد يجد إجابتها في القاموس اللغوى بكل بساطة؟ بمعنى أنه يسأل عن الشجاعة مثلاً، فبدلاً من أن يسأل لاخيس، فليتوجه مباشرة إلى المعجم وسوف يجد إجابة وافية لسؤاله.

ولكن المعنى الذى يقصده سقراط ويبحث عنه لم يكن أبداً مجرد المعنى اللغوى أو المعجمى أو الشفهى الذى تذوب فيه العبارات، ولكن المعنى العقلى الذى يمكن أن يتفق عليه



الجميع كان هو مقصود سقراط من هذه الأسئلة.

يدلك على ذلك مثلاً عندما سأل سقراط عن معنى الشجاعة، أجابه لاخيس بقوله «عندما يبقى الجندى في مركزه يصمد في وجه العدو بدلاً من الهرب، فاعلم أن هذا الجندى شجاع» ولكن هذا ليس تعريفاً، فهو لا يعطينا معنى ولكنه يعطينا توصيفاً ليس إلا، يعطينا إطاراً وصفياً عاماً لشكل الكلمة لا معناها أو مضمونها. ويلاحظ أيضاً أن الأسئلة السقراطية لم تكن ذات دلالات تفسيرية واحدة، بمعنى أن هناك من يفسر الأسلوب السقراطي بأنه تهكم دائم لا جد فيه، وهناك من يفسره بأنه جد لا تهكم فيه، وهناك من يفسره بالحكمة المطلقة لصاحبها، ومن يفسره بالعرافة والكهانة ومس الجن (40)

ولكن اختلاف هذه الدلالات التفسيرية إنما يرجع إلى سببين رئيسيين:

الأول: أن سقراط عُد مبتكراً لعلم المنطق لأنه ابتكر الاستدلالات الاستقرائية فيما يشهد له بذلك آرسطو، وذلك في الانتقال من تعريف إلى آخر محاولاً الوصول إلى جوهر التعريف الذي يبحث عنه، فهو ينتقل من مقدمة إلى نتيجة ثم يرفض كلاهما في مشهد استقرائي بديع، مما يضفي المنطقية على سؤال سقراط، ومما يخيل للقارئ أو للمستمع أن سقراط لا يفعل شئ



سوى التلاعب بالألفاظ، ولكن ما يفعله سقراط هو استقراء المعاني الحقيقية التي تُساق خلف الكلمات.

والثاني: أن جدل سقراط كان هادفاً مع أقوام غرهادفن، معنى أن لاخيس مثلاً كان يشارك سقراط في السؤال عن رياضة المسايفة، هذا سؤال شكلي إلى أبعد حد، فجاء سقراط ليغير مجري الحديث تماماً، بالتساؤل وماذا تفعل المسايفة، إنها لن تصنع من الجبان شجاعاً أبداً، وهنا يتحول مجرى الحديث لأنهم كانوا مستعدون للحديث في شئ، بينما وجههم سقراط وجهة أخرى ليوجه سقراط أنظارنا بذلك إلى أهمية أن نعرف ماذا نريد فعله ثم بعد ذلك نبحث عن الوسائل التي مَكننا من ذلك، وليس العكس، أي لا يصح أبداً أن نسأل عن الوسيلة، ثم بعد ذلك نحدد الهدف منها.

هذا المنهج في السؤال في حد ذاته منطقى مائة بالمائة، فلماذا لا نفهم سقراط إذاً، هل لأن السؤال يُعد معضلة؟! هل نختزل سقراط في سؤاله، أو على حد تعبير ولف «هل سقراط ليس سـوي مضـايق سـار؟ ألـيس حـائلاً دون الفكر الدائري يهوى ازعاج الضمائر وافراغ الرؤوس الممتلئة تماماً؟ هل هذه هي السقراطية وحسب؟ هذا الإزعاج الذي يجعل يقيننا يُصر، وهذا الطرح للمناقشة، وهذا الارتياب الدائم (41) هل كان سقراط



يدور في الأسواق ويلقى أسئلته على الجميع للكسب المادى أم لمحض المتعة الجدلية أم لماذا؟

ومن ناحية أخرى هل كان سقراط يبحث في المحدد أم المطلق، معنى آخر هل كان يهتم باضفاء جوهر الفكر على الفكرة؟ أم يهتم مضمون الشئ عن ظاهره كل هذه الأسئلة قد تشعر المهتمين بسقراط بأنها معضلات كبرى صعبة الإجابة!! ولكن المتعمق بعينين غائرتين في فلسفة سقراط يرى أنه يتلخص في كلمتين اثنتين «البحث عن الحقيقة»

نعم، تلك هى حقيقة سقراط، وتلك هى غاية سقراط، إذاً مكننا القول، بأن منهج سقراط ذاته أثار المشكلات، والغاية عند سقراط أثارت الاختلافات حولها، وسؤال سقراط أثار الشبهات حوله، بحيث نقرر بكل اطمئنان أن الثلاثة اشتركوا في اغتيال سقراط، نعم، لقد أثار منهج سقراط حوله العديد من الخصوم الذين لم يكن لهم غاية سوى المال والشهرة، كما أثار سؤاله أيضاً العديد من الخصوم خاصة أولئك الساسة والقادة والمشاهير، الذين كانوا يظنون في أنفسهم الأهلية الكاملة للعلم والقبادة.

هو صراع إذاً بين شكل ومضمون، بين عرض وجوهر، بين علم راسخ، وجهل هش، وتلك المعضلة كان لها نصيب الأسد في اغتيال سقراط.



المعضلة الرابعة المعرفة والفضيلة



المعرفة

قثل الفضيلة والمعرفة وعلاقتهما ببعض معضلة كبرى عند سقراط، فهى معضلة واجهت العديد من المشكلات والاعتراضات، إذ عند سقراط أن المعرفة تساوى الفضيلة، وأن الفضيلة هى المعرفة، ومن هنا فإن من يعرف الخير يستحيل أن يقدم على فعل الشر، بل من يعرف الخير حتماً سيأتيه، وتلك هى الإشكالية الكبرى التى تواجه هذا الرأى إذ أننى بشر، وسقراط بذلك يريد أن يجردنا من بشريتنا، لأن النفس الإنسانية عقل وشهوة، ولا يمكن بحال من الأحوال كبت أحد شقيها، يقول سقراط «لتختلط العدالة وجميع الفضائل الأخرى بالمعرفة، إذ أن الأعمال العادلة وجميع الأعمال الفاضلة هى صالحة وجميلة، والحال أن من يعرف الجميل والخير لا يمكن أن يختار شيئاً أخر، ومن لا يعرفها لا محكنه ممارستهما»(42)

إذاً عند سقراط الشريقع نتيجة الجهل والفضيلة نتيجة العلم، لكن السؤال الآن هل السعادة تساوى الفضلة؟



ععنى آخر هل كل الفضلاء سعداء وكل السعداء فضلاء؟!

قطعاً لا، لأنه كم من فضلاء غير سعداء، وكم من سعداء ينتهكون كل قوانين الفضيلة، فتلك معضلة واجهت سقراط في نظرية المعرفة. فهل أراد سقراط أن نرتطم بجميع هذه الإشكاليات؟ هل أراد من الإنسان الذي يعلم الخير أن يأتيه بالإكراه؟

قد يقول قائل، نعم، لأنه يريد أن يجردنا من بشريتنا!! ولم لا نقول إنه يريد أن يسمو بإنسانيتنا، وأن نتجاوز مرحلة البشرية، فهذا توصيف يصدق على سقراط نظرياً وعملياً، وهى فكرة نابعة أيضاً من صميم مذهب سقراط «اعرف نفسك» وهو ما يؤكد أهمية العلم عند سقراط، ومن ثم تكون البذرة الأولى للحاكم الفيلسوف، يقول سقراط «إن الإنسان إذا كان يفعل الخير بناء على المعرفة الأخلاقية، فإنه أيضاً إذا ما أقبل على الشر فليس هذا لكونه شريراً بالطبع، بل لأنه يجهل ما قد أقبل عليه من الشرور، لأن صاحبه يفتقد المعرفة بنفسه ووجودها ومعرفة ما يناسبه» (43)

ويزيد سقراط فكرة أن الرذيلة جهل وإثم في ذات الوقت وضوحاً بقوله «إن من يميز بين كل الأعمال الممكنة، العمل الذي يلائم نفسه، فإنه لا يتردد في الاختيار وحينما يفعل الإنسان



الشر فإنه يكون جاهلاً بقدر ما يكون آثماً»(44)

إذاً ما هو الواجب على الإنسان، أن يفعل الخير طالما علمه؟ أم يفعل الشر مع علمه بالخبر؟!

تلك أيضاً معضلة كبرى فى فهم فلسفة سقراط،إذ أن الإنسان الذى يُقبل على فعل الشر مع علمه بالخير فهو حتماً فاقد لشرف ما فى نفسه ومنتهك لكل ما بداخله من مبادئ الإنسانية، وعلى قدر هذا الانتهاك يكون إثمه وجهله لخير ما فى نفسه.

لقد كان سقراط متعجباً من البشر، خاصة أولئك الذين يعنون كل العناية بالآف الأمور الثانوية مثل الثروة والشهرة والجاه، ويهملون الشئ المهم وهو تثقيف أنفسهم وتعليمها الحكمة، بل يفضلون متاع الجسد على متعة الروح، وذاك هو عين الانتقاد الذى صاغه أفلاطون فيما بعد، وعين الانتقاد الذى امتلأت به الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط.

ولكن السؤال أيضاً الآن، أن المعرفة تقتضى فعل الخير، وأن فعل الشر رذيلة وجهل، فهل يتساوى الجميع وفق هذا الميزان؟

هنا نرى سقراط حتى يخرج من هذه المعضلة - يؤكد على



فكرة أن المعرفة فطرية في النفس البشرية وأن دور الإنسان يقتصر فقط على التذكير بها، يقول سقراط على لسان سايبس ما نصه «.... منها برهان ساطع تقيمه الأسئلة، فإذا أنت ألقيت على شخص سؤالاً بطريقة صحيحة، أجابك من تلقاء نفسه جواباً صحيحاً، فكيف استطاع أن يفعل ذلك، ما لم تكن لديه من قبل معرفة ومنطق مصيب، وأكثر ما يكون ذلك وضوحاً حينما يعرض عليه شكل هندسي، أو أي شئ من هذا القبيل؟(45).

ويؤكد أفلاطون ذاته هذا الكلام في محاورة مينون، حيث أتى بصبى لا يعرف الهندسة أو الحساب، ثم يبدأ سقراط بسؤاله هل ذهب إلى أى مدرسة فيجيب الصبى بالنفى، ثم يحاول سقراط أن يستخرج من هذا الصبى قواعد هندسة إقليدس وينتهى إلى إثبات أن علم الهندسة وسائر العلوم الأخرى إن هى إلا معارف تلقتها النفس في حياة سابقة على هذه الحياة، والدليل على ذلك أن مينون لم يذهب إلى أى مدرسة، ومع ذلك استطاع أن يشير إلى قضايا هندسية لم يكن يعرفها إلا أولئك الذين يتلقون العلم في معاهد تعليمية.

إجهالاً مكننا القول أن اختصار سقراط للفضيلة في المعرفة يؤدى إلى أخطاء عقلية واقعية لا سبيل إلى حلها، إذ تصبح جميع الفضائل عنده واحدة في جوهرها مهما تنوعت



صورها وذلك لأن الفضيلة لديه هي المعرفة الكاملة دون تمبيز بين فضيلة وأخرى لأنها جميعاً في النهابة تصب في عنوان «معرفة» فالإنسان الذي متلك نوعاً واحداً من أنواع الفضيلة يكون مالكاً لجميع الفضائل الأخرى، وهي إشكالية تتعارض مع الواقع بشدة، إذ يمكنك أن تعرف رحلاً شحاعاً ولكنه في الوقت ذاته كذاباً (46)

لكن هذه الإشكاليات إجمالاً قد تُحل عندما نفهم مذهب سقراط في الفضيلة لنرى فضيلته النظرية متطابقة أتم ما يكون التطابق في فضيلته العملية.

الفضيلة

في البداية لا مكنك أن تتخطى أبداً قول آرسطو «لم يهتم سقراط بالطبيعة مجملها، وإنما بالمشكلات الأخلاقية، وقد بحث في هذا المجال عن الشمولي، وكان أول من قاد الفكر نحو التعريفات»(47)

ثم يطالعنا زينون أيضاً بقوله «إن سقراط ليس فقط يدعو إلى الاعتدال ويشجع الناس إلى بلوغه من خلال وصاياه ومبادئه، بل بسلوكه وكونه قدوة لهم» (48)

ثم يطالعنا سارتون أيضاً بقوله «لقد كان سقراط أول واضع



لنظام أخلاقى من فلاسفة اليونان، وأول من قدم القيم الأخلاقية على كل ما عداها، ومنذ ذلك الحين أخذت الأفكار السياسية والأخلاقية تحتل مكاناً أرفع، ولا نغالى إذا قلنا إن جميع المؤلفات الغربية في هذا الموضوع تنبع مباشرة أو بالواسطة من تعاليمه، فهيمنت حياته ووفاته على الأخلاق في العالم الغربي كله، ولم يمح أثرهما أو يتضاءل من جراء ظهور المسيحية»(49)

إذاً، الفضيلة عند سقراط نظرية وعملية، فقد كان سقراط حقاً رجلاً فاضلاً، ممارساً لكل حرف ينطق به، وليس على غرار أولئك المدخنين الذين يسخطون على أولادهم وينهونهم عن التدخين، بل كان ممارساً لأقصى درجات ضبط النفس، وممارسة كافة الفضائل، تلك التى اكتملت بداخله، ولم يقف عند حد الممارسة فقط، بل أراد أن يعلم الجميع تلك الفضائل نظرياً، بحيث تختلط بشغاف قلوبهم، وعملياً، بحيث تمارسها أعضائهم، مقدماً دعوته تلك على كافة شئونه ومصالحه الشخصية، يقول سقراط «أما إننى جئتكم من عند الله فهذى آيته، لو كنت نكرة من الناس لما رضيت مطمئناً بإهمال شئون عيشى إهمالاً طوال تلك السنين، لأخصص نفسى لكم، فقد جئتكم واحداً فواحداً، شأن الوالد أو الأخ الأكبر، فأحملكم على الفضيلة حملاً، وليس ذلك ما عهدناه في طبيعة البشر، ولو كنت قد



أفدت من ذلك أجراً أو جزاءاً لكان لذلك مدلول آخر، ولكن هل تجرؤ حتى وقاحة المدعين أن تدّعى أنى أخذت أجراً أو سعيت إليه؟ إنهم لـن يفعلوا لأنهم لن يجدوا لذلك دليلاً، أما أنا فعنـدي ما يؤيـد صحة ما أقول وحسبي بالفقر دليلاً» (50)

ذاك منهج عقلى يسير من المقدمات إلى النتائج وفق حتمية منطقية صارمة لا يستطيع العقل أن يشكك فيها.

فسقراط أهمل شئون حياته إهمالاً تاماً، ثم إنه لم يأخذ أدنى أجر على تعليمه لأحد. ثم فقره دليل على صدق ما يقول.

ولو فُرض أن سقراط أخذ أجراً على تعليمه للناس، فهل يقدح ذلك في سمو دعوته الأخلاقية إلى الفضيلة، أليس كل الذين يُدّرسون فضائل سقراط للطلاب في الجامعات بتقاضون أجراً على ذلك؟ فما المعضلة اذاً؟!

المعضلة الحقيقية هي أن سقراط لو أخذ أجراً لاتهم بأنه يعمل ضد الفضيلة التي يريد ترسيخها، لأنه حينئذ يكون قد اهتم بأعراض الدنيا، تلك التي كان يدعو إلى التخلص منها.

هو إذاً يسعى إلى اكتمال الفضيلة في نفسه وفي حياته، في جسده وفي روحه، لا يريد أن يتعدى ذلك قيد أنملة.

وتتجلى قمة ما في فضائل سقراط من مجد وكرامة في



فضيلتين عظيمتين،

الأولى: لا يجوز أن نرد الشر بالشر.

الكتب السماوية أباحت للمعتدى عليه أن يقتص بقدر ما اعتدى عليه، فقال القرآن ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ مِ شُلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ مِ شُلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَعَاقِبُواْ مِ شُلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن عَلَيْكُمْ أَهُ. وقال أيضًا ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ مِ شُلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ هذه قاعدة منطقية يقبلها العقل وتقرها الفطرة.

لكن سقراط، لأنه يريد اكتمال الفضائل، وتشبع الأخلاق، والممارسة العملية لتلك الفضائل يرفض أن نرد الشر بالشر، إيماناً منه بأن المعرفة هي الفضيلة، وينبغي ألا نجهل الفضائل، بل إن الذات الجاهلة بالفضائل تستحق النفى خارج البلاد فيقول: «إن الجهل بالذات مع توهم المعرفة حالة موصلة إلى الجنون، والجنون يقتضى النفى خارج البلاد»(51)

إذاً، فضيلة الإنسان العاقل المتمثل لفضيلة ما فى نفسه تقتضى ألا يسئ إلى أحد، وألا يرد الشر بالشر، ويتضح ذلك جلياً من خلال هذا الحوار بين سقراط وأقريطون:

سقراط: أفيجوز لنا القول بأنه لا ينبغى لنا قطعاً أن نتعمد الخطأ أم أن فعل الخطأ مقبول حيناً مرذول حيناً آخر، أم أن فعله



أبداً شر ووصمة عار كما سبق لي القول الآن وسلمنا بصحته معاً، أفننيذ الآن كل ما سمحنا لأنفسنا به منذ أيام قلائل؟ أم أننا قضينا هذا العمر الطويل، يحاور بعضنا بعضاً في حماسة وإخلاص لكي نوقن ونحن في هذه السن بأننا لا نفضل الأطفال في شئ؟ أم نثق ثقة قاطعة بصحة ما قيل من قبل، من أن الجور دامًا شر وعار على الجائر، برغم ما يرى الدهماء، وبرغم ما ينجم عن ذلك من نتائج، حسنة كانت أم سيئة؟ هل تؤيد هذا.

أقريطون: نعم

سقراط: إذاً بحب ألا نفعل الخطأ.

أقريطون: يقيناً يجب ألا نفعله.

سقراط: وإذا أصابنا الضرر فلا نرده بضرر مثله، كما تتخيل كثرة الناس، لأنه يجب ألا نصيب أحداً بضر.

أقريطون: واضح أن ذلك لا يجوز.

سقراط: ثم هل بجوز لنا أن نفعل الشي يا أقريطون؟

أقريطون: لا يجوز قطعاً يا سقراط.

سقراط: وما رأيك في رد الشر بالشر، وهي أخلاق الدهماء، أذلك عدل أم ليس بالعدل.



أقريطون: ليس بالعدل.

سقراط: فلأن تصيب أحداً بشر كأن تصيبه بضر.

أقريطون: صحيح جداً.

سقراط: إذاً لا ينبغى لنا أن نأخذ بالثأر، ولا أن نرد الشر بالشر لأحد ما، كائناً ما كان الشئ الذى ابتلانا به، وأحب أن تنظر فى الأمريا أقريطون، لترى هل كنت تعنى ما تقول، أأنت متفق معى ومؤيدى فى مبدئ ذاك، وهو أن ليس من الحق إيقاع الضر، ولا الأخذ بالثأر ولا رد الشر بالشر؟ أمسلم أنت بهذا مقدمة لحديثنا؟ أم أنت منكر له راغب عنه؟ لقد كان ذلك مذهبى منذ عهد بعيد وما يزال كذلك»(52)

ينتهى سقراط من هذا الحوار إلى أن الإنسان الفاضل حقاً لا يرد الشر بالشر، لأن الشر إذا كان يليق بفاعله، فهو لا يليق بالمفعول به أن يرد بمثله، ولكن ليرد بما يتفق مع أخلاقه هو، ومبادئه هو، تلك الأخلاق والمبادئ التى لا تقبل أبداً أن تفعل الشر أو تأخذ بالثأر أو ترد الشر بالشر مهما كانت الخسارة التى تلحق بالمفعول به جراء هذا الشر، وذاك مبدأ سقراطى أصيل.

الثانية: الممارسة العملية للفضيلة:

رُمِا قيل أن المشكلة الرئيسية في فلسفة سقراط أنه لم



يكن لديه فرق بين النظر والعمل، فجميع أقواله النظرية طُبقت فى حياته العملية، لدرجة جعلت الشيعة السقراطية - كما سنرى - يغالون في تقديسهم لسقراط وفي بعض جوانب فلسفته.

وتتجلى هذه الفضيلة حيداً في حوار سقراط مع أحد السوفسطائيين في المذكرات، حيث يسخر السوفسطائي أنتيبو من فقر سقراط ورفضه الحصول على المال مقابل تعليم الشاب، لكن سقراط يفاجئه بقوله «إن تعليمي للشباب يجعلني حر في اختيار من أعلمه، ومن العار أن أبيع الحكمة ولكن المكسب الحقيقى هو اكتساب الأصدقاء والقيام بالواجب تجاه الوطن وتعليم الشباب وتثقيفهم»(53) ويستمر اعتراض أنتيبو على سقراط حيث يقول له: «أعتقد يا سقراط أن هؤلاء الذين يدرسون الفلسفة كانوا أسعد من غيرهم من البشر ولكن يبدو أنك قد حصدت الفاكهة من الفلسفة ولكنها من نوع آخر، على الأقل فأنت تعيش بطريقة لا يستطيع أن يحيا بها العبد مع سيده فأنت تأكل الطعام، وتشرب الشراب من أسوأ الأنواع، وتلبس ملبساً ليس فقط رديئاً، لكنه نفس الملبس صيفاً وشتاءاً، وتعيش بلا حذاء وبلا معطف، إن المال يُسعد البشر عندما متلكونه، ومكنهم من أن يحبوا حياة أكثر كرامة وسعادة، ولكنك يا سقراط لا تتقاضى مالاً، لذا



فأنت كالمعلمين في بقية المهن إذ جعلوا تلاميذهم يحاكونهم فيجب عليك أيضاً أن تترك تأثيرك على أتباعك ويجب أن تعتبر نفسك مجرد معلم للبؤس والقذارة»(54)

ولعل أنتيبو يلمس جانباً واقعياً، فالمال حقاً قد يكفى الإنسان حاجاته الأساسية على الأقل ويمنعه من العوز والحرمان، ولكن سقراط لا يلقى لذلك كله بالاً، ولعل الوصول إلى حياة التثقيف تلك التى مارسها سقراط ليست بالأمر اليسير، فالناس – فيما يقول زينوفون – ضعفاء أمام الشهوة أما حياة الاعتدال فإنما تتطلب المران على التحمل، وسقراط نفسه يعترف بأنه يمرن جسده باستمرار ليتحمل أى شئ قد يحدث له.(55)

ولعل السؤال، لماذا كل هذا التعنت ضد الجسد؟! هل سقراط أسمى من البشر؟!

والإجابة على ذلك يسيرة، إذ ليس هذا تعنتاً ضد الجسد، وليس سقراط سوى بشر، لكنه بشر كشأن الكثيرين من طاهرى النفس، الذين تساموا فوق بشريتهم واقتربوا من الموكب الإلهى والصفات الإلهية، فتراه يقول لأنتيبو «أنت يا أنتيبو تشبه الذي يعتقد أن السعادة تنشأ من الرفاهية والتبذير، ولكننى لا أعتقد أنه لكى لا تطلب شيئاً فأنت تشبه الآلهة وأنه لكى تريد



أقل القليل هو أن تقترب شديداً من الآلهة، لأن الطبيعة الإلهبة مثالبة، والاقتراب من الطبيعة الإلهية هو الإقتراب من المثالبة»(56)

وذات المعنى أيضاً نجده في محاورة ثياتيتوس حيث يقول «فلنتشبه بالإله بقدر ما تسمح به قدرتنا» (57)

تلك هي القضية الرئيسية عند سقراط، الاقتراب من الصورة الإلهية، والأخلاق الإلهية، ومحاولة التشبه بالآلهة، وتلك هي إحدى المعضلات التي كونت فلسفة سقراط وغزتها غزواً، وكانت إحدى الأسباب الرئيسية في مثالية سقراط.

فلم يكن يوماً مهتماً مأكل أو مشرب أو ملبس، وإنها كان كل اهتمامه في النفس وما جُلبت عليه من فضائل وأخلاق تسمو بصاحبها، أليست تلك معضلة حقيقية في فلسفة سقراط؟!

ألا يعيننا فهمنا لهذه المعضلة على فهم بقية الجوانب في فلسفة سقراط؟!

لكن السؤال الآن، هل أثرت دعوة سقراط إلى هذه الفضائل على سقراط وعلى عموم الشعب الآثيني؟

معنى آخر: هل أثارت هذه الدعوة إلى الفضائل مشكلات



سياسية أو اجتماعية؟!

قطعاً أحدثت مناقشات سقراط بلبلة كبرى في آثننا، حيث كشف مناقشاته أسرار جهل أدعياء الحكمة عند مشاهير آثبنا في مختلف المهن والتخصصات ومن ثم فقد اكتسب عداوة كل هؤلاء وأنصارهم، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن الشباب من تلاميذه أخذوا يقلدونه في اختبار أدعياء الحكمة، ومن ثم كانت التهمة الكبري في انتظاره تحت مسمى «إفساد الشياب» لقد تمثلت المشكلة الرئيسية في أن جيل الشباب آمن بسقراط وبطريقته وبفكره، بالاختصار، آمن بكل ما أتى به سقراط، أما الشيوخ فقـد نقمـوا عليـه لأنهـم ظنـوه أتي مبـدلاً للعقائد والأفكار السائدة، وتلك هي المشكلة على الدوام، قد تكون هي عن المشكلة التي تواجه الأنبياء، كما تروى لنا السبر، وهي عن المشكلة التي تواجه المصلحين في أي مكان، لذا ترى أفلاطون بعد أن تشبع بسقراط يندب حظ الفلسفة السئ.

ولأشد ما انتقد سقراط النظام السياسى بأكثر الطرق سخرية، فيذكر زينوفون أنه قال «إن الأمر الغريب جداً أن الراعى الذى يترك قطيعه يتناقص وينصرف إلى طريق الضلال لا يعترف بأنه راعى بقر مسكين، لأن الأغرب أن رجل الدولة الذى يدفع رعاياه من المواطنين إلى التناقص والانصراف إلى



طريق الضلال لا يشعر بالخجل ولا يظن في نفسه أنه رجل دولة مسكن»(58)

لكن السؤال، رجل ضحى بحياته فى الحروب، وعرض حياته للخطر عندما توجه بكل شجاعة وأنقذ القبيادس، ثم عارض محاكمة الأرجينوساى، ثم عارض أن يأتى بأحد المنفيين ليحكم عليه بالإعدام، هذه شجاعة أم تهور؟ طاعة للضمير أم عصيان للدولة؟

وبذات نهج التساءل أيضاً، هل يمكننا إقرار أن دعوة سقراط إلى الفضيلة قادته من حيث لا يدرى إلى معترك الحياة السياسية وأنجبت له المشكلات؟

لقد كان سقراط مؤهلاً بحكم عقله وفكره والتفاف الشباب حوله إلى أن يكون قاب قوسين أو أدنى من السلطة السياسية، كان بينه وبين المجد السياسي خطوة واحدة، ولكنه أبي أن يخطوها، لقد قارن بين مجد سياسي زائف وطاعة للضمير واجبة، وما كان مثل سقراط أن يُقدم شيئاً أبداً على الضمير، مهما كان هذا الشئ، ومهما كان نعيمه، ومن دعوة سقراط إلى الفضيلة، جاءت دعوته إلى خير ما في الحاكم من عفة واعتدال، ليكون الحكم للعقل لا للجسد، وتلك الرؤية تمثل اكتمال منظومة الفضائل عند سقراط، يقول باركر ما نصه «وفي مقدورنا القول، إن سقراط كان رجلاً مفكراً



سواء في مجال الأخلاق أو في مجال السياسة، وكما أن هرقلبطس قال ف قديم الزمان «لقد بحثت في قرارة نفسي» كذلك كان سقراط ينشد هذا البحث والهداية الخبيرة بالحياة التي تستند على هذا البحث، ولقد اعترض على فكرة الاقتراع لأنها تتيح الفرصة للعجز كما تتيحها للكفاية، واعترض على حكم جمعية وطنية ذات سيادة يستوى فيها الجهلة بفن السياسة ومن لهم دراية بهذا الفن، ولكل منهم صوت يساوى صوت غيره في الشئون العامة، بل إنه كان ناقداً للساسة الآثينيين الذين بُهبمنون على الجمعية كما نستخلص من محاورتي مينون وجورجياس، من المحاورة الأولى تعرف أن هـؤلاء الساسـة كـانوا في أحسـن الفـروض ذوى معرفة غريزية سياسية ولكنهم يعجزون عن ايصال هذه المعرفة إلى أبنائهم أو خلفهم، كما نستخلص من المحاورة الثانيـة أنهـم في أسـوأ الفروض، كانوا حكاماً ورعاة زائفين عليون المدينة بالمرافئ والأرصفة والجدران والإيرادات، ويسعون إلى الشعبية بإرضاء الجماهير، ولكنهم ينسون الأشياء التي تدخل في نطاق العدالة والاعتدال، وعلى ذلك كان سقراط يدعو إلى أن إدارة الشئون السياسية في حاجة إلى معرفة وخبرة قائمة على مبادئ أولية»(59).

ولعل ذلك ما يؤكد لنا أن دعوة سقراط إلى الفضيلة قادته من حيث لا يدرى إلى الاصطدام بالسياسة على غير رغبة منه.



هوامش الفصل الثاني

- (*) دوكسرغراف، كلمة مشتقة من Doxographe وهي تطلق على جامعي النصوص الفلسفية اليونانية القدمة. (المؤلف).
- (1) أفلاطون، محاورة المأدبة، ترجمة وليم الميرى، دار المعارف، القاهرة 1970م، ص111.
- (2) ولد أرستوفانيس سنة 450 ق.م من والدين آثينيين خالصين كانا علكان ضيعة ويعيشان من غلتها، وقد برزت موهبته وعبقريته الأدبية في بلدة صغيرة اسمها «إجين» منذ طفولته، ووصل فنه إلى جميع طبقات آثينا قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، انظر د. على عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، القاهرة 1960م، ص246.
- (3) أى اف ستون، محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص158.
- (4) Atistophanes: The clouds, trans by: R.levin, in Book (the question of soctates), p.4.
- (5)Ibid p.8.7.
- (6)Ibid p.9.10
- (7)Ibid p.10
- (8)Ibid p.11.12

- (9) سارتون، المرجع السابق، ج2، ص26.
 - (10) سارتون، نفسه ص67.



- (11) (دبوجينس) اللاثرسي: حياة مشاهر الفلاسفة، ج1، ترجمة وتقديم د. إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني محمد حمدي ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة 2006م، ص168.
- (12)Xenophon: Memorabilia of socrates, trans by: R.J.s. watson, in "socrates discourses" J.m. Dent 8, son LTD, London, 1951. III,9,10.
- (13) محاورات أفلاطون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م، المقدمة، ص1.
- (14)Burnet (T): Greek philosophy, thals to plato, Macmillan, London, 1968, p.101.
- نقلاً عن د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، ص107.
- (*) ولد في أثينا لعائلة أرستقراطية ينتهى نسبها إلى صولون، واسمه الحقيقي (أرستوكليس) ولكن في وقت لاحق سُمي بافلاطون لأنه كان واسع الصدر عريض الجبهة.
 - (15) نقلاً عن وولف، المرجع السابق، ص128.
- (16) والحديث ذكره الإمام ابن كثير مع غيره في الأحاديث التي تحمل ذات المعنى في تفسر أواخر سورة النساء وتحديداً الآبة (164).
- (17) أفلاطون، محاورة الدفاع، ترجمة زكي نجيب محمود، ضمن محاورات أفلاطون، ص51.
 - (18) نفسه ص51.
- (19)Borny (m): The Medivel plilosophy, Harvard University press, macmillan, 1964, p.26.
- (20) فـدون، ضمن محاورات أفلاطون، ترجمة زكى نجيب محمود، ص 158-159).
 - (21) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2،، ص104.
- (22) باركر (آرنست): النظرية السياسية عند اليونان، ج1، ترجمة لويس



اسكندر، مراجعة د/ محمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1966م، ص168.

- (23) وولف، المرجع السابق ص28.
- (24) باركر، المرجع السابق ص 161.
- (25) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، ترجمها إلى الانجليزية بنيامين جوبت، تعريب / محمد كمال الدين على، مراجعة د/ محمد صقر خفاجة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، فقرة 318، ص53.
 - (26) محمد ممدوح، فلسفة المقاومة، ص69.
 - (27) أفلاطون، محاورة بروتاجوراس، فقرة 388.
- (28) د. هدى الخولي، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، جامعة القاهرة، 2012م. ص156.
- (29) Xenophon, Memorablia, op.c.t.3,6.
- (30)Seron (H.M): Socrat, the Great, macmilian, london, 1959, p.9
- (31)Ibid, p18.
- (32) محمد ممدوح، سر السؤال السقراطي، بحث منشور في مجلة مقاربات فلسفية، جامعة مستغامن، الجزائر، 2014، ص136.
 - (33) محاورات أفلاطون، أوطيفرون، ص15.
 - (34) نفسه ص16.
 - (35) نفسه ص 19.
 - (36) نفسه ص27.
- (37) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، ص 124.
- (38)Zeller, op. cit. p.176.
- (39) بدوى (د. عبد الرحمن): ربيع الفكر اليوناني، ط5، وكالة المطبوعات، الكويت 1979م، ص167-168.



- (40) محمد ممدوح، سر السؤال السقراطي، بحث منشور، ص138.
 - (41) وولف، المرجع السابق، ص63.
- (42)Xenophon, op. cit, 3,6
- (43)Ibid, p.138.
- (44)Ibid p.130.
- (45) محاورات أفلاطون، فيدون، صـ (137-138).
- (46) د. محمود مراد، الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء، الأسكندرية ، 1999م، ص83.
- (47) آرسطو، الميتافيزيفا، نقلاً عن فرانسيس وولف، المرجع السابق ص63. (48)Xenophone, B4, ch 3,1.
 - (49) سارتون، تاريخ العلم، ج2، ص84.
 - (50) محاورات أفلاطون، الدفاع، ص65.
- (51)Xeonophon, op.cit, B3, ch9,5,p97
- (52) الدفاع، ص92-94.
- (53)Xenophon, op.cit, B4, ch 6,1,2
- (54)Ibid, B.2,ch 6, 3
- (55)Ibid, B2 ch 6,10
- (56)Ibid B3, ch 10,3.
- (57) أفلاطون، محاورة ثيتاتوس، ترجمة د/ أميرة حلمي مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، فقرة 176.
- (58)Xenophon, BI, ch 4, P.23.
 - (59) باركر، المرجع السابق، ص 165-166.







تمهيد



قد يتعجب البعض من عنوان الكتاب، وعنوان هذا الفصل، لماذا يُصر المؤلف على لفظ «الاغتيال»،، وهل يصدق هذا التوصيف حقاً؟! هل أغتيل سقراط؟ وبأى سيف، وبأى تهمة، ومن الجانى؟!

حقاً هذه أسئلة جديرة بالأخذ في الاعتبار، لكن مما لا شك فيه أن سقراط حقاً قد اغتيل، اغتالته فئة أصحاب المصالح والمنافع، الذين تُضار مصالحهم وتُهدد منافعهم بحياته.

لقد كانت حياته متنقلة من جهاد إلى جهاد، من جهاد لنفسه أولاً ليصل إلى الشكل والمضمون اللذين عهدناهما عليه، ثم جهاد سياسى يحاول ارساء قواعد للعدالة والكرامة الإنسانية، ثم جهاد أخلاقى محاولاً إرساء دعائم الفضيلة في كل معانيها وفي أوسع أبوابها!!

حياة مليئة بالمتاعب!! مليئة بالجهاد!! سمتها العامة قول الحق وحربة الفكر!!



نعم، كان سقراط هو ذاك الرجل العظيم الذى لم يضع قيداً على عقله، ولم يضع اطاراً محدداً لفكره لا يتعداه مثل أولئك المفكرون – أو كما يدّعون هم أنفسهم – الذين يتزاوجون مع السلطة ويذبون عنها بقدر ما يستطيعون تقرباً إلى السلطة والمال، الأمر الذى رفضه سقراط على إطلاقه، فلم يكن عنده سوى قول الحق، وحرية القول، وصدق العزيمة، ونبل النفس، وسمو الروح، وعشق الحقيقة. ذاك هو سقراط الحقيقي!!

أول شهيد لحرية الفكر، وأول شهيد للنداء الخالد «الحرية والكرامة الإنسانية»!! نعم، سقراط أراد الحرية، حرية القول وحرية الفكر وحرية الإبداع وأراد الكرامة الإنسانية، وأى كرامة تلك أسمى من تعليم الإنسان والأخذ بيده إلى دروب الفضيلة وتوجيهه إلى خير ما في نفسه.

وأى كرامة إنسانية أسمى من رفض الظلم الذى يقع على الإنسان أياً كان مصدره ومهما بلغت قوته، مثلما فعل سقراط ورفض القبض على ليون السلامى، ومثلما رفض الحكم على قادة الأسطول البحرى الآثيني، والذين كانت محاكمتهم غير شرعية.

لقد طرق سقراط أبواب العقول جميعها، لم يخشى سلطة سلطان، أو وزارة وزير، أو قوة الدهماء، وإنها كان شغله الشاغل



تحرير الإنسان من أهوائه وشهواته، على المستوى الأخلاقي ، وتحرير عقله من ربقة الأوهام وحتمية الشكل، على المستوى الفكري، أو إن شئت دقة أكثر فلنقل أراد تحرير الإنسان من بشريته والارتقاء به نحو إنسانيته، على المستوى الأخلاقي، وتحرير عقله من صنمية الاتباع إلى أفاق الإبداع، على المستوى العقلي.

هذا الجهد الكبر، لذاك الجسد النحيل، وتلك الطريقة التي تيدو في ظاهرها أنها السخرية اللاذعة لا أكثر، وتلك المواقف السياسية النبيلة، وتلك الأخلاق الشخصية الجليلة، كل ذلك ساهم في اغتيال سقراط.

لكن السؤال لا بزال قائماً، لماذا نصر على لفظ الاغتيال؟ لماذا لا نقول مثلما قالت العديد من الكتابات، موت سقراط؟! أرى لهذا التوصيف (الاغتيال) سببن:

الأول: أنه كان مجرد اغتيال للجسد لا للروح ولا للعقل!!

فروح سقراط كُتب لها الخلود، وعقل سقراط كُتب له الخلود أيضاً والثاني أن الحكم بالموت يكون إما قصاصاً لجرم، وإما انتهاء الحياة بإذن بارئها وليس بحكم إنسان.

وسقراط لم يقتل نفساً أو يرتكب جرماً حتى نقول إنه



قُضى عليه بالموت، ولم يمت على فراشه إيذاناً بانتهاء حياته حتى نقول الله يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حينَ مَوْتهَا الله الله يَتَوَفَّ الْأَنفُسَ حينَ مَوْتهَا

ولكنه، لاعتبارات سياسية، سيق إلي الموت، فهو ليس موتاً ولكنه اغتبال.

نعم، اغتيال، فلم يكن المقصود جسد سقراط، ولكن المقصود كان عقل سقراط!!

وماذا يغنى ذاك الجسد النحيل عن ذاك العقل الذي يريد أن يهدى البشر سواء السبيل!!

تعلمنا عقلاً وشرعاً، أن الجزاء من جنس العمل، فهل يكون جزاء سقراط الحكم عليه بالموت!! بأى جريرة إذاً!!

أهى جريرة قوم لوط ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَـرْيَتِكُمْ إِنَّهُـمْ أُنَـاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

أم هى جريمة يوسف ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجُهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ أى جريمة فعل سقراط!!.

أفنى عمره خدمة لبلده، لأجل تعليم الفضائل وتهذيب النفوس والسمو بالأرواح!! هذه هى الجرية الكبرى، «أخرجوا سقراط من مدينتكم إنه رجل يدعو إلى العقل والفضيلة»



ثم اكتملت الجرمة بالتفاف الشباب حوله وحبهم له، فتكون هي عين جريمة نبى الله يوسف عليه السلام إذ أحبه أبوه، فكانت حرمة سقراط الكبرى «اقتلوا سقراط أو انفوه يخل لكم وجه محبوه»

تلك هي الصورة الحقيقية للاغتيال!! وتلك الدعوى ضد سقراط لم تكن إلا على سبيل التهمتين الموجهتين إلى لوط ويوسف عليهما السلام!! ولكن يبقى السؤال أيضاً هل أعدم سقراط نفسه بتهكمه من المحكمة؟ أو بعدم اهتمامه بتنسيق عباراته؟! أو أخيراً برفضه الهرب من السجن!!

ولعل هذه المواقف الثلاثة هي التي تثبت لنا صدق تصوير أفلاطون في كل ما قال وأبدع، حيث لم يُخرج صورة متناقضة عن سقراط، فسقراط هو هو، لم يتغير عند المحنة عما كان عليه عند النعمة، مبادئه واحدة، أخلاقه ثابتة، مواقفه راسخة، لم تفارقه التسامته، ولم يتمعّر وجهه، ولم يخش الموت، بل رحب به كل ترحيب.

ولو أراد أفلاطون أن يحرّف حرفاً واحداً مما قاله سقراط في المحاكمة لألقى بذلك بظلال الشك على كل كتاباته، ولكنه نقل الصورة بأمانة شديدة مما يجعلنا نثق في شيئن.



الأول: نثق في كل ما كتبه أفلاطون، ونعده فيلسوفاً عدولاً فيما شهد وكتب.

الثانى: نثق فى أن الكلام الوارد عن سقراط فى محاورات أفلاطون هو بنصه تعبير سقراط ذاته، وليس لمقولة «الفلسفة لسقراط والابداع الفنى لأفلاطون» أدنى نصيب من الصحة، وذلك لسبب بسيط، وهو أن سقراط كان يستخدم منهجى التهكم والتوليد، وهما بطبيعتها يفرضان هذا الابداع الفنى.

قد يقول قائل ولكن سقراط أعلنها صريحة في المحاكمة أنه لن يسوق العبارات بطريقة خطابية ولن ينسق دفاعه.

وهذا دليل مع وليس ضد، إذ أنه لو قال غير ذلك لهدم فلسفته كلها، تلك الفلسفة التى قامت على الجوهر وليس العرض، وبحثت فى المضمون وليس الشكل، فهى كلمة صدق إذاً تعبر عن فلسفة سقراط الحقيقية.

ويبقى السؤال أيضاً هل تصلح تلك الدعوى المرفوعة ضد سقراط بالأساس؟! وهل طريقة المحاكمة طريقة يقبلها عقل أو يقرها منطق؟! وهل كان الاغتيال قضاءاً نهائياً على سقراط أم بمثابة خلود له من حبث لا بدرى الحناة؟!



وكيف جرت المحاكمة، وماذا عن أعماق دفاع سقراط؟! كل هذه الأسئلة نحاول إجابتها عبر هذا الفصل، مبيناً حقيقة دفاع سقراط وحقيقة موقفه وكيف كُتب له الخلود بهذا الاغتيال.

إجمالاً مكننا القول أن أفلاطون قد أفلح في رسم الصورة الحقيقية لسقراط، فحديث سقراط يتفق مع فعله، والاثنان يتفقان مع فكره والإطار العام لشخصيته، دون وجود أدنى تناقض.

أولاً: دليل هدم:

من أين بدأت قصة الاغتيال!! ولماذا بدأت!! وللإجابة على هذبن السؤالين، نسأل أيضاً لماذا يشترك أكثر من واحد في شكوى سقراط، ألا يكفي واحد فقط ليرفع تلك الدعوى في ظل الحرية التي منحتها آثينا لعموم المواطنين!!

تلك الحرية التي تعطى الحق لأقل مواطن أن يشكو أي شخص، بل أن يرفع دعوى ضد أى قانون يرى أنه لا يتفق مع الدستور؟!

إذاً، لماذا ثلاثة، وليس واحد؟!

أرى أن ذلك لعدة أسباب منها:



- أن أى واحد مهما كانت سلطته لم يكن ليجرؤ على رفع دعوى ضد سقراط منفرداً خوفاً من محبى سقراط وتلاميذه.
- أن أى واحد منهم منفرداً كان عاجزاً كل العجز في أن يستطيع صياغة دعوى الاتهام وحده دون الاستناد إلى غيره.
- أنهم جميعاً (مقيمى الدعوى) كانوا غير واثقين من صلاح تلك الدعوى، وربما كانوا يخشون التلاميذ أيضاً وبطشهم.

إذاً سقراط هو الأقوى من جميع الوجوه حتى لحظة الاغتيال. لكن لابد وأن نقف عند لحظة الاتهام ذاتها وقفة تأمل، إذ أن أى بلد لا تقيم وزناً لمفكريها وعلمائها إنها تدمر نفسها من حيث لا تدرى، فتقدم أى أمة من الأمم مرهون بصلاح عقول أبنائها أو فسادها، وتالياً فعندما ترى التهم تُساق إلى العلماء والمفكرين، فلتعلم أن هذا البلد ليس له نصيب من تقدم كان حتماً سيصنعه هؤلاء المفكرون والعلماء.

والذى فهم ذلك منذ القدم، كان أوطيفرون، ذاك الرجل الذى ذهب إلى المحكمة ليتهم أباه بالقتل فوجد سقراط جالساً، فتعجب، إذ كيف يؤتى بسقراط إلى المحكمة فيقول لسقراط



«ماذا أحسب أن أحداً قد رماك باتهام، لأنني لا أصدق أن تقف أنت من غيرك موقف المتهم».

هذا قول صدق، وشهادة حق، إذ لا يليق أبداً أن يتهم المفكرون والمبدعون ودعاة الفضائل والأخلاق.

ثم يزيد أوطيفرون قوله وضوحاً «فرأيي يا سقراط أنه مهاجمته إباك إنما يصوب ضربة إلى الدولة في أساسها»(1)

حقاً، إذا اتُهم العلماء، فإن العلماء لا يُضارون، ولكن الدولة هي التي تضار بالأساس، فهي التي تحرم نفسها من الاستفادة بعقول وقدرات علمائها ومفكريها!!

وهي التي تحرم نفسها من مجد وتقدم يستطيع هؤلاء أن يصنعوه!! هي إذاً تُقدم شهادة وفاتها إكلينيكياً من حيث لا تدرى!!

وهنا يسأل أوطيفرون سقراط: ولكن كيف تفسد الشباب في زعمه؟

فيجيب سقراط: إنه يوجه إلى اتهاماً عجيباً يثر الدهشة فور سماعه فهو يقول إني شاعر أو مبتدع للآلهه، فأختلق آلهة جديدة وأنكر وجود الآلهه القديمة، هذا هو أساس دعواه»(2)

إذاً، اتهام سقراط بالأساس دليل إفلاس آثينا، فكيف



يكون مصيرها إذا أقدمت على عملية الاغتيال.

ومن ناحية أخرى، مجرد اتهام سقراط دليل على انحدار آثينا وتشييعها إلى مثواها الأخير، حيث لم يدم عزها بعد الاغتيال إلا قليلاً، ثم تلاشت في حضارة أقل إبداعاً وأصالة منها، وأحدث تاريخياً من حضارتها الضاربة في أعماق التاريخ. ومن ناحية ثالثة شهادة أقريطون، بأن مجرد اتهام سقراط هو ضربة للدولة في صميمها، لهو قول حق، من رجل فطن أبعاد تلك المأساة قبل حدوثها.

ثانياً: مراحل الاغتيال:

لم يأت اغتيال سقراط فجأة، ولم تكن المؤامرة عليه، والتى هى مؤامرة على الدولة بالأساس وليدة يوم وليلة، بل هى صنيعة أيام وليال طوال، صنعها الحقد الذى يأكل القلوب من ناحية، وصنعتها أخلاق سقراط وفضائله من ناحية أخرى، كيف ذلك، لنذهب إذاً إلى مراحل ذلك الاغتيال الزنيم، لنرى كيف شارك سقراط ذاته فيه!!

أ- نص الاتهام:

سيق سقراط إلى المحاكمة باتهامين الأول قديم، قدمه أرستوفانيس الهزلى التافه في مسرحية «السحب» حيث أساء تصوير سقراط وفقاً لتزاوجه مع سلطة سياسية قائمة، وكان



ملخص اتهامه كما ذكره سقراط «قد أساء سقراط صنعاً، وهو طلعة يصعد البصر إلى السماء وما تحتوى، ثم ينفذ به تحت أطباق الثرى، وهو يُلبس الباطل ثوب الحق، ثم أنه يبُث تعاليمه هذه في الناس»(3)

هذا هو الاتهام الأول، أما الثاني فقد تعاقد ثلاثة من حاقدي القلوب وعلى رأسهم مليتس الذي وصفه سقراط تأنيباً لضميره إذا كان لديه ضمير، بأنه رجل طيب ووطني، ولكن الحقيقة، ما أبعده عن الطيبة والوطنية، وتقوم دعواه كما لخصها سقراط ذاته في النص التالي «إن سقراط فاعل للرذيلة مفسد للشباب، كافر بآلهة الدولة، وله معبودات اصطنعها لنفسه خاصة»(4)

تلكم هي التهم التي تحاصر سقراط لتقدم إليه المنية على عجل!! التهمة القديمة، سقراط يبحث في الطبيعة.

والتهمة الحديثة سقراط مفسد للشباب، كافر بالآلهة!! تلك هي التهم!!

وبالنظر إلى هذه التهم الثلاث نكتشف حقيقتين:

الأولى: أن هــؤلاء المــدعن لا متلكــون أدني ذرة مــن عقــل أو



ضمير لأن عريضة الاتهام التى قدموها لا تصلح أساساً لاتهام أحد، فهم لم يفلحوا في تلفيق التهم.

إنهم لو كانوا يمتلكون أدنى قدر من الذكاء لاتهموا سقراط مثلاً بتهمة «قلب نظام الحكم»، وهى تهمة يمكن صياغتها قانونياً على سقراط، كما أنها تبدو أكثر قابلية عقلاً ومنهجاً لدى الجميع ، حيث أنها يمكن أن تُقنع الجميع، وبالتالى يفقد سقراط كل تعاطف ممكن معه!!

ولكنهم لم يفعلوا، ولم يحسنوا توجيه الاتهام، ولم يحسنوا صياغة عريضة الدعوى، مما يدل على أنهم جهلاء، وجبناء، ولا يستطيعون تحمل أدنى مسؤلية.

أما الحقيقة الثانية ، فتتمثل في أن تهمة الإلحاد لم تكن أبداً لتفضى إلى الإعدام، حيث يمتلئ التاريخ اليوناني بإلحاد بروديقوس وأنطيفون وبروتاجوراس وغيرهم من الفلاسفة السوفسطائيين، ومع ذلك لم يعدم أحدهم، وهذا يدل على أن اتهام سقراط اتهام سياسي وليس ديني، وأن صياغة هذه التهمة بهذه الطريقة، فضلاً عن أنه ليس حقيقة، إلا أنه اتهام المقصود به إثارة الثائرة ضد سقراط، بقصد انفضاض الناس من حوله وعدم تعاطفهم معه، إذ أن الدين بالذات له قدسية في نفوس الناس، وعندما يتعارض كائناً من كان مع المعتقد، نبذوا هذا



المتعارض وأعلوا من شأن العقيدة.

إذاً، كان يمكن توجيه تهمة قلب نظام الحكم إلى سقراط، ولكنهم ساقوا الدعوى بتهمتين، سقراط مفسد للشباب، كافر بآلهة الدولة.. ولماذا هاتين التهمتين بالذات؟!

لقد أحسنوا اختيار التهمتين بعناية، حيث لم يختاروا تهماً قانونية بقدر ما اختاروا تهم تؤدى إلى النفر العام ضد سقراط.

فالتهمة الأولى، إفساد الشباب، هى تهمة بحق يمكن أن يصدقها الشيوخ والرجال المتقدمين في السن، حيث لم يسلم أحد منهم من امتحان تلاميذ سقراط، وبالتالى فعندما يسخر جيل الشباب من جيل الشيوخ، فحتما سيفضى ذلك إلى كراهية موروثة لمثل هذا المعلم، كراهية قد تدفع أصحابها إلى التغاضى عن الحق، والعمل بكل ما تسعفهم قوتهم على التخلص من مثل هذا الرجل الذى هو قدوة لتلاميذه، وتالياً فقد ضمنوا تعاطف أكبر قدر ممكن من الشيوخ مع هذه الدعوى.

أما التهمة الثانية فهى الكفر بالآلهة، وهم إنها قصدوا تعرية سقراط أمام الرأى العام من ناحية، كأن يقولوا لمحبى سقراط، أنتم تحبون في سقراط تدينه وخضوعه للآلهه، أما إنه كافر بالآلهه، فليس لحبكم له سبب، وليس لاحترامكم له مبر، قد تكون هذه هي الرسالة التي أرادوا توصيلها لجماهير



سقراط عبر هذا الاتهام، ومن ناحية أخرى قصدوا بتلك التهمة أن ينفض الناس من حول سقراط، وألا يتعاطف معه أحد أثناء المحاكمة.

تلك هى المتهم التى حيكت لسقراط وفُصلت بالضبط عليه، وأعتقد أن تلك الدعوى لم يشترك فيها ثلاثة فقط، أعلمهم يجهل أخص أمور السياسة كما يتضح من مناقشة سقراط له أثناء المحاكمة، فلابد إذاً وأنه قد اشترك أكثر من واحد في صياغة هذه الدعوى وفي اختيار هذه التهم التى تمس شغاف قلوب العامة، ولكن هؤلاء الثلاثة تبرعوا لأن تسجل أسماءهم في سجلات الخزى الأبدى، فقبلوا تلك الصفقة، وارتاحت أنفسهم واطمأنت ضمائرهم إذا كان لديهم ضمائر إلى معاداة الحكمة في عقر دارها، وتلطيخ أيديهم بدماء ذكية، هى أذكى دماء، لأنها دماء موكب المفكرين والشهداء.

وعلى أية حال، فقد أخذ سقراط هذه التهم، ووضع نفسه موضع المتهم فعلاً، وأخذ يدافع عن قضيته أمام ضمير العالم، ليوقظ البشرية من غفلتها، أو لتستعين بسقراط كلما ألمت بها محنة، أو أحاطت بها خطيئتها، لتستجدى من تلك الذكرى العطرة رائحة أرواح الشهداء.

ولكن يبقى السؤال الآن، هل ما ورد في دفاع سقراط من



كلام سقراط ذاته؟! أم أن المضمون لسقراط والإبداع الفنى لأفلاطون، وهو ما اختلف فيه العظماء على مدار التاريخ، ولكنى أميل إلى قناعة شخصية كاملة بأن الحديث والتصوير والإبداع كله صنيعة سقراطية خالصة مائة بالمائة، رغم تعارض ذلك مع آراء الكثيرين، ومنهم الـدكتور زكى نجيب محمود الذي يتساءل أيضاً بقوله «ومع ذلك فقد يكون سقراط تحدث فعلاً ما رواه أفلاطون في هذا الدفاع بل قد يكون استخدم كثيراً من العبارات التي أوردها أفلاطون بنصها، لكننا رغم ذلك ينبغى أن نذكر أن أفلاطون قد أعمل فيها قلمه وفنه قبل كل شئ، لأنه لم يكن مؤرخاً حرفياً للحقائق، فلم يرد قط أن يكون حوار «الدفاع» سجلاً يردد فيه عبارة سقراط بنصها، ولكنها إنشاء محض وتأليف خالص شأنها في ذلك شأن كل محاوراته، ولكنا نعود فنقول إن ذلك لا منع أن تكون بعض عبارات سقراط قد رسخت في ذهن أفلاطون، وقد كان أفلاطون يشهد المحاكمة - فرددها دون قصد منه.... ومن يدرى؟ فلعل دفاع سقراط عن نفسه كان أمتن وأروع من هذا الدفاع الأفلاطوني، وإذن فنحن نريد بذلك أن نخلص إلى نتيجة، وهي أن محاورة الـدفاع، تصوير صادق لشخصية سقراط، ولكننا لا نستطيع أن نقطع في الرأي بأن هذه العبارة أو تلك قد نطق بها سقراط كما هي، أو أن هذه الحادثة أو تلك قد وقعت فعلاً بغير تحوير أو تحريف»(5)



لكن يبقى في النهاية- بإجماع الآراء - المضمون سقراطى خالص، على الرغم من إماني بأن الشكل قبل المضمون نتاج سقراطي خالص.

قيل أيضاً، بأن هذا الدفاع من محض إبداع عقل أفلاطون ليدافع عن أستاذه أمام الأجيال القادمة!!

وعلى فرض صحة هذا الرأى فما أعظم أفلاطون، وما أعظم إخلاص التلميذ للأستاذ، ولكن السؤال، يدافع عن أى شئ وعن أى تهمة، وهل هذه التهم في حاجة بالأساس إلى الدفاع عنها، لولا جذورها السياسية.

تلك هى الحقيقة، وذاك هو المنتظر من آثينا، تلك التى تتمتع بالحكمة والفلسفة فكيف دافع سقراط إذاً عن هذه التهم الباطلة؟! وهل كان دفاعه دفاعاً عقلياً، أم أنه استخدم نفس أسلوب مقيمى الدعوى، الذين لعبوا على أوتار عاطفة الناس، فلعب هو أيضاً على ذات الأوتار!!

ب- دفاع سقراط:

فى البداية تستشعر أنك حقاً تقف فى المحكمة، وقد حضر جمع عفير فى مشهد مهيب، ليروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم سقراط، أعظم من عرفوه فى حياتهم يقف خلف القضبان هادئاً



كعادته، ثابتاً كشأنه على الدوام، غير خائف أو متكالب على الدنيا أو مذعور من الموت، يقف وهو متهم، ويعلم أن الساسة أجمعوا على ضرورة الخلاص منه، ومع ذلك، وبكل رباطة جأش، يُفاجئ الحضور بقوله «أما أنا فخذوا الحق منى صراحاً، ولن أصوغها عبارة خطابية منمقة كما فعلوا - يقصد مقيمي الدعوى - لا والله، بل سأسوق الحديث والأدلة إليكم عفو ساعتها لأني على يقين من عدالة قضيتي، فلن أقف يوماً بينكم أيها الآثينيون موقف الخطيب الصبياني ما دمت حباً، فلا يرجن الآن أحد منى خطاباً»(6)

كلمات، مِيزان العقل البحت، لو لم يقل سقراط غيرها لكان جـ ديراً بالقضاء أن يبرئـه.. إنهـا ميـزان الحقيقـة، ولـب الشخصـية، وجـوهر الفلسفة.. إنها كلمات لو اجتمع لها شكسبير بفنه وأدبه، والدكتور مصطفى النشار بفلسفته وحكمته على أن يصيغاها أدبياً وفلسفياً لأجلوها وأنزلوها منزل العز والفخار.. ويأخذ سقراط الحديث منطق الترتيب، فيرد على الفئة الأقدم ليقول لهم «أيها الآثينيون، الحق الصراح أني لا أتصل بتلك الدراسة الطبيعية بسبب من الأسباب، ويشهد بصدق قولى كثير من الحضور، فإليهم أحتكم، انطقوا إذاً يا من سمعتم حديثي وأنبئـوا عنـي جـيرانكم، هـل تحـدثت في مثـل هـذه الأبحـاث كثـيراً



أو قليلاً؟ أنصتوا إلى جوابهم لتقطعوا في سائر الاتهام بصدق ما يقررون في هذا الجزاء»(7)

وعلى فرض عدم صحة ما قاله سقراط؟! فهل يكون ما قاله كسينوفون غير صحيح أيضاً لقد نقل كسينوفون عن سقراط أنه عد تلك الدراسات ضرباً من الجنون فيقول «وكما يختلف المجانين فمنهم من لا يخاف مما يخيف، ومنهم من لا يستحى من التلفظ أو من عمل أى شئ أمام الناس، ومنهم من لا يحترم المعبد ولا الهيكل ومن لا يهدى أى شئ إلى الآلهة، ومن يعبد الحجارة والحيوان، كذلك نجد أولئك الذين يبحثون في الطبيعة بعضهم يعتقد في أن كل الأشياء في ضرورة داعمة وبعضهم الآخر يلغى الحركة وبعضهم يرى أن كل الموجودات قد حدثت وستفنى، وبعضهم يرى ألا وجود ولا فناء»(8)

وأيضاً نجد ذات الشهادة عند آرسطو، حيث ينفى اتصال سقراط بالدراسات الطبيعية، فيقول «لقد انصرف سقراط عن البحث ف الطبيعة كلية وعكف على دراسة الموضوعات الأخلاقية وفي هذا المجال كان يعنى بالكلى وكان أول من أقام العلم على التعريفات»(9)

أيضاً يذكر سارتون أن سقراط قد التقى مع حكيم هندى وسأله الحكيم قائلاً «إنك تدعو نفسك فيلسوفاً فبماذا تشتغل؟»



فأجاب سقراط إنه يدرس الشئون البشرية، فضحك الحكيم الهندى وقال «إنه يستحيل للمرء أن يفهم الشئون البشرية ما لم يدرك الشئون الإلهية أولاً»(10)

وهذا يدل على أن سقراط كان بعيداً كل البعد عن الاشتغال بالعلوم الطبيعية أو الميتافيزيقية.

لكن، هل يكون سقراط هادماً للعلم بانصرافه عن علوم الطبيعة؟! إنه مما لا شك فيه أن منهج سقراط يعد مؤيداً للعلم لا خصماً له، فهو يبحث عن المعانى المطلقة الثابتة وليست النسبية البغيضة، كما أنه يستخدم الاستدلال والاستقراء كي يصل إلى هذه التعريفات، بشهادة آرسطو ذاته الذي يقول: «لقد كان سقراط يعنى بالبحث عن الماهية والاستدلال الاستقرائي والتعريف الكلى، وكلاهما يتعلق بنقطة البداية في كل العلوم»(11)

أضف إلى ذلك أن سقراط كان مهتماً بالكشف المنطقى عن اللغة واستخدامها حتى يبتعد عن أسلوب السفسطة - وهو اتهام أرستوفانيس له - محاولاً بذلك تفادى الأخطاء اللغوية وهو شئ لابد منه للعلماء، أضف أيضاً إلى ذلك أنه يستخدم الشك المنهجى في الأقوال التي يتلقاها وهو منهج لابد للعلم أيضاً منه.



إذاً، سقراط ليس ضد العلم، ولكنه مع العلم المفيد والنافع، والقائم على الاستدلال الاستقرائي المنطقى.

لكن يبقى السؤال أيضاً، لماذا هذه التهمة بالذات التى اختارها أرستوفانيس، ربحا يكون السبب المباشر لتلك التهمة افتراض صدق الرواية التى تقول بأن سقراط قد قرأ كتاباً لهرقليطس، ولما سئل عنه قال «إن ما فهمته يبدو عظيماً أما ما لم أفهمه فيبدو أعظم»، كذلك يرجح بعض المؤرخين قراءته لكتاب أنكساجوراس إذ كان يباع بدراخمة واحدة في عصره، فلعل ذلك هو ما دفع أرستوفانيس إلى اتهام سقراط بتلك التهمة، ولعل سقراط ذاته هو الذي سمح لمثل أرستوفانيس بأن يسخر منه، إذ أنه لم يكن يأبه بالشعراء أو كاتبى المسرحيات الهزلية عنه، وهم يسيئون إليه، بل إن تراكمات سخريتهم قادته بطريقة أو بأخرى إلى طريق سار به في اتجاه الاغتيال.

إجمالاً، لم يهتم سقراط بعلوم الطبيعة، لانشغاله بعلوم أسمى من ذلك قطعاً، علوم عكننا أن نسميها «كيفية إسعاد البشر»، إنها العلوم الاجتماعية البشرية، يقول سارتون ملخصاً رؤية سقراط _ «لنكن أكثر تواضعاً من علماء الطبيعة وأكثر أمانة من السوفسطائية، فالمعرفة التي ينبغي أن نسعى للحصول عليها يجب أن تتكيف بحسب حاجاتنا الشخصية

نكون مواطنين أخياراً»(12)

والاجتماعية، والمهم هو أن نعرف كيف نحيا حياة سعيدة وشريفة وأن

تلك هى القضية، أن نعرف كيف نحيا حياة سعيدة وشريفة، حياة تخلو من مغالطات السوفسطائيين، وتخلو من ألاعيبهم اللغوية واللفظية، وتخلو من أى بحث عن أى شئ سوى الحقيقة والشرف، تلك هي خلاصة رؤية سقراط.

إفساد الشباب:

تلك هى التهمة الأولى التى صاغتها دعوى الاتهام الحديثة ضد سقراط، فاعل للرذيلة مفسد للشباب، ورجا مسألة فاعل للرذيلة لا تنفصل عن إفساد الشباب، فالمقصود بهما واحد، ورجا كان المقصود بها تهمة أخرى لكن ما معناها، هل يأخذون على سقراط مسألة اللواط، إذا كان كذلك فهى مسألة منتشرة آنذاك فى بلاد اليونان بين مؤيد ومعارض، ولم يقطع أحداً عليها بدليل.

لذا فسوف نجد سقراط يركز حديثه على أنهما تهمة واحدة، المقصود بها الإمعان في إفساد الشباب، واعتبار ذلك الإفساد فعلاً للرذيلة المنهى عنها.

والقصد المباشر من هذا الاتهام - كما سبق القول - هو



إثارة الرأى العام كله ضد سقراط، وكأن مقيمى الدعوى أرادوا أن يقولوا للجميع «سقراط هذا مفسد لأولادكم، فإما أن تنزعوا عنه ولائكم وتعاطفكم وإما سيُهلككم وأولادكم»

لكن السؤال، ما هي بداية اتهام سقراط بإفساد الشباب؟!

تأتى البداية منذ إنباء الكاهنة بحكمة سقراط، إذ أراد سقراط أن يتحقق من صدق قولها بنفسه، لذا يقول هو عن نفسه «ففكرت وأمعنت في التفكير حتى انتهيت آخر الأمر إلى طريقة أتحقق بها القول، اعتزمت أن أبحث عمن يكون أحكم منى، فإن صادفته أخذته نحو الإله لأرد عليه ما زعم، فأقول له «هاك رجل أكثر منى حكمة، وقد زعمت أني أحكم الناس» لهذا قصدت إلى رجل من الساسة عرف بحكمته، وامتحنته فانتهيت إلى النتيجة التالية، لم أكد أبدأ معه الحديث حتى قرت في نفسي عقيدة بأنه لم يكن حكيماً حقاً، على الرغم من شهادة الكثيرين له بالحكمة، وعلى الرغم مما ظنه هو نفسه في حكمته، وقد جاوز به الغرور شهادة الشاهدين فحاولت اقناعه بأنه وإن يكن قد ظن في نفسه الحكمة إلا أنه لم يكن بالحكيم الحق، فأدى به ذلك إلى الغضب مني، وشاطره في غضبه كثيرون ممن شهدوا الحوار وسمعوا الحديث، فغادرته قائلاً في نفسي، إني وإن كنت أعلم أن كلينا لا يدري شيئاً عن الخير

والجمال، فإنني أفضل منه حالاً، لأنه يدعى العلم وهو لا بعلم شيئاً، أما أنا فلا أدرى ولا أزعم أننى أدرى، ولعلى بهذا أفضله قليلاً، ثم قصدت إلى آخر وكان أعرض من سابقه دعوى في الفلسفة، فانتهيت معه إلى النتيجة نفسها، وعاداني هو الآخر، وأيده في موقفه عدد كبر.

أخذت ألتمس الناس رجلاً فرجلاً وأنا عالم جا أثيره في الناس من غضب كنت أسف له وأخشاه، ولكنها ضرورة لم يكن عن المضى فيها محيص، إنها كلمة الله، ويجب أن أحلها من اعتباري المكان الأسمى، فقلت لنفسى لابد أن أحاور أدعياء العلم جميعاً لعلى أفهم ما قصدت إليه الراعية، وأقسم لكم أيها الآثينيون إنني قد انتهت من البحث إلى ما رويت، أني وجدت أن أشهر الناس أكثرهم غياء، وقد صادفت فيمن هم دون هؤلاء مقاماً رجالاً بلغوا من الحكمة ما لم يبلغه هؤلاء»(13) تلك هي البداية مع تهمة إفساد الشباب..

وذاك هـو السبب الرئيسي في رفع هـذه الـدعوى بهـذه الصيغة.. ولكنها على أية حال خالية من كل مضمون، إذ ليس بها من الحق أكثر مما في سابقه، فكيف برجل لا يأخذ أجراً على التعليم ولا يهتم بأمر نفسه ولا بيته، بل لا يبالي مظهره وثيابه،



كيف برجل تلك هي طباعه يفسد الشباب وقد أخبرت الآلهه عن حكمته»(14)

لكن كيف يدفع سقراط عن نفسه هذه التهمة، يقول سقراط «أما أن الشبان الأثرياء الذين لا تضنيهم شواغل الحياة كثيراً قد التفوا حولي، فهم قد جاءوا يسعون من تلقاء أنفسهم ليشهدوا امتحان الأدعياء، وكثيراً ما انطلقوا بدورهم يلتمسون أدعياء الحكمة ليجروا عليهم التجربة نفسها، وما أكثر ما صادفوا رجالاً ظنوا في أنفسهم العلم، فإذا بهم لا يعلمون إلا قليلاً، أو هم لا يعلمون شيئاً، فلا يلبث هؤلاء الـذين امتحنهم الشباب أن يصبوا على جام غضبهم، وأنفسهم أحق بهذا الغضب ويستنزلون اللعنة على سقراط لأنه أفسد الشبان، فإن سألهم سائل فيم هذه اللعنة، وأي جريرة أتي وأي رذيلة علَّم، لما حاروا جواباً لأنهم لا يعرفون لغضبهم سبباً، ولكي يستروا علائم الحيرة تراهم يعيدون التهم المعروفة التي قذف بها الفلاسفة جميعاً، من أنهم يعلمون ما يتصل بالسحاب الحق، والحقيقة أنهم جاهلون ويأبون الاعتراف بجهلهم المكشوف» (15)

إذاً الشباب شاركوا سقراط، وليس سقراط هو الذي شارك الشباب، معنى أن سقراط هو الفاعل الأصلى، والشباب فاعل مساعد دخلوا على الفاعل الأصلى فتعلموا طريقته وقاموا

بفعله، إذاً فما ذنب سقراط، هل يحاسب على ذنب لم يفعله، وهل يملك كائناً من كان أن يحاسب أي إنسان على حب الناس له، ومع ذلك يستخدم سقراط حلمه وأناته، ويستدعى صبره وورعه، ويتحدث بلسان المنطق الذي عهدناه عليه دوماً فيقول للقضاه بشأن تلك التهمة «إحدى اثنتين، إما إنني لا أفسد الشباب، أو أنني أفسدهم عن غير عمد، وسواء أصحت هذه أم تلك فأنت كاذب في تلك الحالتين، فإن كانت جريمتي بغير عمد فلا يحاسب عليها القانون، وكان خليقاً بـك أن تسدى لى النصح خالصاً، محذراً ومؤنباً في رفق ولين، فإن انتصحت بـك أقلعت ولا ريب عـما كنـت آتيـه بغـير قصـد، ولكنـك أبيـت لي نصحاً وتعليماً، وآثرت أن تجئ بي متهماً في ساحة القضاء وهي محل العقاب لا مكان التعليم» (16)

حقاً، هذا هو الأوجب، لو أذنب سقراط، فالأولى بأرباب العقول إذا كان لديهم عقول بالأساس أن يقدموا النصح بشفقة ولين إلى سقراط لا أن يسوقوه إلى المحكمة.

ولكن لأن جذور هذه الدعوى سياسية بالأساس، فليس من مفر من المحاكمة، ولابد وأن يموت سقراط، لدرجة تجعلنا نقول بأن سقراط لم يصل إلى الاغتيال عبر السياسة، على الرغم من عـدم اشـتغاله بهـا كـما أكـد في دفاعـه، ولكـن تلـك الجـذور



السياسية قادته إلى التصفية الجسدية في صورة محاكمة، حيث يذكر التاريخ الآثيني أنه في عام 411 ق.م، قامت ثورة مدعومة بالجهود الإسبرطية وأسقطت حكم الديموقراطية، وأقامت نظاماً ديكتاتورياً مستبداً، وفي عام 401 ق.م، أي قبل المحاكمة الشكلية بعامين أوشكت الثورة الثانية أن تنجح حيث كان الشباب الأثرياء الذين هم تلاميذ سقراط بالأساس قد لعبوا دوراً مهماً في هذه الأحداث السياسية، ومن هنا كانت التهمة «إفساد الشباب» (17).

إنه إذا فسدت السلطة وغاب الضمير وتلاشت الأخلاق وطبع على القلوب وضلت الأفئدة فإن أرباب تلك السلطة لا يدخرون وسعاً ف الكيد لأعدائهم والتنكيل بهم، فالتُهم جاهزة ومغلفة، وأساتذة تفصيل القوانين على أتم الاستعداد دامًاً؟

ولكن سقراط أيضاً يدفع هذه التهمة بمنطق واع، ورأى سديد، فيذكر للقضاة أسماء بعض طلابه وذويهم الذين يحضرون المحاكمة، ليسألهم القضاة هل أفسدهم سقراط حقاً، وهذا منطق رائع، وتالياً، إما أن يدعموا بشهادتهم موقف سقراط، وإما أن يقفوا إلى جوار دعوى مليتس، يقول سقراط «ولو كنت أفسد الشباب حقاً، وكنت قد أفسدت بعضهم فعلاً لوجب أن يتصدى منهم للانتقام أولئك الذين تقدمت بهم السن فأدركوا



ما نفثت لهم في نصحى من سوء أيام الشباب، فإن لم يفعلوا ذلك بأنفسهم وجب أن ينهض ذوو قرباهم أو آباؤهم أو إخوانهم، أو من إلى هؤلاء فيقتضيني ما أنزلت بأبنائهم من سوء، ها قد حان حينهم» ثم يستطرد فيذكر بعض الأسماء ثم يقول «ويمكنني أن أذكر غير هـؤلاء كثير ممن كان لزاماً على مليتس أن يقدم منهم للشهادة من يشاء في سياق دعواه، ومع ذلك فادعوه الآن يستشهدهم إن كان قد فاته ذلك أولاً، وسأفسح له الطريق، سلوه هل بين هؤلاء من يشهد له فيقدمه؟ كلا أيها الآثينيون، فنقيض ذلك هو الصحيح، إذ هؤلاء لا يأبون أن يؤيدوا بالقول ذلك المتلاف الذي أفسد ذويهم - كما يسميني مليتس وأنيتس - إني لا أستشهد الشبان الذين أفسدتهم فحسب، فقد يكون عند هؤلاء ما يحيد بهم عن الحق، ولكنى أستشهد ذويهم، وهم بعيدون عن إفسادى، ويكبرون أولئك سناً، فلماذا يظاهرونني بشهادتهم، إلا أن يكون ذلك تأييداً للحق والعدل، فهم يعلمون أني أقول الصدق، أما مليتس فمفتر كذاب»(18)

والسؤال الآن، هل كان سيخسر القضاة شيئاً إذا ما أخذوا حديث سقراط في اعتبارهم وسألوا هؤلاء الشباب الحضور، ألا يغير ذلك من سر القضية!!

ولكنهم لم يفعلوا، لأن الأوامر كانت قد سيقت إليهم



بحتمية اغتيال سقراط، وبالتالي فلابد وأن يُصموا أذانهم ويستغشوا ثيابهم عن كل دليل قد يفضى بصورة أو بأخرى إلى براءة سقراط، والذي لم يتوان عن سوق الأدلة العقلية على براءته، ولكن إرادة المحكمة أبت أن تستمع إلى صوت العقل، وأبت إلا إعدام سقراط، يقول الدكتور زكى نجيب محمود ما نصه «ولكنه إن لم يقم بقسط وافر من شئون الدولة فقد أنفق أيامه في تعليم مواطنيه تعليماً لم يؤجر عليه، تلك كانت رسالته فسواء انقلب تلاميـذه أخيـاراً أم أشراراً فليس من العدل في شئ أن يُتهم بجريرتهم، لأنه لم يعدهم قط بأن يعلمهم شيئاً فكان لهم أن يقبلوا عليه إن شاءوا وأن ينفضوا من حوله إذا أرادوا، ولكنهم شاءوا لأنفسهم أن يلتفوا حوله لأنهم أحسوا لذة عظيمة في الاستماع إلى أدعياء الحكمة متحنون فيفتضح أمرهم، فلو كان سقراط قد أفسد هؤلاء الشباب لقضى الواجب على ذويهم من الشيوخ - إن لم يكن واجبهم هم - أن يتقدموا إلى المحكمة بالشهادة ضده، وهنا يقول سقراط في شئ من التحدي، إن الفرصة لا تزال سانحة لكائن من كان منهم أن يتقدم إلى القضاء بشهادته، ولكن العجيب أن أباء هؤلاء الشبان وأقرباءهم جاءوا إلى المحكمة ليبرئوا ساحة سقراط من تهمة الإفساد، وإذن هؤلاء جميعاً ألسنة ناطقة بأن سقراط إنما يقول الحق، وإذن مليتس مفتر كذاب» (19)

مغالطات منطقية!!

إذاً سقراط سار بدفاعه في اتجاه عقلى بحت ليس فيه عاطفة وليس فيه تورية، بل استند إلى أسانيد عقلية بديهية لا يستطيع العقل إلا أن ينحنى لها احتراماً ويأخذ بها، ولكن، في ذات الوقت الذي يخاطب فيه سقراط العقل، يبتعد مقيموا الدعوى عن كل عقل، وكل منطق، إذ يقول مليتس لسقراط في حواره معه بأن كل الناس يُصلحون الشباب إلا هو، فهو وحده الذي يفسد الشباب وكم في هذا الاتهام من

إذ ما يكون المصلحون عادة أكثر من المفسدين، ولكن مقيمو المدعوى ضد سقراط يصممون على أن الجميع يصلح الشباب إلا سقراط، فهو المفسد الوحيد، وهذا يعنى جهل أولئك المدعين بأبسط حقائق الاستقراء المنهجي، فعلى فرض أن الجميع مصلحون، فإن إفساد سقراط لن يؤثر، وعلى الفرض الآخر، أن إفساد سقراط أبلغ أثراً من إصلاح الجميع، فمعنى ذلك أن سقراط أبلغ حجة وأعظم أثراً، فكيف يتهم بالإفساد إذاً؟! ألا يدل هذا الدفاع العقلى الممنهج على براءة سقراط وإدانة خصومه!!

ومن ناحية أخرى ألا تدل تلك المحاكمة الظالمة على أهلية سقراط للخلود الأبدى واستحقاق خصومه للخزى والعار.

إنها للأسف مقارنة بين مزاجين مختلفين، وغايتين مختلفتين



تهام الاختلاف، وتالياً فالمقارنة بين سقراط وخصومه، هي مقارنة فاسدة منطقياً.

أما عن التهمة الثالثة «الإلحاد» فليس لها نصيب من الصحة أكثر مما للتهمتين السابقتين، وليس فيها من المنطق أو العقل إلا إذا تخيلنا تعقل المجنون!!

ولكن عذر الخصوم في ذلك أنهم أرادوا أن يقوموا بعملية تعبئة عامة للشعب ضد سقراط وتالياً فلم يبحثوا عن صدق أو صحة الدعوى، بقدر ما بحثوا عن تهييج الناس ضد سقراط بقدر ما تسعفهم القوة.

وإلا، فأى عقل هذا الذى يقرأ عن سقراط أنه لا تخلو عبارة من عباراته إلا وفيها اسم الله، ألم يقل «أيها الاثينيون أنا أحبكم وأمجدكم، ولكنى لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم»(20) ألم يقل سقراط «بنى آثينا»، كم كان سلوكى عجيباً لو أننى عصيت الله فيما يأمرنى به»(21)

ألا تدل هذه العبارات على تدين الرجل وانصياعه لإرادة ومشيئة الآلهة!!

ألم يقل سقراط بالعناية الالهية التى تحيط الإنسان وتحفظ حياته!! فهل يستقيم القول بالعناية الآلهية والإلحاد في وقت واحد.



لقد صور زينوفون سقراط وهو يدخل في مجادلات طويلة مع الملحدين أمثال أرستوديموس ليبين له أن العناية الإلهية منتشرة في كل أنحاء الوجود، فقد جاءت كل الأشياء من أجل غاية محددة، وهي صنيعة عقل مدير خلق الجنس البشري على صورة حسنة أسمى من كل الموجودات، من ذلك مثلاً الجسم البشرى وما يحويه من عناية فائقة وإعجازات بالغة، بقول سقراط «إننا لو تأملنا كل شئ في الوجود لرأينا كيف تعمل العناية الإلهية عملها فيه، من ذلك جسم الإنسان وما يحويه من حسن تنظيم وإبداع خلقه، حيث يتجلى هذا التنظيم في وظائف أعضاء الجسم، فالعين مثلاً ترى ما أعد للرؤية، والأذن تسمع ما أعد للسماع، ثم كيف ستكون قيمة حاسة الشم إذا لم يكن هناك فتحتان أو ثقوب الأنف، وما هو الإدراك الذي كنا سنشعر به من الطعم الحلو والحامض، وكل ما هـو لذيـذ التـذوق، إذا لم يكـن بـداخل الفم لسان يشعر بهذه المذاقات، والعين لها جفون حارسات كالأبواب، فلا الرياح تؤذيها ولا يتساقط عليها العرق، والأسنان أيضاً دليل إبداع، فالأمامية منها معدة للقطع، والخلفية لاستقبال الطعام وطحنه، فهل هناك من شك في أن وضع هذه الأشياء يظهر صانع حكيم ذا قدرة أراد الخر للإنسان»(22).



أفى كل هذا الكلام، وهذه الدلائل، يظهر أى إلحاد من قريب أو بعيد!!

أكان مليتس وليقون وأنيتس قد فقدوا عقولهم ليُلصقوا تهمة باطلة كهذه بسقراط، أم أن دافع الحقد قد أعمى عيونهم عن كل حقيقة.

وعلى أية حال، يدفع سقراط عن نفسه هذه التهمة أيضاً دفعاً عقلياً منطقياً بحتاً لا دخل فيه للعاطفة، فيسأل ملتس قائلاً له: «أيستطيع أن يؤمن إنسان برسول ووحى إلهى، ولا يؤمن بالأرواح نفسها أو بأشباه الآلهة؟»(23)

سؤال بحت منطقى، فمليتس يدّعى أن هناك معبودات اصطنعها سقراط لنفسه، وأنه يؤمن بروح خفية تأتيه، وبالتالى كان السؤال منطقياً، هل يعتقد أن يؤمن شخص بأرواح خفية ثم يكفر بالآلهه، إنه لمنتهى التناقض غير المحبوك، وغير المقبول، ولكنه الحقد لا أكثر، كما يصف ذلك سقراط بنفسه قائلاً «ولست أشك أيها الآثينيون في أن مليتس هذا مستهتر وقح، كتب هذه الدعوى بروح من الحقد والطيش والغرور، ألم يبتكر هذه الألعوبة ابتكاراً ليقدمنى بها إلى المحاكمة»(24) ولكن سقراط التمس لمليتس العذر أيضاً بسماحة ونبل ولكن سقراط التمس لمليتس العذر أيضاً بسماحة ونبل أخلاقه، حيث لفت نظره إلى أنه رها يكون قد خلط بينه



وبن أنكساجوراس الذي قال بأن الشمس والقمر كتلتن متحجرتن، ثم يدفع أخراً تهمة الإلحاد برمتها بقوله «ولكن لن بجوز على من متلك ذرة من فهم، قولك هذا بأن رجلاً يعتقد في أشباء إلهبه هي فوق مستوى البشر، ولا يؤمن في الوقت نفسه بأن هناك آلهة وأشياه آلهه وأبطالاً»

فالدعوى فاسدة إذاً منطقباً وأخلاقباً، ولا تعرف ناحبة واحدة من نواحى الصلاح. لكن يبقى السؤال الآن، إذا أفلح سقراط في دفع هذه التهم عنه بطريقة عقلية منهجية، وإذا كانت هذه التهم باطلة وفاسدة منطقياً، فلماذا سبق سقراط إلى المحاكمة بالأساس.

لماذا بحاكم سقراط:

يتحول مجرى البحث الآن من الموضوع إلى الـذات، مـن المحاكمـة ذاتها وفسادها وبطلانها إلى البحث عن الأسباب الحقيقية التي لأجلها سيق سقراط إلى المحاكمة بالأساس، تلك الأسباب التي تُكون في مجموعها أسرار تلك المحاكمة.

1- الأسباب السياسية:

ربما سيق سقراط إلى المحاكمة لتهم سياسية، أهمها أنه كان يتسبب في إحراج الساسة والمشاهير من مدعى العلم والمعرفة، حيث كان سؤال سقراط هادفاً، وفرق كبير بين سؤال هادف،



وسؤال غير هادف، بين أن تسأل لتعرف، فتكون غاية السؤال تحقيق المعرفة، وبين أن تسأل لتصحح مسار فكر الآخرين، فتكون غاية السؤال التوجيه والتقويم، وسؤال سقراط كان من هذا النوع، مما كان يسبب جرحاً شديداً للمدعين للمعرفة.

فرجا سيق سقراط إلى المحاكمة لهذا السبب، خاصة وأن تلاميذه ساروا متحنون الأدعياء تماماً مثل سقراط.

وربما كانت مواقف سقراط السياسية التي حكى عنها بنفسه في دفاعه سبباً في نسج تلك المحاكمة خاصة وأن سقراط ذاته لوح إلى ذلك، من ذلك مثلاً موقفه من حكومة الثلاثين الذين عـدوه في النهايـة خائنـاً للدولة وهو ما حكاه سقراط بنفسه قائلاً: «سأقص عليكم قصة تشوقكم أو لا تشوقكم، ولكنها مع ذلك حق، إننى لم أشغل منصباً إلا مرة واحدة عضواً في مجلس الدولة، وكانت رياسة المجلس عند محاكمة القواد الذين لم ينقذوا جثث القتلى بعد موقعة أوجنيس لقبيلة أنتيوخس- وهي قبيلتي - فرأيتم أن تحاكموهم جميعاً، وكان ذلك منافياً للقانون كما أدركتم ذلك جميعاً فيما بعـد، ولكني كنـت إذ ذاك وحدى بين أهل بريتان أعارض الافتئات على القانون، وأعلنت رأيي مخالفاً لكم، ولما تهددني الخطباء بالحبس والطرد، وصحتم جميعاً في وجهى آثرت أن أتعرض للخطر مدافعاً عن القانون



والعدل على أن أساهم في الظلم خشية السجن أو الموت، حدث ذلك في عهد الدموقراطية، فلما تولى زمام الأمر الطغاة الثلاثون أرسلوا إلى وإلى أربعة معى، وكنا تحت السقيفة، فأمرونا أن نسوق إليهم ليون السلامي من بلدة سيلامس لينزلوا به الموت، وذلك مثل لأوامرهم التي اعتادوا أن يلقوها لكي يشركوا معهم في جرامُهم أكبر عدد ممكن من الناس، فبرهنت لهم قولاً وعملاً، أني لا أعبأ بالموت، وأنه لا يزن عندي قشة، إن صح هذا التعبير، وأن كل ما أخشاه هو أن أسلك سلوكاً معوجاً شائناً، فلم أرهب طغيان تلك العصبة الظالمة، ولم تضطرني إلى ركوب الخطأ، فلما أخرجنا من السقيفة حيث كنا، ذهب الأربعة الآخرون إلى سيلامس في طلب لبون، وكدت أن أفقد حياتي لقاء ذلك العصبان لولا أن دالت دولة الثلاثين بعد ذلك بقليل وما أكثر من بشهدون بصدق ما أقول»(25)

هذه حكاية سياسية بحتة، فلماذا ذكرها سقراط في دفاعه!!

لا أرى سبباً لـذكرها غير أن سـقراط أراد أن يلمـح إلى السبب الحقيقي الذي لأجله تتم محاكمته، فالأحداث السياسية المتراكمة قادته إلى قدر الخلود من حيث لا يدري.

ويـذكر التـاريخ الآثينـي مـا يؤيـد صـحة روايـة سـقراط تلـك، حيث يـذكر صـاحب «دسـتور الآثينيــن» أن الشـعب بعــد أن



حاكم القواد العشرة الذين تركواالجثث تغرق، انهزمت آثينا في موقعة أبجوس بوتاموس، وأصبح لو ساندروس بعد الهزيمة سيد آثينا فأقر فيها حكومة الثلاثين الأرستقراطية (26)

وقد قامت هذه الحكومة فى بادئ أمرها على العدل، فقضت على القوانين التى تقي حرية المواطنين، وكذا قضت على السوكوفانتس (*) واكتسب الشعب الثقة فيهم، وتوسم المواطنون فيهم حسن التدبير والإدارة، ولكنهم لم يكادوا يشعرون بأن سلطانهم قد أصبح ثابتاً مؤيداً من الجماهير حتى أظهروا سوء نيتهم، فلم يرعوا لمواطن حرمة أو قرابة، بل قتلوا كل عضو فى المدينة يبدو عليه الثراء أو النبل أو الرأى، وقد أحصى من قتلوا فى آن قصير فكانوا لا يقلون عن خمسمائة وألف(27).

فرجا سيق سقراط إلى المحاكمة بسبب هذه المواقف السياسية، وليس ذلك بالظن ولكنه باليقين، يقول سباين «قد كان سقراط بوقاً ينتقد الديموقراطية الآثينية التى كانت تفترض أن أى إنسان يصلح لشغل أى منصب» (28)

إذاً، كانت السياسة هى المدخل الحقيقى للتفكير في اغتيال سقراط، ولم يتطرق سقراط إلى الحديث عنها في دفاعه إلا ليلفت نظرنا إلى الأسباب الحقيقية وراء مؤامرة الإغتيال.



2- الاتهام بالفلسفة:

قطعاً هي مشكلة كل عصر، ومشكلة كل البلاد، الاتهام بالفلسفة أو التفلسف والقيام وفق رؤية فلسفية بمحاولات إصلاح جذرية.

فرجا سيق سقراط إلى المحاكمة لأنه متهم بالفلسفة فيما يقول هو «قد يقال عن رجل إنه حكيم، ولكن الآثينيين فيما أحسب لا يُكلفون أنفسهم عناءاً بشأنه إلا إذا أخذ يبُث في الناس حكمته، عندئذ يأخذهم الغضب لسبب ما، وقد يكون لغيرة فيهم» (29)، ولعل هذه العبارة صادقة في كل قوم وكل بلد، فالناس متسامحون ما دمت تقصر عملك على نفسك، أما إذا علمتهم إياه وكان مخالفاً لما درجوا عليه من علم فإنهم لا يدخرون وسعاً في المعارضة.

ولعل هذا هو السبب عينه الذى ترك عميق الآثر في أفلاطون عندما ندب حظ الفلسفة قائلاً: «وهكذا تُترك فتاة تخلى عنها أقرب الناس إليها، وعلى حين يحيا أنصارها حياة زائفة لا تليق بهم، فإن حرمان الفلسفة من أهلها القادرين على حمايتها يشجع الدخلاء على اقتحام دارها وتلطيخ شرفها، فينسبون إليها تلك العيوب التي ذكرتها، وهي أن أهلها منهم من لا يصلح لشئ، والباقون وهم الأكثر يستحقون أشد العقاب»(30).



ولعل نداء أفلاطون بضرورة الحاكم الفيلسوف كان غرة لذلك الألم النفسى الكبير، كما أنه يعد انتصاراً كبيراً للفلسفة، وهنا يقول باركر «يبدو لى أن النظرية السياسية للجمهورية تبدأ من أفكار سقراطية وتنتهى إلى نتائج أفلاطونية»(31)

وربها سيق سقراط إلى المحاكمة أيضاً لأنه ناصح أمين لقومه، مثلها قال وشبه نفسه بالذبابة اللاذعة «وإن جاز أن أسوق إليكم هذا التشبيه المضحك لقلت إنى ضرب من الذباب الخبيث، أنزله الله على الأمة، التى هى بمثابة جواد لنبيل عظيم ثقيل الحركة لضخامته، ولابد له فى حياته من حافز، أنا تلك الذبابة الخبيثة التى أرسلها الله إلى الأمة، فلا شاغل لى متى كنت وأنى كنت، إلا أن أثير نفوسكم بالاقناع والتأنيب، ولما كان من العسير أن تجدوا لى ضريباً فنصيحتى لكم أن تدخروا حياتى، نعم قد أكون مزعجكم كلما باغتكم فأيقظتكم من نعاسكم العميق، ولكم أن تأملوا، إذا ما صفعتمونى صفعة الموت، كما ينصح أنيتس، وما أهون ذلك عليكم، أن يهدأ لكم الرقاد بقية حياتكم دون أن يبعث لكم الله ذبابة أخرى إشفاقاً عليكم»(32)

فقد يكون هذا الأسلوب السقراطى قد صنع له العداء، لذا سيق إلى المحاكمة التي أقل ما يُقال عنها أنها باطلة وظالمة.

3- الحقد الذي يأكل القلوب:

ربها سيق سقراط إلى المحاكمة بسبب الحقد، فهو سبب كاف جداً لتقديم أى شخص فى أى زمان وأى مكان إلى المحاكمة، فكثيراً ما قدم الزعماء والمصلحون إلى المحاكمات بسبب الحقد، وبسبب مرض القلب، وهو ذات السبب الذى قدم لأجله سقراط إلى المحاكمة فيما يقول: «فليس الأمر قاصراً على مليتس وأنيتس، ولكنه الحقد الذى يأكل القلوب، ويغرى الناس بتشويه السمعة، فكثيراً ما أدى ذلك برجال إلى الموت، وكثيراً ما سيقضى بالموت على رجال، فلست بحمد الله آخر هؤلاء» (33)

ولن يكون سقراط آخرهم، ولن ينتهى هذا النوع من المحاكمات إلى قيام الساعة، لأن أول جريمة تمت على الأرض كانت بدافع حقد أحد أولاد آدم عليه السلام على أخيه فقتله، كما وضح لنا القرآن هذه الحقيقة في عدة مشاهد خالدة.

على أية حال، تلك هى الأسباب الحقيقية التى سيق سقراط بسببها إلى الموت، فكيف تمت عملية الاغتيال، وهل ساهم فيها سقراط بنصيب.

ثالثاً: الاغتيال:

بعد أن دافع سقراط عن قضيته العادلة أمام القضاة الذين



يجهلون أخص أمور التقاضى والسياسة، كان الحكم المعد مسبقاً هـو الإعدام.

لا أستطيع أن أتخيل أمام ركام ما قرأته عن سقراط صدق عملية الاقتراع على براءته أو إدانته، ولكنها عملية شكلية بحتة من لوازم السياسة كما يحدث فى كل عصر وفى كل ظرف مشابه، مجرد شكليات، ليبينوا للحضور وللتاريخ وللأجيال القادمة أن المحاكمة تمت فى جو كانت الديموقراطية هى السمة الغالبة فيه وتالياً فلا يجوز اعتبار سقراط شهيداً.. حتى لقب شهيد، أراد القضاة أن يسلبوه عن سقراط...

يقول سارتون: «كاد سقراط أن يبرأ لأن الحكم بإدانته لم يفز إلا بأكثرية 00 من 51 صوت، وكان من اليسير أن تصوت هذه الأكثرية في مصلحته لمو أنه حاول أن يكسب عطف «المجمع الآثيني بالكلام اللبق»، أو لو أنه دافع عن نفسه دفاعاً جدياً، ولكنه فعل عكس ذلك، فكان دفاعه أية من آيات السخرية، وخطابه كفيلاً بتأليب ذوى العقول الضيقة عليه»(34)

ومع كامل احترامى لسارتون، أى سخرية تلك التى قام بها سقراط في المحاكمة، هل سخر سقراط من أحد.

إن الشئ الوحيد الذي سخر منه سقراط هو الموت، فقد هزأ

بالموت حتى الموت. إن سقراط كله بتلخص في مبادئه، وفي ممارسة تلك الميادئ النظرية عملياً!!

لقد كانت الإرادة السياسية ممتلئة القلب غيظاً من سقراط، وكان الحكم الموجود في أدراج المحكمة قبل انعقاد المحاكمة يحمل كلمة «الإعدام»، فسواءاً سخر سقراط أم لم يسخر، وسواءاً دافع عن نفسـه أم لم يدافع، كان مصيره حتماً، لا إلى الموت، ولكن إلى الخلود، وتلك كانت هي الإرادة السياسية، يقول أستاذي الدكتور النشار ما نصه «ولكن غوغائية المحكمين ورغبتهم في التخلص من هذا الرجل الذي أقلق راحتهم وكشف عن تفاهتهم، وبدا وكأنه يعلو بطبيعته السامية عن طبائعهم الأنانية، جعلتم لا يلتفتون إلى هـذا الـدفاع الـذي كـان كفـيلاً ىتىرئتە، وىصوتون ضدە بأغلىية ضيئلة»(35)

ويرد سقراط على كل من يتوهم أنه يلقى بيـده إلى التهلكـة قـائلاً «سيقول أحدكم ألا تخجل يا سقراط من حياة يغلب أن تؤدي بـك إلى موت مباغت، وعلى ذلك أجيب في رفق، أنت مخطئ يا هذا، فإن كان الرجل خيراً في ناحية منه فلا ينبغي أن يتدبر أمر حياته أو موته، ولا يجوز أن يهتم إلا بأمر واحد، وذلك أن يرى هل هو فيما يعمل مخطئ أم مصيب، وهل يقدم في حياته خيراً أم شراً» (36)



ثم يقبل سقراط الموت مؤثراً له على الحياة فيقول «فإنى لأوثر خطتى التى رسمتها ولو أدت بى إلى الموت، على أن أصطنع خطتكم احتفاظاً بالحياة، فلا يجوز لإنسان في ساحة الوغى أو أمام القانون أن يلتمس أى سبيل فراراً من الموت»(37)

ذاك هو سقراط!!:

رجل يُقبل على الموت بنفس مطمئنة راضية دون خوف أو فزع أو جزع، أليست تلك الحياة المثالية قد جسدت عملياً فعلاً..

إنه يمكننا القول فعلاً «أن حياة وفلسفة سقراط كما خلدها تلاميذه قد جسدت شخصية مثالية للقيلسوف الذي يقول ما يفعل، ويفعل ما يقول، ويرتبط لديه العلم بالسلوك»(38)

إذاً الإرادة السياسية هي التي اغتالت سقراط، لأنه لا يمكن تغيل اجتماع الاثنان أبداً في وطن واحد، فسقراط هو العدو الأول والأوحد للساسة. أصحاب الجهل السياسي، وأصحاب البحث عن المصالح الشخصية فقط لا غير، يقول باركر «وسواء وصف سقراط بأنه كان رجلاً مفكراً أو لم يوصف بذلك فالمقطوع بصحته أنه مات شهيداً لفكرته الذهنية عن السياسة، لقد وجه النقد إلى خصائص الديموقراطية الآثينية من



لجوء إلى الاقتراع، ومن تشكيل للجمعية الوطنية ومن جهل اتصف به ساسة آثينا، وبيدو أنه نادي بأن معالجة السياسة تتطلب حذقاً فلسفياً للمعرفة، ولا شك أن تعليماً كهذا في دولة ديموقراطية، يعتبر في أحسن الظروف عدم ولاء للدولة ويعتبر في أسوأها خيانة عظمى» (39)

على أية حال لقد مات سقراط، ولسان حاله يقول: «إنه لخير لك ألف مرة أن تكون سقراطاً تعيساً شقياً من أن تحيا خنزيراً قانعاً سعىداً» (40)..

لكن السؤال الآن، هل أعدم سقراط نفسه؟!

هذا سؤال طرحه دودس، وستون، وبرنت، وغيرهم الكثير من ثقات الكتابات الفلسفية، وهم إنما يطرحون هذا السؤال بدافع واحد فقط، هو دفع أي تهمة من بعيد أو قريب عن سقراط!!

لكن بداية نرد على هذا السؤال بسؤال آخر أيضاً، كيف يكون سقراط أعدم نفسه وقد قام بكل ما ينبغي عليه القيام بـه عـلي أكمـل وجه أمام المحكمة.

- لقد ذكرهم بما فعله لهم من خير ومحاولات إصلاح.
- ثم ذكرهم أنه كان مواطناً صالحاً وخدم في الجيش وثبت



في المواقف الشداد.

- ثم رفض استعطافهم لما فيه من عار يلحق بهم وببلادهم أبد الدهر.
 - ثم حاول إثناءهم عن ارتكاب جرم في حقه.

بالإجمال، لقد دافع عن قضيته دفاعاً عقلياً بحتاً لا عاطفة فيه، فكيف يكون أعدم نفسه؟!

قد يقول قائل أن سقراط أعدم نفسه عندما لم يهتم بالدفاع عن نفسه ولم يُحسن دفاعه، بل ورفض العبارات الخطابية؟!

ولو فعل سقراط غير ذلك لما كتب له الخلود، لقد كان بإمكانه أن يدافع عن نفسه بطريقة الجدل السوفسطائ، تلك الوصمة التى وصمه بها أرستوفانيس، فلما لم يستخدمها سقراط فى دفاعه حتى يحظى بالبراءة، إنه لو فعل ذلك لهدم ذاته إلى الأبد، ولنزع عن نفسه الخلود، ولما وصلنا شئ مطلقاً عنه.

إنه رفض أن يستعمل ذات الأسلوب الذى هاجمه من قبل، رفض أن يشترى حياة رخيصة من وجهه نظره، بمبادئ عظيمة راسخة، رفض أن يدفع خلوداً ثمناً لفناء محقق، بالاختصار لقد صنع سقراط ما هو أهل له وصنعت الديموقراطية ما هي أهل له،



لم يكن يجدر بسقراط سوى أن يقدم على الموت راضياً ومرحباً، ولم يجدر بالقضاة إلا إعدامه وفقاً لإرادة سياسية مملاة مسبقاً عليهم، ووفقاً لجهل مطبق يرتعون هم أنفسهم فيه، فكل قام بدوره على أكمل وجه،وكل سار ناحية غايته دون توقف، وكل فعل ما هو منوط بفعله ـ فسقراط إلى الخلود، والقضاة إلى عار ملازم أبد الدهر، إذ سيذكرهم الجميع بلقب «مغتالي العقل» ويا له من لقب، يكفى لأن يلحق العار الأبدى بأصحابه.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، قد يقال إن سقراط خرج عن كل معروف ومألوف، ما فيهم كبار الساسة والأثرياء، بالاختصار، لقد فعل سقراط ما هو أهل له، يقول سقراط «ودعوكم من العار فيلوح لي أن في استرحام القاضي واستجدائه العفو في مكان إقناعـه وإنبائـه بالنبـأ الصحيح خطلاً، فليس واجب القاضي أن منح العدالة منحاً، بل عليه أن يحكم حكماً عادلاً، وقد أقسم أن يحكم وفق القانون دون أن يميل مع الهوى، ولا يجوز له ولا لنا أن نتعود الحلف باطلاً، فلا أحسب في ذلك شيئاً من الورع والتقوى، فلا تريدوني إذاً على أن أفعل مـا أعـده فجـوراً وشيناً وخطلاً» (41)

ذاك هو ما يليق بسقراط، منهجاً وعقلاً وفطرة وحياة وموتاً. ثم تراه في موضع آخر يقول: «إنني رجل ككل الناس خلقت



من لحم ودم لا من خشب وحجارة كما يقول هومر، ولى أسرة ولى أبناء عدادهم ثلاثة بلغ أحدهم الصبا وما يـزال الآخـران طفلـين، ومع ذلـك فلن أسوق إليكم منهم أحداً يستجديكم براءتى، ولم لا، لسـت أصـدر فى ذلك عن اعتداد بنفسى أو اذراء لكم، وسواء خشيت الموت أم لم أخشـه فذاك شأن آخر لن أتحدث عنه الآن، وإنما دفعنى إلى ذلك عقيـدة أن ذلك تصرف يضع من قدرى ويحط مـن شأنكم ويصـم الدولـة بأسرها وصمة عار»(42)

لو كان هذا الحديث سبباً في الاغتيال فما أعظمه من اغتيال.. وما أعظمه من شموخ، وما أعظمه من إباء السماء في عليائها، وإباء العظماء الذين لا تغيرهم المواقف، ولا تفسد المادة أرواحهم.

وقد يقال إن سقراط قد استفز القضاة عندما ظل راسخاً على موقفه ومصمماً على أنه لم يفسد الشباب ولم يكفر بآلهة الدولة!!

والسؤال الآن، هل يطلب من المتهم أن يوافق المحكمة في جميع إتهاماتها حتى يكسب تعاطفهم معه، أو حتى لا يستفزهم؟!

بالمنطق السليم، سقراط دافع عن قضيته دفاعاً عقلياً لا



مجال للعاطفة فيه، أما كون القضاة يبحثون عن البكاء والعويل حتى يتعاطفوا مع المتهم فهي لبست محكمة إذاً ولكنها جلسة عرفية (وهذا أقل ما يقال عنها)، لأن المحكمة تحكم بنص القانون، فكيف بكون للعواطف دخل في حكمها؟! وعلى فرض أن سقراط قام بهذا الـدور العاطفي، وجاء بأبنائه وزوجته باكن مولولين، هل كان الموقف سىتغىر ؟!

إن الحكم كان موجوداً في أدراج المحكمة قبل انعقادها؟!

فالموت إذاً بشرف يكتب لصاحبه الخلود، أفضل من موت نراه خزياً أبد الدهر.

ولكن قد يقول قائل، لقد بالغ سقراط في عناده للقضاة وكأنه بتحداهم في ثلاثة مواضع.

الأول: عندما لم يأبه بهم ولا بحكمهم ولا برأيهم فقال لهم في أقصى صور التحدي «أيها الآثينيون! سواء لـدي أصـدعتم ما يأمركم به أنيتس أم فعلتم بغير ما يشير، وسواء أأصبت عندكم البراءة أم لم أصبها، فاعلموا أني لن أبدل من أمرى شيئاً ولو قضيتم على بالموت مراراً»

والثاني: عندما فضل الفلسفة على المحكمة ولم يعبأ



بالمحكمة تماماً فقال مخاطباً مواطنيه «بنى آثينا، كم كان سلوكى عجيباً لو أننى عصيت الله فيما يأمرنى به - كما أعتقد - بأن أؤدى رسالة الفلسفة بدراسة نفسى ودراسة الناس، وفررت مما كلفنى به خشية الموت أو ما شئت من هول»(43)

ويبدو سقراط وكأنه غير عابئ بالموت أو بالقضاة أو بالمحكمة أو بأى شئ إطلاقاً.

والثالث: عندما قال فى تحد ما بعده من تحد «لو قلتم لى يا سقراط، اننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس على شرط واحد، وذلك أن تكف عن البحث والتفكير فلا تعود إليهما مرة أخرى، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت، إن كان هذا شرط إخلاء سبيلى أجبت بما يلى: أيها الآثينيون، أنا أحبكم وأمجدكم ولكنى لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها ما دمت حياً قوياً، أسأل بطريقتى أيا صادفت بأسلوبى، وأهيب به قائلاً مالى أراك يا صاحبى تعنى ما وسعتك العناية بجمع المال وصيانة الشرف، وذيوع الصيت، ولا تنشد من الحكمة والحق وتهذيب النفس إلا أقلها، فهى لا



تصادف من عنايتك قليلاً ولا تزن عنك فتيلاً وأنت ابن آثينا مدينة العظمة والقوة والحكمة، ألا يُخجلك ذلك؟!» (44)

هذه النصوص جميعها، قد تُظهر مدى تحدى سقراط للقضاة وعناده لهم، وهم أنفس بشرية يعتريهم ما يعترى البشر من ضيق وانفعال وغير ذلك، فلما لا تكون هذه العبارات سبباً في اصدار الحكم بالإعدام؟!

وما يجعلنا نقف هنا مكتوفى الأيدى لا نستطيع أن نعطى رأياً بهذا الخصوص هو أن أفلاطون لم يسجل الحكم أو حيثياته، وإنها اكتفى بأن يقول: «وهنا يصدر الحكم بالإعدام»، فلعله لو ذكر نص نطق الحكم وحيثياته ومبرراته القانونية لأراحنا كثيراً عناء التخيل والتفكير في مثل هذه الأمور.

ولكن إذا لم يكن الحكم بالإعدام، فهل يطلب سقراط عقوبة أخف كأن يدفع غرامة مثلاً يتكفل بدفعها أصدقائه، أو يقترح عقوبة النفى؟! ولكن الشئ المتصور أن من يقول مثل هذا الرأى كأنه يريد أن يجبر سقراط على الاعتراف بذنب لم يفعله، لأنه لو قبل أياً من ذلك فمعناه أنه أذنب ويستوجب العقاب، ولكنه لم يذنب، ولم يُجرم في حق أحد، بل قدم الخير كله والإحسان كله إلى بنى وطنه، إنه مع توافر أدنى مبادئ



الإنسانية لم يكن يجدر به سوى الجزاء الذى قاله هو، وإن كان البعض يأخذه على أنه تهكم من المحكمة، إلا أنه كان حديثاً جدياً كل الجد، منطقياً كل المنطق «فماذا يحسن برجل فقير أحسن إليكم الصنيع، ويرغب في الفراغ ليتمكن من تعليمكم سوى أن يظل ابداً في مجلس الدولة، وإنه أيها الآثينيون لأجدر بهذا الجزاء ممن كوفئ في أولمبياد في سباق العجلات سواء أكان يجر عجلته جوادان أو أكثر، لأننى فقير محتاج، وذاك غنى عنده ما يسد منه العوز، على أنه لا يعطيكم إلا سعادة ظاهرية، أما أنا فأدلكم على الحقيقة، فإذا كان لى أن أقدر لنفسى عقوبة عادلة ما قلت بغير البقاء في مجلس الدولة جزاء أوف»(45)

ما أعدل هذا الجزاء لو أنهم أخذوا به!!

فسقراط جد فى كل حرف نطق به، وليس كما يقول البعض، أنه هزل عند الجد، بل إن كلماته لتوزن بميزان من ذهب حقاً، كلمات خرجت من قلب موجوع، وعقل مشغول ببنى وطنه، يريد لهم سعادة حقيقية، وتعليم حقيقى، وفضيلة راسخة، وقيم ثابتة..

ألم نتعلم أليس من جزاء للإحسان سوى الإحسان!! فهل الإعدام هو الإحسان لهذا العقل الكبير والقلب العظيم والروح



الطاهرة التي تهيم عشقاً لبني وطنها!!

ولعل البعض يدرك حجم تلك المأساة، اغتيال العقل، فيحاول أن يخفف من غلواء ذاك الاغتيال، فيصف الطريقة التى مات بها سقراط بأنها رحيمة إذا ما قورنت بطرق الإعدام المتبعة حالياً فى البلدان التى تدعى الديموقراطية(46)، ولكن وإن كان القصد من الحديث محاولة التماس بعض الرضا النفسى، فإنها محاولات لا تُبرر أبداً، فالموت فى النهاية هو الموت، هو خروج الروح من الجسد، هو انعدام الحياة وقتل الفكر وتوقف العقل، أياً كانت الطريقة التى تُسلب بها الحياة، فالنتيجة واحدة، إنها اغتيال العقل لا أكثر.

وعلى الرغم من أن هذا الاغتيال كان مقصوداً، دبر له بليل، إلا أن سقراط استقبله بصدر رحب، دون ضيق، ودون ضجر، فالموت خير، وليس بعد الموت للصالحين سوى النعيم المقيم، يقول سقراط «وهأنذا الآن أجيبكم – أنتم يا قضاتى – فأبين لكم أن من عاش فيلسوفاً حقاً، معه الحجة في أن ينعم بالاً إذا ما اقترب من الموت، وأنه قد يرجو أن يصيب في العالم الآخر بعد الموت أعظم الخير» (47)

ثم إن الموت بقدر الله سبحانه وتعالى - وهذه النزعة الدينية في كل حرف يتحدث به سقراط ما تثبت لنا أحقية الشك في



معضلة نبوته – فلن يصاب إنسان صالح أبداً لا في حياته ولا بعد مماته، يقول سقراط «فابتسموا إذاً للموت أيها القضاة واعلموا علم اليقين أنه يستحيل على الرجل الصالح أن يصاب بسوء، لا في حياته ولا بعد موته، فلن تهمله الآلهة، ولن تهمل ما يتصل به، كلا وليست ساعتى الآزفة قد جاءت بها المصادفة العمباء»(48)

وكأن سقراط بكلماته هذه إنها يستقى مادتها من ألواح موسى عليه السلام، إذا اعتبرنا صدق الرواية التى تقول بأن سقراط عاش بعد موسى بنحو مائتين سنة، أو كأنه كان يقرأ وحياً يتنزل عليه هو شخصياً.

إن لديه ثباتاً مطلقاً، ولديه حجة بالغة، ولديه رضا تام بما يحاك حوله!! يمكننا القول إذاً أن موت سقراط يُعد اغتيالاً للعقل في مهبط العقل، وانكسافاً للنور في بلد النور (49)، ثم انهياراً لبلد عشقت الفلسفة اسمها آثينا، يقول وولف «إن الحكم بالموت على المواطن الفيلسوف سقراط، كان كما لو أن الدولة الآثينية في القرن الخامس بقلب صفحة ذروتها، قد وقعت قرار موتها هي»(50)

حقاً،، لقد وقعت آثينا قرار موتها عندما وقعت على قرار اغتيال سقراط، وعندما قبلت هذا الاغتيال وباركته، لكن



يبقى السؤال الآن هل مكن اعتبار سقراط شهيداً لأجل عقيدة دينية وتصور إلهي معن؟!

ورغم أن الإجابة قد تبدو صعبة على مثل هذا السؤال، إذ كثراً ما يواجه الأنبياء والمصلحون المشكلات التي لا سببل إلى الخلاص منها، ولكن الأرجح على أية حال أن سقراط قد سيق إلى الإعدام عبر مقاومته لنظريات سياسية فاشلة، فالإعدام إذاً قد أتى من باب السياسة وليس من باب الدين، يقول باركر «ومن الخطأ اعتبار سقراط شهيداً من شهداء الدين، لقد لقى سقراط حتفه لأنه اعتُبر خطراً على نظام الدولة السياسي، ولكن ما أن هذا النظام كان مرتبطاً بالعبادة الرسمية لآلهة المدينة، فقد اتُهم أيضاً بأنه عدو لهذه العبادة، أي أن التهمة الدينية كانت أشبه شيّ بفكرة لاحقة أو نتبجة للتهمة السباسية، إذ أن اعتباراً متعلقاً مصلحة الدولة هو الذي أدى إلى محاكمة سقراط، والاعتبار نفسه هو الذي أدى إلى إدانته، وعلى موت سقراط لا حياته انعقد تفكر القرون وخيالها»(51)

لكن هل يستحق سقراط الإعدام؟! ألم تشفع له دعوته إلى اصلاح العقل وتعديل مسار التفكير لمواطني آثينا؟! ألم يشفع له تعليمـه المـواطنين دون أجـر؟! ألم تشـفع لـه أخلاقـه الشخصية وفضائله، وطهارة نفسه، وسمو روحه، بشهادة معاصرية، يقول



زينوفون «إن كل من يعرف من أي غط من الرجال كان سقراط، وكل من ينشد الفضيلة مازال حتى اليوم يحزن لفقده أكثر من أى مروع آخر، لأنه كان أكر عون في البحث عن الفضيلة، أما أنا فقد وصفته عما كان، تقياً بحيث لم يصنع شئ إلا مشورة الآلهة، وعادلاً بحيث لم ينزل أى أذى مهما صغر بأي إنسان، بل كان يغدق على كل من يعامله أعظم ضروب النفع، ضابطاً لنفسه بحيث لم يختر قـط السبيل الأسهل عوضـاً عن السبيل الأفضل، حكيماً بحيث لم يخطئ قط في التمييز بين الأفضل والأسوأ ولم يحتج إلى مشير، بل كان يعتمد على نفسه في معرفتهما، حاذقاً في شرح هذه الأشياء وتحديدها وامتحان الآخرين واقناعهم بخطئهم وحثهم على اقتباس الفضيلة والرفض، وهكذا كان عندى مثـالاً للرجل العادل والسعيد حقاً، أما إذا شك شاك فليقارن خلق غيره من الرجال بهذه المزايا ثم دعه يحكم لنفسه» (52)

تلك هي شهادة أحد معاصريه العدول!!

ألا تشفع تلك الشهادة لسقراط عند بنى قومه؟!

ومن ناحية أخرى، آثينا بلد الفن والعقل والحكمة، بلد هوميروس وهزيود وصولون والحكماء السبعة الذين يشار إليهم بالإكبار، كيف تحول مصيرها لاغتيال العقل الذي زرعته هي



بالأساس وغته وأثمرته، لا شك أن السوفسطائيين بتحملون النصب الأكر من هذه الانحدارات الفكرية والأخلاقية.

ويبقى السؤال أيضاً، ألم يكن الأولى بسقراط أن يُخلد اليونانيون حياته لا أن يخلد بوفاته، ألم يكن سقراط أحق بالتكريم الذي ما بعده تكريم، لأنه حاول بناء بلده، وحاول رفعة وطنه، واستمات في المحاولة حتى الموت؟!

هل قست قلوب الآثينيين، هل تحجر قلب آثينا النابض بالحياة والمعرفة والفلسفة، ألم مجد آثينا شهداء حروبها المتتالية، فلماذا لم تمجد سقراط إذاً في حياته، ولعل بعض عقلاء آثينا الذين يذكرون كلمات بركليس في خطبته الجنائزية.

«لقد تحدثت إلىكم الآن، طبقاً للقانون، بتلك الكلمات التي وجدتها صالحة للمناسبة أما هؤلاء الذين جئنا لنواريهم التراب، فقد نالوا من تقديرنا ما يستحقون، وزيادة على ذلك، ستعول الدولة أطفالهم من الآن فصاعداً، حتى يبلغوا طور الرجولة، وبهذا نكون قد توجنا الموتى وورثتهم بتاج ذى قيمة حقيقية، مكافأة لهم على ما قدمت أيديهم في هذا النضال، إذ أنه حيث تكون الجوائز التي تقدم مكافأة للفضيلة كبيرة، نجد المواطنين الصالحين، والآن بعد أن ذرفتم على الموتى ما هم أهل له من دموع، وبكي كل منكم موتاه، لكم أن تنصرفوا»(53)



ومع كامل احترامى لدماء وأرواح الشهداء عبر التاريخ، تلك الدماء التى تروى الشقوق العطاش إلى الحرية والكرامة، تلك الدماء التى دوماً ما تدفع وراء ستار الوطن، ومن باطنها الأطماع الشخصية والصراعات المتردية، لكن السؤال الآن إلى العقل الآثيني، إذا كنتم تمجدون أبطال المجد الحرى، ألم يكن الأولى بكم أن تمجدوا أبطال المجد الفكرى!!

إذا كنتم ترعون أبناء شهداء الحروب، أليس أبناء الفلسفة، لا أقول أولى، ولكن أقول أن من حقهم تلك الرعاية أيضاً.

إن المقارنة بين شهادة سقراط وشهادة جنود المعارك هي ذات المقارنة بين المجد الآثنيي الفلسفي، والمجد الاسبرطي الحربي، فاسبرطة صنعت مجداً حربياً لم يدم سوى سنوات قليلة ثم سرعان ما طويت في صحائف النسيان، أما آثنيا فقد صنعت مجداً فكرياً جعلها سيدة خالدة حتى اليوم، وجعل منها منارة للفكر ومنبعًا للفلسفة ومقصداً لعشاق العقل.

بالاختصار، لقد كان سقراط أولى بالتمجيد، وأولى بالتكريم، وأولى بالمكافأة وأولى بالدموع، وإن كان موته قد خلد ذكره، وخلد آثينا معه إلى الأبد، فللآثينيين أن يسعدوا لا أن يبكوا، فلعل القدر كتب على قلوبهم القسوة آنذاك، وكتب على سقراط ذاك المصير، ليخلد ذكر الإثنين، آثينا وسقراط.



لقد مات سقراط وانتهى الأمر، ولكن القضبة لم تنتهى بعد، قضمة الصراع الفكري الذي ينتقبل بدوره إلى صراع بين الحق والباطيل، بين الشكل والمضمون، وهذا النوع من الصراع لن ينتهي إلا بانتهاء الحياة ذاتها، لأنه صراع كتب حتماً على هذا المخلوق أن يحياه، وأن يعيش نتائجه، وأن يعاني ويلاته، تلك الوبلات التي تتمثل في افراع الضمر، وسلب النوم من العيون، وتتسبب في أرق دائم، من ذاك النوع الذي طالعنا به ديوجين لاثرسي، حين أعلن ندم الآثينيين الشديد على موت سقراط حتى أنهم انقلبوا ضد الذين رفعوا الدعوى ضده، فأعدموا مليتس وطردوا أنيتس إلى المنفى وأقاموا تمثالاً برونزياً لسقراط(54)

وعلى فرض صحة يقظة ضمائرهم، ولوم أنفسهم، وأرق رؤوسهم، فهل يغبر ذلك من الاغتيال شيئاً!!؟

ولعل من يقول، لقد كان ينبغي لسقراط أن يدافع عن نفسه بغير تلك الطريقة التي دافع بها عن نفسه في المحاكمة؟!

وهل لو غير سقراط الطريقة، كان سينجو من الموت؟!

الذين يقولون بذلك يجهلون حقيقة أن قرار الاغتيال كان قد وُقع من الحكومة الآثينية قبل انعقاد المحاكمة!!



ثم على فرض احتمالية تغير النتيجة بتغير نصوص الدفاع التى جاء بها سقراط، فما هى تلك النصوص التى كان بإمكانها تغيير سير القضية؟!

يذكر ستون أن سقراط كان بإمكانه أن يحتج بقوله «إخوانى المواطنين، أهل آثينا، أنتم لا تقاضوننى من أجل شئ فعلته، بل من أجل شئ قلته وعلمته، أنتم تهددوننى بالموت لأنكم تكرهون أدائى وتعاليمى، هذه محاكمة للأفكار وهذا شئ جديد فى تاريخ مدينتنا» بهذا المعنى تكون آثينا هى التى فى قفص الاتهام وليس سقراط!! (55)

أو كان يمكن لسقراط أن يخاطب العقل بعيداً عن نص الدعوى كأن يقول لهم «أيها الآثينيون أتحاكموننى لأننى أوقظ العقل بداخلكم وأريد لكم معرفة حقيقة المعانى التى تتحدثون عنها» أو كأن يخاطب العاطفة بقوله مثلاً «أيها الآثينيون، لقد علّمت أولادكم دون مقابل، ودفعت روحى لأجلكم، وأهملت شئون نفسى وأولادى لأجل شئونكم وشئون أولادكم أهكذا يكون جزائى».

هذا تخيل لما كان يمكن أن يقوله سقراط، ولكنه لم يُقال، ولو قيل مثل هذا الكلام لما كُتب لسقراط الخلود، ولما تربع على عرش القلوب.



بالاختصار، لا يوجد دفاع عقلى منطقى أروع مما قاله سقراط، لقد كانت كل كلمة في سباقها، وكل حرف في مكانه، وكل تنهدة خرجت من قلبه، إنما خرجت في أوانها ومناسبتها، ولو زيد حرف أو نقص عما قاله سقراط لألقى بذلك ظلال الشك على فلسفته برمتها.

ثم إن الذين يجهدون أنفسهم بأن سقراط كان مكن أن يغير من موقفه بعض الشئ ليحظى بالبراءة، لم يدركوا عظمة ما فعله سقراط بعد النطق بالحكم بالإعدام.

لفد فعل سقراط شيئاً، لو أنه حدث في بلد قلوب أهلها أشد قسوة من الحجارة، لأصدروا عفواً فورياً عنه، ولافتدوه بأرواحهم ومهج قلوبهم.

ذاك الموقف هو طاعته للقانون ورفضه الهرب، وهو موقف الخلود، الذي جعل كيركجار يتغنى لسقراط قائلاً:

«سقراط... سقراط... سقراط...» لو هتف لساني باسمك مائة مرة.. ما وفيتك حقك أبداً»(56).

الموقف الأخبر

المكان: سحن سقراط ...

الزمان: قبل الشهادة بأيام، وتحديداً قبل أوبة المركب المقدس من صونيوم.



الحدث: عرض خطة للهرب من هذا الحكم الظالم على سقراط. المنفذون: أقر بطون وأصدقاء سقراط.

بعد أن حُكم بالموت على سقراط، كان عليه أن ينتظر في سجنه شهراً حراماً حرّم فيه الآثينيون القتل، تذهب فيه السفينة المقدسة إلى صونيوم ثم تعود، وقد فكر أصدقاء سقراط في أى حيلة ينقذون بها سقراط، هذا الرجل الذي حوكم ظلماً، ومات غدراً، ولم يبد أى اعتراض، ولم تظهر عليه علامات القلق أو الاضطراب.

لقد جاءه أقريطون، ولعل أفلاطون أفلح في اختيار أفريطون لهذا المشهد – إذا ما اعتبر أن أفلاطون هو الذي يختار شخصيات محاوراته على غير الشخصيات الحقيقية – وذلك لكبر سنه وحكمته وعرضه القضية على سقراط بطريقة منطقية وسهلة التنفيذ، ولكن سقراط يرد عرضه برفق ولين وتواضع ومنطق أيضاً، حيث لم تذهب المحنة بعقل سقراط، ولم توقفه عن التفكير، فنراه يقول لأقريطون في رفق «إذاً فانظر إلى الأمر على هذا الوجه، هبنى هممت بالأبوق، فجاءت إلى القوانين والحكومة تساءلنى، حدثنا يا سقراط، ماذا أنت فاعل؟ أتريد بفعلة منك أن تهز كياننا، أعنى القوانين والدولة بأسرها بمقدار



ما هي في شخصك ماثلة؟ هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ولا تجد من الأفراد إلا نبذا واطراحاً أن تقوم قامَتها فلا تندك من أساسها؟» (57)

حقاً، هل مكن لدولة أن تقوم قامّتها بدون القانون؟!

وكأن سقراط، لم يكن فيلسوفاً أخلاقياً فقط، بيل كان فيلسوفاً في القانون أيضاً!! ثم يزيد موقفه وضوحاً، بأن المواطن طالما اختار المقام بوطنه فعليه أن يرضى بقوانينه، ليس ذلك فقط، بل وأن يدافع عن تلك القوانين أيضاً، ويتصور سقراط القوانين تخاطبه بقولها «أما ذلك الذي عركنا فعرف كيف نقيم العدل وكيف ندير الدولة، ثـم رضى بعـد ذلـك المقام ببننا، فهو بذلك قد تعاقد ضمناً على أنه لابد فاعل ما نحن به آمرون، فمن عصانا، ونحن ما نحن فقد أخطأ مرات ثلاثاً: الأولى أنه عصى والديه بعصيانه إيانا، والثانية أننا نحن الذين رسمنا له طريق نشأته، والثالثة أنه قطع معنا على نفسه عهداً أنه سيطيع أوامرنا، فلا هو أطاعها، ولا هو أقنعنا بأنهـا خاطئـة، ونحـن لا نفرضـها عليـه فرضـاً غشوماً، ولكنا نخيره، فإما طاعتنا، وإما إقناعنا، هذا ما قدمناه إليه، وهذا ما رفضه جميعاً» (58)

ويؤكد باركر هذا المعنى عند سقراط حيث يذهب إلى أن حياة سقراط كانت تتميز بعاملين اثنين هما، الثبات في أداء



الواجب المدنى، والاصرار على رفض تخطى القانون المدنى (59)، كما قيل أيضاً فيما هو أبعد من ذلك، أن سقراط وإن كان قد تسامى عن إحضار أبنائه واستجداء براءته من المحكمة، فإن ذلك لم يكن إلا للحفاظ على القوانين وعدم وضع القضاة تحت أى تأثير، كما أنه من شدة ولائه لبلده التى طالما دافع عنها جندياً، ولقنها العلم والفضيلة وأرسى دعائم القيم معلماً، لا يريد اليوم أن يُلطخ هذا التاريخ الناصع بهذا السلوك المشين»(60)

ثم يتخيل سقراط القوانين وهي تخاطبه قائلة له: «اصغ إلينا إذاً يا سقراط، نحن الذين أنشأناك، لا تفكر في الحياة والأبناء أولاً، وفي العدل آخراً، بل فكر في العدل أولاً، وارج أن تصيب البراءة عند ولاة العالم الأدنى، فإن فعلت ما يأمرك به أقريطون، فلن تكون أنت ولا من يتعلق بك كائناً من كان، أسعد أو أقدس أو أعدل في هذه الحياة ولا في أية حياة أخرى، فارحل الآن بريئاً، مجاهداً لا فاعلاً للرذيلة، ضحية الناس لا ضحية القوانين، أما إن صممت أن ترد الشر بالشر والضر بالضر، ناقضاً ما قطعته أمامنا على نفسك من عهود ومواثيق مسيئاً إلى أولئك الذين ينبغي ألا يمسهم من إساءتك إلا أقلها ، أعنى نفسك وأصدقاءك ووطنك، ونحن فسننقم عليك ما دمت حياً،



وستستقبلك قوانين العالم الأدني وهي إخوتنا، عدواً لأنها ستعلم أنك لم تدخر وسعاً في هدمنا، اصغ إلينا لا إلى أقريطون»(61)

لقد بذل أقريطون كل ما بوسعه لأجل اقناع سقراط بالهرب، ذاك الهرب الذي لن يكلف أصدقاؤه سوى القليل، فرشوة السجان كفيلة بذلك وقد قالها أقريطون صراحة «ولى فضل عليه»، أى أنه يدفع للسجان كي يدخل ليجلس مع سقراط، وفضلاً عن أن سقراط صاحب قضية عادلة، ولن يكون فراره من السجن إلا قطعاً للطريق أمام الظالمين ليس إلا، أي أن هذا الهرب لن يعد أبداً فراراً من القانون، ولا خروجاً على الدولة، لأنه حوكم ظلماً، وربما كان الهرب هو الحل الوحيد الذي رما ترتضيه الدولة وتباركه، بل ورما تريده وتصر عليه، حتى لا تقع فيما بعد في عذاب الضمير.

ولكن حتى هذا الحل رفضه سقراط، رفض الخروج قيد أهلة عن مبادئ وشموخ سقراط، رفـض مجـرد أن يقـال «إن هنـاك مواطنـاً عاقـاً لقوانين بلده فر هارياً من تنفيذ القانون»

وعلى الرغم من أن هذا الحل رما ترحب به الدولة وتيسر حدوثه حالة وقع، وعلى الرغم من أن حالة سقراط لم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة، حيث اتُهم بعض الفلاسفة فيما سبق، حيث سيق أنكساجوراس إلى الإعدام بتهمة الإلحاد،



لأنه تجرأ على تجريد الشمس والقمر من القداسة وقال بأنهما حجرين مشتعلين يضيئان الكون، ولكنه فر هارباً خارج البلاد.

وسبق أيضاً وأن حوكم بروتاجوراس، وأُحرقت كتبه، وترك آثينا وفر هارباً، ولم يذكر لنا أحد المؤرخين أن أحداً من الفلاسفة الذين هربوا من الإعدام قد تعقبتهم الدولة أو أساء إليهم أحد، فلماذا لا يقبل سقراط، وسابقوه في هذا المضمار فلاسفة وليسوا عوام؟!

ولماذ لم يقبل أن يحيا، على أرض غير وطنه، لينفع بعلمه ومنهجه قدراً أكبر من أبناء الجنس البشرى؟!

لقد فند سقراط تلك الدعوة تفنيداً عقلياً منطقياً بحتاً مكننا تلخيصه في عبارة واحدة مؤداها «لا ينبغى لامرء عاقل أن يخرج عن طاعة القانون حتى لو كان القانون ظالما»

تلك هى الرسالة التى أراد سقراط توصيلها إلى عموم أبناء الجنس المشرى.

وفضلاً عن ذلك، فقد عد هذا الهرب عاراً على وطنه وسوء سمعة له، ثم إن الوحى يقول له بأنه مقدم على خير لا على شر، لذا ينبغى طاعة الوحى لأنه طاعة لله، فنراه يقول لأقريطون «ذرنى



إذاً أتبع ما توحى به إلى ارادة الله» (62)

بالاختصار، لقد فعل أقريطون ما يريح ضميره، ويرحم نفسه من لوم داخلى حتما سيحدث، بينما فعل سقراط ما هو أهل له، وما يتفق مع مبادئه وثباته عليها حتى لو فقد في سبيلها حياته، يقول الدكتور النشار «لقد قبل سقراط الموت راضياً ليظل المثل الأعلى الحى للمواطن الآثيني الذي يحترم القانون المدنى لمدينته، وليُبرهن للجميع على أن الفيلسوف الحق حينما يدرك الحق والخير لا يمكنه تحت أي ظرف أن يتنازل عنه مهما كان الثمن، حتى لو كان هذا الثمن هو الحفاظ على حياته ذاتها!»(63)

لقد وضعت محاورة أقريطون سقراط أمام اختبارين أحدهما أشد بلاءاً من الآخر، الأول هل يقدم سقراط الحياة على الواجب (الموت) أو بعنى آخر هل يقدم سقراط الجسد على الروح، بأن يقبل الفرار طاعة للجسد وإزهاقاً للضمر!!

ذاك بحق اختبار عسير، ولكن سقراط لم يجعل منه اختباراً بالأساس، إذ لا توجد عنده أدنى مفاضلة بين طاعة للضمير وبين خروج عليه، حتى مجرد المقارنة لم يقبلها سقراط.

أما الاختبار الثاني، فهو لكل من يقرأ أقريطون، ماذا تفعل لو كنت مكان سقراط، هل تقدم الحياة على الموت فداءاً لمبدأ؟؟



وهل تفر من السجن لأن الحكم ظالم، وهى حجة قوية تكفى تبريراً للفعل ذاته!! إذاً الضمير الإنساني في اختبار دائم وعراك متصل!!

لكن تبقى محاورة القوانين هى أروع دفاع عن القوانين عرفه التاريخ،(64) بل وهى أروع إجابة على أشق سؤال في فلسفة القانون على مدار التاريخ، هل يجوز للمظلوم أن يهرب من القانون؟!

هذه المعضلة شغلت أذهان مفكرى وفلاسفة القانون على مدار التاريخ، ولكن سقراط قدم لها حلاً منذ القدم، حلاً يزيد هذه المشكلة تعقيداً، لقد تمثل حل سقراط في العبارة التالية «ما ينبغى أن نرد الظلم بالظلم ولا ننتهك المبدأ مع أولئك الذين انتهكوه»

معنى ذلك، أن الواجب مقدم على الممكن، بل يصبح الواجب فرضاً في هذه الحالة. ولقد قيل إن الذى دفع سقراط إلى حل هذه المعضلة على هذا النحو هو سنه التى كادت أن تربو على السبعين، فهو إذاً لن يعيش أكثر من ذلك إلا قليلاً، ورجما حسبها بينه وبين نفسه، فكان قراره «التضحية بسنوات قليلة جداً من عمره لأجل خلود أبد الدهر»!!.

رما يكون هذا الرأى به شئ من الصواب من منظور



عقلى بحت، ولكن الذي يفهم نفسية سقراط عبر تلك الصفحات بدرك أن هذا فرض عقلي بحت مجرد عن كل افتراضات الحقيقة وليس له أدنى درجات الصحة أو الصواب.

إن مسألة السن لن تغر من الموقف شبئاً، ذلك أن القضية في روع سقراط قضية مبدأ بالأساس، وليست قضية حياة نفس أو موت جسد، لبس ذلك على الإطلاق، ولكنها قضية حياة مبدأ يسير عليه بنو البشي، أو موت مبدأ يقضى عليه سقراط ويتبع سنته باقى البشر، تلك هي القضية تماماً في روع سقراط، ولو كان عمره عشرون عاماً أثناء تلك المحنة لما قبل بغير الموت طاعة للقانون وفداءاً للدولة، فالسن إذاً لا يؤثر في تلك القضية لا من قريب ولا من يعيد، ولكنها قضية مبدأ أولاً وآخاً.

يبقى التساؤل الآن، لأولئك الذين أبدعوا في تصور المحاكمة وما كان بنبغى لسقراط أن بقوله أو يفعله، وما يتعلق بذلك من قضايا وأحداث!!

ألا يكفى هذا الموقف ليغير الآثينيون موقفهم من فيلسوفهم العظيم سقراط!! أما كان يجب عليهم أن يفتدوه بأرواحهم ويعلموا أنهم حقاً أخطئوا في حقه، وفي حق أنفسهم، وفي حق وطنهم!!

ألم متلئ أركان آثينا بهذا الحوار، وأصبح الجميع يرددونه



بوعى أو دون وعي؟!

فأين كانت عقولهم إذاً، وأين كانت ضمائرهم، وأين كانت قلوبهم؟! أما تفكرت عقولهم وأدركوا خطئهم فيصلحوا ما فعلوا؟!

أما استيقظت ضمائرهم، عندما رأوا ضمير سقراط الحى يرفض الحياة مع الخيانة للقوانن وللمدينة؟!

أما سارت قلوبهم لتلتقط تلك المشاهد فيعودوا إلى صوابهم!! لقد أبت نفوسهم، وأبت ضمائرهم، وأبت عقولهم، إلا أن يُعدم سقراط!!

ولو كان هناك شئ قادر على تغيير مسار تلك القضية لكانت روعة محاورة أقريطون كفيلة بهذا التغيير، وكأن يقظة ضمير سقراط لم توقظ ضمائر آثينا، وطهارة قلب سقراط لم تطهر قلوب آثينا، وروعة صبر سقراط، لم تقلل من حدة بطش آثينا، فكان لابد من الموت، وأن يظل الموقف كما هو دون تغيير، ليُكتب سقراط بماء الخلود إلى يوم القيامة.

يبقى التساؤل الأخير إذاً، هل يُعد سقراط بطاعته تلك للقانون قد شارك بطريقة أو بأخرى في اغتيال نفسه؟!

نعم قد يقال إن الآثينيين هم من أعدموا سقراط، هذا هو

الظاهر!! آثبنا بلد الفن والفلسفة أعدمت العقل!!

ولكن الحقيقة غير ذلك بالمرة، لأن الذي أعدم سقراط كان شيئاً آخر، من نوع آخر، هـ و نفس الشـئ الـذي أعـدم مـن قبـل المفكرين والأنبياء والدعاة والمصلحين على مدار تاريخ الجنس البشري الحافل بالبطولات والملئ بالرجال الذين حقاً يطلق عليهم لفظ رجال (منَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) ليس الإيان قاصراً على رسالة محمد، إذ لم يكن قد بُعث بعد. ولكنه الإيان مبادئ الإنسانية، الإمان بالروح الإنسانية.. ذاك الإمان الذي يصنع الخلود لأصحابه!!.

إن الرؤوس التي قُدمت للقصاص، نفساً بنفس لا تبلغ معشار ما قُدم من رؤوس لأجل الحق والخير والعدل والفضيلة!!

فقد قدمت البشرية المعذبة على مدار تاريخها الكثير من الشهداء الذين قدموا أرواحهم بنفوس مطمئنة راضية لأجل إسـعاد البشربـة، أو لأجل انتشالهم من وحل ما يعيشون، وما يصنعون، وما يُسيئون!!

قدموا تلك الأرواح والمهج ولسان حالهم يقول «يا ليت لنا مائة ألف نفس تزهق لأجل إسعاد البشرية»

تاريخ طويل، ملئ بالفخر، كل الفخر لهذا المخلوق الذي



كرمه الله بالعقل وشرفه بالعمل وأسجد له ملائكته وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً.

تاريخ يدعو إلى الصبر والمثابرة، فمهما كثر شجر الفساد ونمى فإن المصير إلى الصلاح، ومهما بلغت جزوات الفتن استعارها فإن المآل إلى السلام.

نعم، لابد وأن يأتى يوم على هذا الجنس البشرى ليفيق من غفلته ويذكر تلك الدماء التى جاد بها الآباء لأجل الحق والعدل والخير والسلام.

سيذكرون حتماً هابيل، عندما عفى عن أخيه ولم يبسط إليه يد السوء. سيذكرون حتماً مواكب الشهداء المتتالية على مدار الجنس البشرى، والذين يأتى سقراط ضمن أعظمهم.. حتماً هو ليس أولهم، فهابيل أولهم... وحتما ليس أعظمهم.. فالحسين أعظمهم.

ولكنه يأتى ضمن موكب الشرف، الذى صنعه بأخلاقه ورواه بدمائه وأثمره بخلود روحه.

إن الذى قتل سقراط هو أخلاق سقراط، ورجولة سقراط، وليس شيئاً آخر غير ذلك.

أخلاقه رفضت الهرب من السجن، أو أن يخرج عن الأطر



العامة لمبادئه بأن يرد الشر بالشر .. ورجولته رفضت أن بأق بأننائه وزوجته ليسترحموا القضاة، في وقت كان يفعل فيه مشاهير وساسة آثينا هذا الصنيع عندما يلم بهم ما ألم بسقراط دون أن يأخذ أحداً ذلك عليهم، هي إذاً رجولة لا مثيل لها!!

وهي إذاً أخلاق ما أعظمها وأروعها!! إجمالاً، لم نُقتل سقراط بأبدى الآثنيين كما يظن البعض!! ولكنه بطريقة أو بأخرى قتل نفسه حقاً!!

قتلها برجولته وأخلاقه، واللتين لابد للمرء منهما ولو قتل ألف ألف مرة!!

ولو اعتدى سقراط على تلك الأخلاق، وانتهك تلك الرجولة، لما كان هُة سقراط ولما كان خلود سقراط... ولكنه قتل، أو إن شئت الدقة، فلتقل اغتيل، وما أعظمه من قتل، وما أروعه من اغتيال عندما يُغتال المرء بسبب رجولته أو بسبب أخلاقه، أو بسبب ثباته على مبادئه، فهـو إذاً يختار الخلود على الفناء، وهو يستحق هذا الخلود وما أعظمه من خلود!!

خلود الذكر في الدنيا، وخلود أرواح الشهداء بعد الممات، فما أعظم الصفقة التي أبرمها سقراط، وما أروع ما صنع!!



هوامش الفصل الثالث

- (1) الدفاع، ص 13-12.
 - (2) نفسه، ص13.
- (3) محاورة الدفاع، ص49.
 - (4) نفسه، ص55.
- (5) مقدمة محاورة الدفاع للدكتور زكى نجيب محمود ص 38-39.
 - (6) محاورة الدفاع، ص47.
 - (7) نفسه ص49.
- (8) Xenophon, Memorabelia, B I, ch 1.14.

نقلا عن د. أميرة مطر، المرجع السابق ص142 (Arist ,met , A (9) 142-.

(10) نقلا عن سارتون، تاريخ العلم، ج2، ص71.

(11) Arist, met, m.1078, b 17-32.

نقلاً عن د. أميرة مطر ص 142.

- (12) سارتون، المرجع السابق، ص72.
- (13) أفلاطون، محاورة الدفاع، ص52.
- (14) هنرى توماس، أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ص 73.
 - (15) محاورة الدفاع، ص54.
 - (16) نفسه، ص58.
- (17) أى اف ستون، محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002م، ص168.
 - (18) الدفاع، ص68-69.
 - (19) محاورة الدفاع، المقدمة للدكتور زكي نجيب محمود، ص43.
 - (20) الدفاع ص63.
 - (21) نفسه ص62.

(22)Xenophon, op.cit, BI, ch.5,2

- (23) الدفاع ص60.
- (24) نفسه ص 60.
- (25) نفسه ص 61.
- (26) آرسطو، دستور الآثينيين، ترجمة د. طه حسين، ص88.
 - (*) وهم الوشاة والساعين إلى الحاكم بالأخبار الكاذبة.
 - (27) المرجع السابق، ص101.
 - (28) سباين، المرجع السابق، ص39.
- (29) أفلاطون، محاورة أوطيفرون، ضمن محاورات أفلاطون، ص14.
- (30) أفلاطون، محاورة الجمهورية، ترجمة د/ فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م، فقرة 495، ص408.
 - (31) باركر، النظرية السياسية عند اليونان، ج1، ص118.
 - (32) محاورة الدفاع، ص65.
 - (33) نفسه ص61.
 - (34) سارتون، المرجع السابق، ص76.
- (35) د. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1988م، ص84.
 - (36) أفلاطون، محاورة الدفاع، ص62.
 - (37) نفسه، ص74.
- (38) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ص139.
 - (39) باركر، المرجع السابق، ص170.
- (40) د. زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، ضمن سلسلة مشكلات فلسفية، مكتبة مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص169.
 - (41) أفلاطون، محاورة الدفاع، ص70.
 - (42) نفسه ص69.
 - (43) نفسه ص 64.

4

- (44) نفسه ص62.
- (45) نفسه ص63.
- (46) سارتون، المرجع السابق ص82
- (47) أفلاطون، محاورة الدفاع، ص 71-72
 - (48) أفلاطون، محاورة الدفاع، ص77.
- (49) د. محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، ط3، ببروت، 1983م، ص111.
 - (50) وولف، المرجع السابق، ص43.
 - (51) باركر، المرجع السابق، ص 172-173.

نقلاً عن سارتون، تاريخ العلم، ج2، ص82.

(52) Xenophon, memorabellia, p. 347.

- (53) سارتون، المرجع السابق، ص179.
- (54) نقلا عن أي اف ستون، محاكمة سقراط، ص205.
 - (55) ستون، نفسه، ص245.
- (56) نقلاً عن د. عبد الغفار مكاوى، لم الفلسفة، منشأة المعارف، الاسكندرية 1981، ص65,
 - (57) أفلاطون، محاورة الدفاع ص94-95.
 - (58) نفسه ص95.
 - (59) باركر، المرجع السابق، ص163.
 - (60) محمد ممدوح، فلسفة المقاومة، المرجع السابق، ص56.
 - (61) محاورة الدفاع ص100.
 - (62) نفسه ص101.
- (63) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، ص138.
 - (64) سارتون، المرجع السابق، ص76.

الفصل الرابع خلود سقراط





قضى سقراط نحبه، وهذا ليس بالجديد، بل إن الجديد والشاذ هو أن ينجو سقراط.

فلم يأت أحد بهثل ما أتى به سقراط وكُتبت له النجاة!! بل كان هـذا المصير محتوماً على الـدعاة المصلحين والمجددين والمفكرين والأنبياء، جميعهم عانوا نفس المصير، فمنهم من قُتل دون محاكمة، ومنهم من نُصبت له المحاكمة باتهامات ظالمة، ومنهم من تفوق على المحكمة في دفاعه – مثل سقراط – ولكن القرار كان سياسياً ولم يكن قضائياً، وفي كل قرار بالإعدام، يكون معه قراراً بالخلود.

إجمالاً، يمكننا القول بأن آثينا لم تكن متسامحة أو ديموقراطية كما أشيع عنها، نعم هي مهد الفلسفة ومنبت الفكر، ولكنها في الوقت ذاته كانت سجناً كبيراً لأحرار الفكر، فكيف نعتقد إذاً بأنها كانت متسامحه وقد حاكمت العديد من الفلاسفة بتهمة الكفر، نعم، الجو السياسي العام يوحى بالحرية، حرية وصلت إلى أقصاها بإمكانية محاكمة القوانين، هذه حرية



لا يمكن الحكم عليها إلا بأنها «حرية شكلية» خالية من كل معنى ومضمون، إذ ما قيمة هذه الحرية إذا جعلت من الدهماء قضاة، وما قيمة هذه الحرية إذا اعترضت حرية الفكر، فليس من حرية إلا لما يتفق فقط مع النظام، أما حرية الفكر على اطلاقها فلم تكن موجودة إلا النذر اليسير على الأقل فقط أيام سقراط، أما بعد الاغتيال، فلم تدم الحرية أو العبودية قليلاً أو كثيراً، إذ زالت تلك الدولة وأصبحت ضمن منظومة كبيرة اسمها الإمبراطورية الرومانية، ولكنها لم تزل من الوجود الفكرى، إذ حفظ التاريخ أسماء قادة الفكر على مدار التاريخ، سقراط وأفلاطون وآرسطو.

لقد احتفظ سقراط لنفسه بالخلود الأبدى والأدبى أيضاً، فما يُذكر سقراط إلا وتُذكر معه الفضيلة والأخلاق، وما تذكر التضحية إلا ويذكر معها سقراط، وما تذكر المبادئ إلا ويذكر اسم سقراط.

لقد خُلدت ذكرى سقراط عبر ثلاث قنطرات، القنطرة الأولى هى خلود الروح بعد المهات، خاصة أرواح الفلاسفة والأنبياء والمصلحين، والقنطرة الثانية قنطرة المبادئ التى دفع سقراط روحه لأجلها، فقد قبل أن يوطئ جسده بالأقدام دون أن تمس هذه المبادئ بسوء، والقنطرة الثالثة قنطرة المدارس

السقراطية أو ما نطلق عليه مجازاً «الشيعة السقراطية»، إذ عملت هذه القنطرات الثلاث على خلود سقراط، خلود ليس بعده فناء، لا للروح، ولا للسرة.

فهل أفلحت تلك القنطرات في رسم الخلود الأبدى لسقراط؟

وهل كان سقراط مستحقاً لهذا الخلود وتلك الهالة من التقديس؟! هذه الأسئلة وغيرها سوف نحاول الوقوف على إجابات لها عبر هذا الفصل.

أولاً: خلود الروح:

إذا كان الخلود قد كُتب لسقراط بسبب وفاته والطريقة التى قت بها عملية الاغتيال، فإن سقراط كان مؤمناً - بغض النظر عن كل ذلك - بحقيقة خلود الروح، وبأنها أزلية، ويمكننا فهم رأى سقراط فقضية الروح في أربع نقاط رئيسية كالتالى:

أ- الروح إلهية:

آمن سقراط بأن الروح أزلية وموجودة قبل وجود البدن، وقد أثرت فيه تلك العقيدة وجعلته يؤمن بأن المعرفة فطرية ف النفس لأسبقية وجود الروح على البدن، فنراه يقول «لابد أن أرواحنا كانت موجودة قبل أن تصور في هيئة البشر، ولابد أن قد



كان لديها ذكاء لما كانت بغير أبدان» (1)

ولأن الروح قد اكتسبت صفة الأزلية والقدم، فهى أشبه ما يكون بكل ما هو إلهى يقول سقراط «إذاً فانظر يا سايبس أليست هذه هى خلاصة الأمر كله، إن الروح على أشد ما يكون الشبه بالإلهى وبالخالد وبالمعقول وبذى الصورة الواحدة، وبغير المتحلل، وبغير المتحول، وإن الجسد على أشد ما يكون الشبه بالإنسانى، وبالفانى وبغير المعقول، وبذى الصور المتعددة، وبالمتحلل وبالمتحول، هل من سبيل إلى انكار ذلك، أى عزيزى سيبيس؟

- لا ولا ريب.
- ولكن إن صح هذا، أفلا يكون الجسد عرضة للتحلل السريع؟ ألا تكون الروح غير قابلة للتحلل في أغلب الحالات بل فيها جميعاً؟
 - يقيناً (2)

ونتيجة لهذا الإيمان بخلود الروح نجد سقراط غير عابئ على أى نحو يُقبر، فالجسد فقط هو الذى يقبر، أما الروح فترفل ف النعيم، لذا نراه مجيباً أقريطون على سؤاله «كيف تريدنا أن نواريك الثرى» بقوله «أى عزيزى أقريطون قل إنك لا تُقبر منى

ىكەن»(3)

إلا الجثمان، فاقبره على النحو الذي جرى به العرف وكما تفضل أن

ب- الصراع بين الروح والجسد:

الجسد هو مصدر الشهوة، أما الروح فهي رمز الطهارة والخفاء(4)، وفي هذا الصراع بين ما هو أرضى (الجسد) وما هو سماوي (الروح)، نجد سقراط ينتصر للروح، حيث أن الشر كله والمخاوف والأوهام والحروب والظلم، كل ذلك صنيعة الجسد، يقول سقراط «أو ليس لزاماً على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله أن يغوصوا في أفكارهم، فإذا ما التقوا تحدث بعضهم إلى بعض عن تفكيرهم مثل هذه العبارة. إنا قد اهتدينا إلى سبيل من التأمل قمينه أن تنتهى بنا وبالجدل إلى هذه النتيجة، وهي أنه ما دمنا في أجسادنا وما دامت الروح ممتزجة بهذه الكتلة من الشر، فلن تبلغ شهوتنا حد الرضى، وإنما لشهوة الحقيقة، ذلك لأن الجسد مصدر لعناء متصل، علته هذه الحاجة إلى الطعام، وهو كذلك عرضة للمرض الذي ينتابنا فيحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة، وهو كما يقول الناس، أبداً لا يدع لنا السبيل إلى تحصيل فكرة واحدة لما عِلْأنا به من صنوف الحب والشهوات والمخاوف والأوهام والأهواء، وكل ضرب من ضروب الجهالة، وإلا فمن أين تأتى الحروب والمعارك والأحزاب إن لم



تكن آتيه من الجسد وشهوات الجسد، فالحروب يثيرها حب المال، والمال إنها يجمع من أجل الجسد وخدمته ومن جراء هذا كله يضيع الوقت الذى كان ينبغى أن ينفق فى الفلسفة، هذا ولو تهيأ للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد فى مجرى التأمل الشغب والاضطراب والخوف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة، وقد دلت التجارب جميعاً على أن لو كان لنا أن نظفر عن شئ ما بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد ولزم على الروح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً»(5)

يقصد سقراط في الإشارة إلى هذا الصراع بين الروح والجسد إلى بيان ثلاثة أمور:

الأول: أن الجسد هو مصدر المتاعب والآلام التي يعاني منها الجنس البشري.

الثانى: أن الحكيم هو فقط الذى يستطيع أن يتحكم فى شهواته، وكانت هذه الفكرة تحديداً هى مصدر الفلسفة الرواقية فى اتباع الحكمة السقراطية.

الثالث: أن التفرغ للحكمة والفلسفة مطلب إنسانى بالمقام الأول، وكأن سقراط يريد أن يقلع الجميع عن تلك الشهوات، أو أن يرتقى بالإنسان من مرحلة بشريته إلى أعالى إنسانيته.

وكنتيجة لهذا الصراع الدائم بين الروح والجسد، فإن أولئك المرتقون إلى سبيل الروح والمبتعدون عن الجسد، لا يجزعون أبداً من الموت، بل إنهم يرون في الموت علاجاً من مشاق الجسد ونزواته.

ج- لا جزع عند الموت:

وهي فكرة متأصلة في الفلسفة السقراطية، وذاك كان السر وراء ثبات سقراط عند وقوع البلايا، يقول سقراط «ثم أليست الفضيلة الحق بأسرها رفيقة الحكمة بغض النظر عما قد بكتنفها أو لا بكتنفها من المخاوف واللذائذ وما إليهما من الخيرات أو الشرور؟ إلا أن الفضيلة التي يكون قوامها هذه الخيرات التي تأخذ في استبدال بعضها ببعض بعد أن تكون قد انفصلت عن الحكمة ليست من الفضيلة إلا ظلها، ولا يكون فيها من الحربة أو العافية أو الحقيقة شئ، أما التبادل الحق فيقتضي أن تمحى هذه الأشياء محواً، وما طهورها إلا الشجاعة والحكمة نفسها، وإني لأتصور أن أولئك الذين أنشأوا الأسرار، لم يكونوا مجرد عابثين، بل قصدوا إلى شكل فرمزوا به إلى أن من مضى إلى العالم الأدني دنساً جاهلاً سيعيش في حمأة من الوحل، أما ذلك الـذي يصل إلى العـالم الآخـر بعـد التعلـيم والتطهير فسيقيم مع الآلهة، وكما يقولون في الأسرار» كثيرون



هم من يحملون عصا السحر، أما العالمون بالسحر فقليل «وهم يريدون بهذه العبارة فيما أرى الفلاسفة الحق الذين أنفقت حياتي كلها أبحث بينهم لعلى أجد مكاناً، ولست أشك في أننى عندما أبلغ العالم الآخر بعد حين قصير سيأتيني إن شاء الله علم اليقين، عما إذا كنت قد التمست في البحث سبيلاً قويماً أم لا، وإن كنت قد أصبت التوفيق أم لم أصبه، أي سمياس وسيبيس، لقد أجبت بهذا على أولئك الذين يؤاخذونني بعدم الحزن أو الجزع لفراقكم وفراق سادتي في هذا العالم، فقد أصبت بعدم الخوف لأننى أعتقد أننى سأجد في العالم الأدنى أصدقاء وسادة آخرين يعدلونكم خيراً، ولكن الناس جميعاً لا يُسيغون هذا، وإنه ليسرني أن تصادف كلماتي عندكم قبولاً أكثر مما صادفت عند قضاة الآثينين»(6)

نجد سقراط يبلغ قمة نضجه الفكرى، ليس فلسفياً فقط، ولكن على النحو الإنسانى أيضاً، فهو يبحث عن أصحاب يرافقونه في العالم الآخر يكونون على شاكلته، بمعنى أدق يكونون من مريدى المضمون لا الشكل، الجوهر لا العرض، ثم يرجئ سقراط أمر الحياة والموت كله إلى الله، فهو وحده الذي يعلم الغيب، وهو وحده الذي يعلم أصبنا أم أخطئنا.

ويلمح سقراط في معرض حديثه إلى مسألة الجزاء بعد

الموت، فالأرواح الطاهرة ستقيم مع الآلهة، أما تلك الخبيثة فسوف تعيش في حمأة من الوحل وهو ما ينقلنا إلى الجزاء بعد الموت.

ء- جزاء الروح بعد الموت:

هناك سؤال شغل الذهن منذ زمن بعيد، ولا زال يطل برأسه حتى اليوم دون أن يستطيع أحداً أن يجيب عليه إجابة قاطعة، هل العذاب في الآخرة للروح أم للجسد؟ وتحديداً أكثر، هل عذاب القبر للروح أم للجسد؟

هذه القضية لم يعرض لها سقراط في صورتها تلك، ولكنه عرض لها في عقاب الأشرار ومكافأة الأخبار عبر حديث طويل جاء فيه:

سقراط: أقول إن تلك الروح في خفائها تنتقل إلى العالم الخفى، إلى الإلهى والخالد، والعاقل، فإذا ما بلغته، رفلت في نعيم وتخلصت من أوزار الناس وحمقهم، ومن مخاوفهم وعواطفهم الوحشية، ومن النقائص البشرية جميعاً، ورافقت الآلهة إلى الأبد، كما يروى عن العالمين بالسر، أليس ذلك صحيحاً يا سيبس؟

فقال سيبس: نعم، وليس إلى الشك فيه من سبيل.

سقراط: ولكن الروح التى قد أصابها الدنس، والتى تكون كدرة عند انتقالها والتى ترافق الجسد دامًا، وتكون



خادمته، والتى تغرم وتهيم برغبات الجسد ولذائذه، حتى ينتهى بها الأمر إلى العقيدة بأن الحقيقة لا تكون إلا في صورة جسدية يمكن للإنسان أن يلمسها، وأن يراها، وأن يذوقها، وأن يستخدمها لأغراض شهواته، أعنى الروح التى اعتادت أن تنفر من المبدأ العقلى، وأن تخافه وتتحاشاه، ذلك المبدأ الذى هو للعين الجسمانية معتم تستحيل رؤيته، والذى لا يدرك إلا بالفلسفة وحدها، أفتحسب أن روحاً كهذه سترحل نقية طاهرة؟

سيبيس: يستحيل أن يكون هذا.

- إنها قد استغرقت في الجسدى، وقد أصبح ذلك طبيعياً بالنسبة لها لاتصالها المستمر بالحسد وعنابتها الدائمة به.

- جد صحيح.
- ويحق لنا يا صديقى أن نتصور أن هذه هى تلك المادة الأرضية الثقيلة الكثيفة التى يدركها البصر، والتى بفعلها تغشى الكآبة مثل هذه الروح فتنجذب هبوطاً إلى العالم المرئى مرة أخرى، لأنها تخاف مما هو خفى، وتخاف من العالم الأدنى، فتظل محومة حول المقابر واللحود، إذ ترى بجوارها كما يحدثوننا أشباح طيفية بعينها لأرواح لم تكن قد رحلت نقية ولكنها ارتحلت مليئة بالمادة المنظورة فأمكن رؤيتها.

- يغلب جداً أن يكون ذلك يا سقراط.

- نعم يا سيبيس، فأغلب الظن أن يكون ذلك، ولابد أن تكون هاتيك أرواح الفجار لا أرواح الأبرار، هؤلاء الفجار الذين كتبت عليهم أن يضلوا في مثل تلك المواضع جزاءاً وفاقاً بما اقترفوا في الحياة من إثم، فلا ينقطع تجوابهم، حتى تشبع الرغبة التي تملؤهم، ثم يُسجنون في بدن آخر، وقد يظن أن تلازمهم نفس الطبائع التي كانت لهم في حياتهم الأولى»(7)

ولعل سقراط يرسخ بذلك لنظرية تناسخ الأرواح التى ملأت فلسفة التصوف والعصر الوسيط، ولعله بذلك أيضاً يرسخ لفكرة المسئولية عن الأفعال التى تستلزم الحرية، لا تلك الحرية المطلقة.

إذاً، سقراط آمن بخلود الروح، ومن هنا كان إقباله على الموت دون خوف أو فزع مما هو قادم عليه، بل إن روحه ستُخلّد مع الأبطال والشهداء وترفل في النعيم الإلهي، هذا خلود للروح، أما خلود الذكر فقد خلّده أشياء أخرى، تلكم كانت المبادئ السقراطية، والشيعة السقراطية.

ثانياً: المبادئ السقراطية:

مارس سقراط عدة مبادئ ظلت ملازمة له طيلة حياته نظرياً وعملياً، فلم تكن تلك المبادئ مجرد كلمات يتشدق بها



صاحبها، فإذا ما خلا بنفسه انتهكها، ولكنها كانت مبادئ تختلط بدماء سقراط وتمتزج بروحه، فقد كان مؤمناً بها أشد الإيمان، متيقناً فيها أشد اليقين، ويمكننا أن نختار عدة مبادئ من تلك التي عاش عليها سقراط، ومن أهمها:

1- الحلم والصبر: هل كان سقراط حليماً صابراً؟! هذا سؤال خاطئ مائة بالمائة، ولكن صوابه، هل كان حلم وصبر سقراط حقاً فوق طاقة البشر؟! أكان حلمه وصبره يماثل حلم وصبر الأنبياء؟!.

والإجابة بالاختصار، نعم لقد كان سقراط أنبل وأحلم الرجال في عصره، كان صابراً معنى الكلمة، فقد صبر على إساءة الآخرين، حتى في أحلك الظروف وفي أصعب المواقف التي نسجل له منها.

أ- موقف المحاكمة:

عادة ما نسمع عن أولئك الذين يحاكمون ظلماً أنهم يثورون ويسبون ويلعنون الخصوم والقضاة، وقد يسجل لنا التاريخ العديد من تلك المشاهد، غير أن رجلين اثنين عرفهما تاريخ الفلسفة، لم يجزعا عند الموت، ولم يضجا أو ينزعجا، سقراط وسينكا، سقراط خاطب الجميع حتى الخصوم برفق ولين، ولم يكن يزيد عن قوله لمليتس «أنت مفتر كذاب»، وتلكم

صفتين وليست شتائم أو سب، ثم تجده في كل حرف ينم عن مودة عميقة لمواطنيه بقوله الدائم لهم «أيها الآثينيون» وكذا ينم عن إيان عميق بالآلهة مثل قوله «لابد أن أطيع الله أكثر مما أطيعكم»، وينم عن احترام كامل للقضاة، فلم يتهمهم بالجهل وهو حالهم، ولم يصفهم بالظلم وهو سمتهم، ولكنه حتى لحظة النطق بالحكم ظل صابراً رابط الجأش، دون أن يغير هذا الحكم من معالم وجهه..

بل أبعد من ذلك أيضاً، فقد ظل محتفظاً بحلمه وصبره حتى عند لحظة النزع، فلم ينطق بكلمة فيها صخب أو شجب أو ندب، وهنا تقرأ قول فيدون واصفاً المشهد الأخير في حياة سقراط «فلم يعد في قوس الصبر منزع، وانهمر منى الدمع مدراراً على الرغم منى، فسترت وجهى وأخذت أندب نفسى، حقاً إنى لم أكن أبكيه بل أبكي فجيعتى فيه حين أفقد مثل هذا الرفيق، ولم أكن أول من فعل هذا، بل إن أقريطون وقد ألفى نفسه عاجزاً عن حبس عبراته، نهض وابتعد، فتبعته، وهنا انفجر أبولودورس الذى لم ينقطع بكاؤه طول الوقت بصيحة عالية وضعتنا جميعاً موضع الجبناء، ولم يحتفظ بهدوئه منا إلا سقراط، فقال، ما هذه الصرخة العجيبة؟ لقد صرفت النسوة خاصة حتى لا يُسئن صنيعاً على هذا النحو، فقد خبرت أنه ينبغى للإنسان أن



يُسلم الروح في هدوء، فسكوناً وصبراً.(8)

أهذا صبر طبيعي، أم أنه صبر فوق طاقة البشر؟!

لقد تحول الصبر عند سقراط من قيمة إلى مبدأ لطول ملازمته له، والتزامه به، لدرجة تجعلنا نقرر باطمئنان أن سقراط حقا مارس الصبر نظرياً وعملياً، بل وفي أقسى مراحله.

ب- موقفه من زوجته:

أشيع كثيراً عن اكزانثيب زوجة سقراط سوء معاملتها له، وقد روى زينوفون عن سقراط قوله «إن اكزانثيب مثل السماء عندما ترعد سرعان ما تبكى»(9)، ومع ذلك فقد كان سقراط صابراً عليها حليماً معها، فلم يُرو عنه أنه أساء إليها أو تزوج عليها، بل قابل إساءتها بالعفو،وتحمل ما لابد له من تحمله، بما يضفى على مبدأ الصبر عنده رونقاً وجمالاً.

ج- موقفه من شعراء الكوميديا:

يطالعنا دودس بهذا التساؤل، هل يعقل أن يعلم أحدنا أن أحداً يسخر منه ثم هو لا يأبه لتلك السخرية؟(10)

والإجابة نعم، كان سقراط يعلم بتلك السخرية دون أن يُحرك ساكناً لها، وعندما سُئل ذات مرة إن كان غاضباً مما كتبه أرستوفانيس في مسرحية «السحب» أجاب قائلاً «حين يطلقون على النكات في المسرح، أشعر كما لو كنت في حفل عظيم بين أصدقائي»(11)

إذاً رجل واجه الأذى من الجميع، وبادله بالصفح والعفو، فإذا ما اشتد الأذى تغلب عليه بالصبر، أفلا يكون ذلك رجلاً صبوراً.

ء- شهادة السجان له:

حتى عامل الأحد عشر، وهو السجان المسئول عن سجن سقراط شهد له بصره وحلمه وحسن خلقه، ولقد قبل بأن أفلاطون قد أفلح في رسم صورة السجان عندما أتى به باكياً، ولكن تلك لم تكن صورة من نسج خيال أفلاطون، ولكنها كانت متثل الحقيقة، «وما هي إلا أن جاء السجان وهو خادم الأحد عشر، ووقف إلى جانبه وقال، لست أتهمك ياسقراط ما عهدته في غيرك من الناس، من سورة الغضب، فقد كانوا يثورون ويصيحون في وجهى حينما آمرهم باجتراع السم، ولم أكن إلا صادعاً بأمر أولى الأمر، أما أنت فقد رأيتك أنبل وأرق وأفضل ممن جاءوا قبلك إلى هذا المكان فليس يخامرني شك أنك لن تنقم على"، فليس الذنب ذنبي، كما تعلم، إضا هي جريـرة سـواي، وبعـد فوداعـاً، وحاول أن تحتمل راضياً ما ليس من وقوعه بُد، وإنك لعليم فيم قدومي إليك، ثم استدار فخرج منفجراً بالبكاء.



فنظر إليه سقراط وقال: لك منى جميل بجميل، فسأصدع بما أمرتنى به، ثم التفت إلينا وقال، يا له من فاتن ، إنه ما انفك يـزورنى فى السـجن، وكان يحادثنى الحين بعـد الحين، ويعاملنى بالحسنى ما وسعته، انظروا إليه الآن كيف يدفعه فضله أن يحزن مـن أجـلى، فلـزام علينا يا أقريطون أن نفعل ما يريد»(12)

هذه الشهادة تأتى الآن في موضعها، لسببين، الأول لأن هذا السجان يُعد من العامة وليس من الصفوة، ومع ذلك يبكى لسقراط، وهو ما يعنى إحساسه بظلم سقراط، وتالياً فما أيسر تنفيذ خطة الهرب لو أرادها سقراط، إذ أن الكل متعاطف معه، ليس أصدقاؤه فقط، ولكن السجان والعوام أيضاً.

والثانى أن هذه الشهادة جاءت من أحد أيادى السلطة، بما يعنى أن جند السلطة ذاتها كانوا ناقمين على ما يحدث لسقراط وتالياً فيمكنهم أن يساعدوه على الهرب أو أى شئ آخر يريده سقراط، وهو ما يدل على مدى صبر وأناة وروعة سقراط.

2- امتحان النفس:

كان سقراط مؤمناً عبدأ ضرورة امتحان النفس، لذا نراه يقول «إن الحياة التى تخلو من امتحان النفس ليست جديرة بالبقاء»(13) لكن ما معنى امتحان النفس الذي يريده سقراط؟!

المعنى المقصود هو بقاء النفس على موقفها الثابت رغم تغير المواقف، بمعنى آخر أن تظل النفس متمسكة بمبادئها وفضائلها وقيمها مهما اعترضها من محن وفتن، وقد تجلى هذا المبدأ عند سقراط في موقفن عظيمين.

الموقف الأول: عندما رفض الهرب من السجن، وحاول أقريطون اقناعه بأنه مظلوم وأنه بهربه إنما يفعل واجباً، وهو النجاة بحياته لأجل أولاده فهم أحق بحياته من أعدائه، فترى إلحاح أقريطون عليه في عبارات كلها نابعة من العقل والقلب معاً، فنراه يقول له «إن هنـاك نفـراً يـود لـو ينجيك فينزعك من غيابة السجن، ولن يكلفهم ذلك شططاً، أما النمامون فهم كما ترى لا يشتطون في الطلب، ويقنعهم من المال قليله، إن مالي بآسره رهن إشارتك وهو كاف فيما أعتقد، فإن أشفقت أن ينفذ كله، فهاهم أولاء نفر من الغرباء عدونك عا علكون وهذا أحدهم سمياس الطيبي قد أحضر معه لهذا الغرض نفسه مبلغاً من المال وذلك سيبيس وغيره كثيرون، يتمنون أن يبذلوا في سبيلك أموالهم، إذاً فلا تحسب لـذلك حساباً، ولا تتردد في تنفيذ القرار، ولا تقل كما قلت في المحكمة إنك لا تدرى ماذا عساك أن تفعل بنفسك إن فررت فأنّى حللت نزلت من الناس منزلاً كرماً، وليس ذلك قاصراً على آثينا فثمة في تساليا ستجد من



أصدقائي حماية وتقديراً إن أحببت الذهاب إليهم، ولن تصادف بين بني تساليا جميعاً فرداً يصيبك بالأذي، ولست أرى بعد هذا كله ما يُبرر لـك يا سقراط أن تفرط في حياتك والنجاة ميسورة مستطاعة، إنك لتلعب بنفسك في أيدى أعدائك وقاتليك، بل إني لأزعم فوق هذا أنك إنما تسئ إلى أبنائك، لأنك آثرت أن ترتحل تاركهم لما قسمت لهم حظوظهم وكان في وسعك أن تقوم بنفسك على تنشئتهم وتربيتهم، فإن لم يصبهم ما يصيب اليتامي عادة من قضاء ما استحققت عندهم من الشكر إلا قليلاً، فليس لإنسان أن يقذف في العالم بأطفال لا يحب أن يستميت حتى النهاية في إطعامهم وتربيتهم، ولكنك تختار أيسر الأمرين، فيما أظن، لا أحسن الأمرين وألصقهما بالرجولة، وكان ذلك أجدر برجل مثلك يبشر بالفضيلة في أفعاله جميعاً، حقاً إنى لأستحى منك بل من أنفسنا نحن أصدقاءك، كلما دار بخلدى أن قصتك هذه جميعاً، ستُنسب إلى نقص في بسالتنا، فما كان ينبغى أن تكون المحاكمة أو كان أن تُختم بغير ما خُتمت به، وهذه النهاية التي أراها أسوأ العبث، ستبدو للناس كأنما صادفت منا ارتياحاً، لما أبديناه من ضعة وخور، نحن الذين كان بوسعنا أن ننجو بك، كما كان بوسعك أن تنجو بنفسك، لو كنا خلك لأي شئ نفعاً (إذ لم يكن الفرار أمراً عسيراً) وسيظن يا سقراط أنا لم نقدر أن ذلك كله سينقلب عليك وعلينا بؤساً وعاراً، ففكر

إذاً في الأمر إن لم تكن قد اعتزمت بعد شيئاً، فقد انقضت فرصة التفكير ولم يعد لديك إلا أمراً واحداً يجب إنجازه هذا المساء، لو كنت تريد له إنجازاً، فإن أرجأت أمرك تعذر واستحال عا أشير به»(14)

في هذا النص الطويل يحاول أقريطون جاهداً إقناع سقراط، بحجة الأولاد تارة، وبحجة سوء سمعة أصدقائه تارة أخرى، ولكن سقراط لن يقدم حياة فانية على واجب متحتم الفعل أبداً، وبعد طول مناقشة مع أقريطون فيما ساقه أقريطون من حجج، ينتهى سقراط إلى أن المحكمة وإن كانت ظالمة، فكيف يرد هو الظلم بالظلم، فنراه يقول «إذاً لا ينبغى لنا أن نأخذ بالثأر ولا أن نرد الشر بالشر لأحد ما، كائناً ما كان الشر الذى ابتلانا به»(15)

فهذا الموقف يُعد قمة الامتحان للنفس حقاً، ذاك الامتحان الذى لم يعدم المبررات!! لقد ظلم سقراط ظلماً بيناً لدرجة جعلت الجميع يتعاطف مع قضيته حتى حارس السجن، وتوفرت له أسباب الخلاص من هذا الحكم بالهرب من السجن، ذاك الهرب الذى كانت ستساهم فيه السلطة بشكل أو بآخر ويرحب به الجميع، لكنه ينأى بنفسه عن رد الظلم بالظلم أو الشر بالشر، فينجح في امتحان قاس رسب فيه الكثيرون.



أما الموقف الثاني: فهو رفضه تأخير شرب السم ساعة.

ويبدأ هذا المشهد في محاورة فيدون، حيث يطلب سقراط من الخادم أن يأتي بالسم ليشربه على غير إرادة أقريطون، حيث قال لسقراط «ولكن الشمس لا تزال ساطعة فوق التلال، وكثير ممن سبقوك لم يجرعوا السم إلا في ساعة متأخرة بعد إنذارهم، إنهم كانوا يأكلون ويشربون وينغمسون في لذائذ الحس فلا تتعجل إذاً، إذ لا يزال في الوقت متسع» (16)

ولكن سقراط يجيبه بقوله «نعم يا أقريطون لقد أصاب من حدثتنى عنهم فيما فعلوا، لأنهم يحسبون أن وراء التأجيل نفعاً يجنونه، وإنى كذلك لعلى حق فى ألا أفعل كما فعلوا، لأننى لا أظن أنى منتفع من تأخير شرب السم ساعة قصيرة، إننى بذلك إنما أحتفظ وأُبقى على حياة قد انقضى أجلها فعلاً، إنى لو فعلت ذلك سخرت من نفسى، أرجو إذاً أن تفعل بما أشرت به ولا تعصى أمرى»(17)

أيُعد هذا الموقف ثباتاً على مبدأ!! أم صناعة جديدة لمبدأ جديد عكن تسميته «الوفاء رغم الخيانة، والعدل رغم الظلم»

لقد صنع سقراط حقاً تلك المبادئ صنعاً، إنه لم يكتف برفض الهرب من السجن فقط، بل إنه رفض مجرد تأخير شرب السلم ساعة، لأجل ألا يكون ذلك احتفاظاً بحياة قد أذن

القانون في نهايتها، أو حتى لا يكون ذلك لياً لعنق القانون، بل إنه حتى لو فعل ذلك لسخر من نفسه!!

ذالكم هو سقراط، وذاك هو أحد المبادئ العظيمة لرجل عظيم. 3- الحكم للعقل فقط:

ف البدء تجد تأكيداً من برنت وباركر والدكتور النشار على أن نظرية حكم الفلاسفة التى وردت في الجمهورية هي ذات جذور سقراطية، وهم على حق في ذلك، إذ أن سقراط لم يكن مهتماً بمن يقول، ولكنه كان مهتماً تمام الاهتمام بماذا يقول؟! وظل طيلة حياته لا يعبأ بالكثرة ولا يأبه بالدهماء، إذ كان يخضع أى حديث يسمعه للعقل، فما اتفق والعقل أخذ به، وما تعارض والعقل فلا قيمة له عنده، فالرجل الحكيم عنده كان يعدل مائة ألف رجل مما سواه، لذا نراه يقول الحكيم عنده كان يعدل مائة ألف رجل مما سواه، لذا نراه يقول الأقريطون عندما حاول اقناعه بالهرب من السجن متعللاً بقول الدهماء من البشر بأن أقريطون رغب عن بذل المال لفداء صاحبه، فيقول له سقراط.

«وفيم العناية بحديث الدهماء يا عزيزى أقريطون سترى الفئة الصالحة في ذلك رأياً صواباً يطابق ما وقع وهي وحدها جديرة بالاعتبار.



أقريطون: ولكنك ترى يا سقراط أن رأى الدهماء لابد من اعتباره وذلك ظاهر من قضيتك أنت (يقصد مقيمى الدعوى ضد سقراط والذين صوتوا ضده) ففى مقدورهم أن ينزلوا أفدح المحن بمن لم يظفر عندهم بالرضا كائناً من كان.

سقراط: ليتهم يستطيعون ذلك يا أقريطون، فذلك كل ما أرجوه إذ لو استطاعوا لكان كذلك في وسعهم أن يفعلوا أعظم الخير، فيكون ذلك منهم جميلاً ولكنهم في حقيقة الأمر عاجزون عن فعل الخير والشر على السواء، وليس في مقدورهم أن يُصّيروا الرجل حكيما وكل أفعالهم وليدة المصادفة»(18)

ثم يزيد سقراط هذه القضية وضوحاً في موضع آخر لينتهى إلى نتيجة مؤادها «فلا ينبغى يا صاحبى أن تأبه لما تقوله الجمهرة عنا، إنما يجب أن نصغى لحكم الحقيقة، كما نستمع إلى رأى ذلك الواحد الذي يفهم كنة العدل والظلم، فأنت إذا قد وقعت في الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهماء في الظلم والعدل، والخير والشر، والزائن والشائن، سيقول أحد ولكن الدهماء في مقدروهم إعدامنا»

أقريطون: نعم يا سقراط، سيكون ذلك بغير شك رد ما تقول.

سقراط: هذا حق، ولكن مع ذلك يدهشني أن أرى الحجة

القديمة إن كنت أستطيع أن أقول هذا القول في قضية أخرى، وهي أن ليست الحياة حقيقة بالتقدير ما لم تكن قبل كل شئ حياة خيرة»(19)

حقاً، ما أحكم هذا القول!! فالحياة ليست ذات قيمة فعلاً ما لم تكن حياة خيرة!! والقول غير ذات مضمون ما لم يكن صاحبه عاقلاً متعقلاً!!

وذاك مبدأ سقراطى عظيم، فيما يقول دودس، إذ يجعل هذا المبدأ الشئ في نصابه، ويوفر العدالة الاجتماعية في ناحية من نواحيه، إذ يأخذ كل إنسان حقه بما هو مؤهل له فعلاً، حيث أن ميزان المرء عقله، ووسيلة التعبير عن هذا العقل، اللسان، لذا كان المبدأ السقراطى العظيم ملخصاً في قوله «تكلم حتى أراك».

4- تحريم الانتحار:

قد يقول قائل، إذا كان سقراط قد قبل حكم الإعدام ظلماً وتوافرت له آليات الخلاص من هذا الحكم بالهرب من السجن دون أن يفعل فهو بذلك يُعد منتحراً؟!!

ولكن سقراط في نص رائع يعمل حساباً لمثل هذا القول، فيحرم الانتحار تحرياً باتاً، ويسوق على هذا التحريم الدلائل والبراهين في حوار رائع بينه وبين سيبيس، الذي أدهش بقابلية



سقراط للموت فقال له «فيم قولك إن الإنسان لا ينبغى أن يستل حياته، وأنه يجب على الفيلسوف أن يعد نفسه ليلحق بالموتى»

ثم يعود لذات التساؤل مرة أخرى فيقول: «إذاً فحدثنى يا سقراط لماذا استقر الرأى على ألا يكون الانتحار حقاً مشروعاً؟ لقد سمعت فيلولاوس يقيناً يؤكد ذلك عندما كان يجلس بيننا في طيبة، وثم أناس آخرون يقولون مثل هذا القول، ولو أن أحداً منهم لم يستطع قط أن يُفهمنى ما يقول.

سقراط ولكنك يجب أن تحاول الفهم ما استطعت ولابد أن يأتى اليوم الذى تفهم فيه، أحسبك تعجب لماذا تشُذ هذه الحالة وحدها، ومعظم الشرور قد تجئ بالخير عرضاً (لأنه أليس من الجائز أن يكون الموت كذلك أفضل من الحياة في بعض الظروف؟) وإذا كان خيراً للإنسان ان يموت، فما الذى يمنع أن يقدم لنفسه الخير بنفسه، ألزام عليه أن ينتظر من غره يد الإحسان؟

فقال سيبيس ضاحكاً في لغته الدورية: أي وحق جوبيتر!

فقال سقراط: إنى أسلم بأن هذا تناقضاً ظاهراً، ولكن مع ذلك قد لا يكون هذا التناقض حقيقياً، هناك مذهب جرت به الألسنة في الخفاء، بأن الإنسان سجين، وليس له الحق في أن يفتح باب سجنه ليفر هارباً، إن ذلك إشكال عظيم لست أفهمه

فهماً دقيقاً، ولكنى أعتقد مع ذلك أن

فهماً دقيقاً، ولكنى أعتقد مع ذلك أن الآلهة هم أولياؤنا وأننا ملك لهم، أفلست ترى ذلك؟

سيبيس: بلى إنى أوافق على ذلك.

سقراط: فلو أن ثوراً مثلاً مما تملك أنت أو حماراً، شاءت له إرادته أن يحيد بنفسه عن الطريق، على حين أنك لم تشر له برغبتك في وجوب حيدته، أفلا تسخط عليه، ثم ألا تعاقبه إن استطعت؟

سيبيس: يقيناً.

سقراط: وإذاً فقد يكون في القول بأن الإنسان يجب أن ينتظر، وألا يهلك حياته بنفسه، حتى يقضى الله فيه أمراً، كما فعل بي الآن، سند من العقل»(20).

يخلص سقراط من ذلك إلى أن الحياة ملك لله، وتالياً فلا ينبغى لأحد أن يتخلص من حياته بإرادته، لأنه حينئذ يحكم فيما لا يملك وبالتالى يكون آثماً في حق الله.

هذه المبادئ السقراطية العظيمة كانت سبباً فى خلود سقراط إلى الأبد، فقد مورست هذه المبادئ عملياً، وتشبع بها وجدان سقراط وكيانه، وامتلأت بها نفسه وأركانه، فحق له الخلود حقاً ويقيناً.



وهذه المبادئ هي التي صنعت فلاسفة حول سقراط، ممن اصطلح على تسميتهم «المدارس السقراطية» ولكنى أسميهم «الشيعة السقراطية» لأنهم غالوا في كل الجوانب الفكرية عند سقراط، وأدخلوا على سقراط ما ليس منه.

ثالثاً: الشيعة السقراطية:

فى البداية يطالعنا التساؤل الآتى: ماذا نقصد بالشيعة السقراطية؟ ألم يُصطلح على تسمية أتباع سقراط بالمدارس السقراطية، وهى قسمين، مدرسة كبرى مثلها العظيم أفلاطون، وثلاث مدارس صغرى وهى الميجارية، والقورينائية والكلبية، وعرف ذاك وأولئك باسم المدارس السقراطية، فما الداعى إذاً إلى ابتكار مسمى «الشيعة السقراطية»

أرى أن هذا المسمى ينطبق عليهم تماماً لسببين رئيسيين:

الأول: أن الطريقة التى مات بها سقراط قد أثارت أتباعه، فأصبح كل واحد منهم يعتبر نفسه الابن الشرعى الوحيد، أو بتعبير آخر، فإن طريقة اعدام سقراط ألهبت المشاعر وأشعلت ثورة غضب كتلك الثورة التى أعقبت مقتل الحسين (شهره)، فأصبح السقراطيون يمنون أنفسهم بالثأر من القاتلين، فلم يملكوا إلا أن يخلدوا فكر الأستاذ ويصوروه فى جميع المناحى الفكرية.

أما السبب الثانى: فهو أن هؤلاء الأتباع كانوا حقاً معجبين بسقراط وبهبادئه وبقيمه وبشجاعته، لدرجة أن أحد تلاميذه وهو كليا مبروت Clqmbrote قد انتحر بأن ألقى نفسه في البحر بعد أن قرأ محاورة فدون.

لقد سرى حب سقراط فى قلوب أتباعه، فأخذت كل مدرسة ناحية معينة من فكر سقراط وساروا بها حتى النهاية فى مغالاة تامة تامة، مغالاة تُخرجهم عن دائرة الفكر السقراطى ذاته، إلا أنه ينبغى التنويه إلى نقطتين رئيسيتين، الأولى، أن المنهج السقراطى لم يكن بحثاً فى تعليم الفلسفة، بل كان بحثاً فى تعليم التفلسف، فلم يكن سقراط مهتماً بالحديث عن الفلسفة بل كان كل اهتمامه منصباً على جعل تلاميذه فلاسفة.

والثانية، أن أفلاطون كان هو المدين لسقراط، وليس سقراط هو المدين لأفلاطون، فأفلاطون مدين لسقراط في ثلاثة أشياء:

الأول: هو تعلمه الفلسفة على يد سقراط وتأثره به في جميع أطواره الفكرية.

الثانى: أن معظم الأفكار الأفلاطونية ذات جذور سقراطية مثل نظرية المثل والتذكر وحكم الفلاسفة والدولة القانونية.



الثالث: أن سقراط صنع نجومية أفلاطون، أو على أقل تقدير، ساهم بجزء كبير في صنعها، حيث كان أفلاطون قنطرة مهمة في معرفة سقراط.

وهذا السبب الأخير هو عين السبب الذى لأجله رأى البعض أن سقراط هو المدين لأفلاطون، لأنه لولا أفلاطون لما عرفنا سقراط معرفة يقينية، ولكن يكفى هؤلاء أن نقول لهم، إن سقراط لم يقصد أبداً أن يخلد، ولم يدر بخلده أنه سيُكتب له الخلود قط، ولو كان يعلم أن هناك من تلاميذه من سيسجل أعماله، لربما كان قد اهتم بحديثه أكثر من اللازم، ولربما كان قد قال كل ما يدور بخلده، ولكنه لم يكن يتوقع أن يسجل أحداً أقواله، ولم يسع هو إلى ذلك، ولم يكن باحثاً عن مجد أو خلود، ولكنه أخلص في رسالته فقيض الله لم من يخلد ذكره، وبالتالى لا يكون سقراط من هذه الناحية مديناً لأفلاطون قيد أنهلة، ولكن أفلاطون هو المدين كل الدين لسقراط.

لقد كتب لسقراط الخلود، سواءاً بأفلاطون أو بدون أفلاطون، لأن إحساس سقراط ذاته بفرضية أداء رسالته، وحديثه المتصل عن وحى يأمره بأداء رسالته، وتحديه القضاة بأنه حتى لو أخلى سبيله لما توقف عن أداء تلك الرسالة لأنه يعتبرها واجباً وفرضاً عليه، ثم رفضه أخذ أى أجر عليها، وقبوله أن

يحيا على الكفاف هو وأبناؤه، كل ذلك كان كفيلاً بصنع الخلود لصاحبه، ولو لم يكن أفلاطون قد أبدع في تصويره، لرما جاء أحد التلاميذ الآخرين وأبدع التصوير أعظم مما أبدع سقراط.

إجمالاً، لقد أثر سقراط على جميع اللاحقين عليه، حيث ترك أثاراً عظيمة على أكاديهية أفلاطون في حكم الفلاسفة، وفي محاولة أفلاطون تطبيق فكرة الحاكم الفيلسوف عملياً، ثم ارسال السفراء من طلاب الأكاديهية، ثم المدرسة الرواقية ومفهوم الحكيم والفضيلة، كل ذلك أتى من نبع سقراطي، وصب في مصبات مدارس أخرى عبر التاريخ.

ومن أشهر تلك المدارس السقراطية التى أرادت تخليد سقراط فانحرفت بفلسفته كلاً وجزءاً ثلاث مدارس، الميجارية والقورينائية والكلبية.

أ- المدرسة الميجارية:

ومؤسسها إقليدس ومذهبها إيلى، وقد تلقى إقليدس المذهب الإيلى بما فيه من جدل عند بارمنيدس وزينون، وقد جمع بين الوجود البارمنيدى والخير السقراطى مطلب الإرادة وقاعدة الأخلاق فقال بأن الوجود واحد، والخير واحد كذلك، وما ليس خيراً فلا وجود له، وهو يعتمد على منهج سقراط «الجدل» لكنه يوظفه بطريقة خاطئة، وقيل إنه كان يقلد زينون



فيعتمد على برهان الخلف (21)

ويذهب فوللر إلى أن الخير عند إقليدس يتصف بكل ما يتصف به الوجود من صفات فهو واحد ومتجانس وغير قابل للتغيير أو الفساد، وهو ذاته في كل زمان ومكان، وكما قرر بارمنيدس أن الوجود موجود وما خلا هذا الوجود الثابت الساكن غير موجود، أى أن الوجود موجود واللاوجود غير موجود، كذلك فإن الخير هو الوجود، بينما الشر هو اللاوجود أو العدم.(22)

وجدير بالذكر أن الميجاريين قد رجعوا في هذا الجدل إلى منطق بارمنيدس وخلفاؤه وعابوا على أفلاطون خيانته لبارمنيدس جدهم الأكبر(23).

ب- المدرسة القورينائية:

ومؤسسها أرستبوس (435 – 366 ق.م) وتقوم فكرته الرئيسية على اعتبار اللذة هي الخير الأعظم، وأنها مقياس جميع القيم على السواء، وأن هذه اللذة لا ترتبط سوى بالحاضر فقط، لأن الماضي ولى وانقضي والمستقبل غامض غير معروف، وتالياً فإن الخلاص الكامل عندهم يتمثل في السير خلف اللذة الكاملة، وعا أنهم وجدوا أن غاية الحياة هي تقديس اللذة العاقلة فلم يكونوا في حاجة إلى الدولة لكي تضع لهم أية قاعدة ترسم لهم

طريق العمل (24)

ويكننا القول بأن القورينائيين قد انطلقوا في بناء فلسفتهم عبر مقدمتن رئيسيتن وهما:

الأولى: المبدأ السقراطى القائل بأن حياة الإنسان ينبغى أن تتجه دائماً نحو الحصول على ما هو الخرر.

الثانى: المبدأ السقراطى القائل بأن الخير هو النافع أو المفيد، وهذا أقصى تحديد للخبر في فلسفة سقراط.

ويؤكد باركر على نزعة اللذة عند القورينائيين بقولهم «إن رفاهية بلادنا لا تقل عن رفاهية أنفسنا في أنها تكفى لإدخال السرور إلى نفوسنا»، غير أن السرور الذي يقصدونه هو تلك «اللحظة» اللذيذة التي إذا كانت وليدة الوطنية فهي أيضاً وليدة الفن أو أي شئ آخر يغمر النفس بالبهجة والسعادة.(25)

ويؤكد شيشرون أيضاً على ذات المبدأ عند أرستبوس بقوله «إن أرسبتوس يشدد على أن الشعور باللذة والألم هو مبدأ الطبيعة، وهو أساس اختيار أفعالنا أو اجتنابها»(26)

ويذهب أرستبوس إلى القول بأنه كما خلق الجواد بطبيعته للجرى، وخلق الثور للحرث، فإن الإنسان قد أتى إلى الوجود كحيوان جاء ليتغذى ويستمتع بلذة ما قبل نشأة الكائنات»(27)



كما أكد أرستبوس أيضاً على أن اللذة هى الغاية التى نسعى دوماً إليها، وعند الحصول عليها لا يكن لدينا رغبة فى الحصول على شئ آخر، بل إننا نتجنب دائماً ما يتعارض معها وهو الألم، لذا فإن الجميع يؤمنون بأن اللذة هى الخير الأقصى، وأن كل ما سواها يجب أن نحكم عليه بحسب قدرته على توفير اللذة (28)، يقول لايرتوس «يؤكد القورينائيون على أن اللذات الحسية أفضل كثيراً من اللذات العقلية، وأن الآلام الذهنية» (29)

ومع أن البعض يحاول التخفيف من حدة اللذة عند أرستبوس ويحاول إلصاقه بالروح السقراطية مثل زيلر وكوبلستون واللذين ذهبا إلى أن أرستبوس نصح بعدم الإفراط في استخدام اللذة وأن الحكيم وحده هو الذي يستطيع أن يتحكم في شهواته (30) إلا أن ذلك لا يقلل أبداً من ابتعادهم عن روح التعاليم السقراطية.

وقد انحرفت هذه الدعوة إلى اللذة مع الوقت على أيدى بعض الأتباع مثل هجسياس الذى اعترض على فلسفة اللذة التى أقى بها أستاذه أرستبوس وذهب إلى القول بأن اللذة حتى لو كانت مصدراً للسعادة فهى عادةً ما تنتهى بالألم، ومن هنا جاءت دعوته إلى التخلص من جميع هذه الآلام بالانتحار، حيث أنه

وسيلة الخلاص من هذا العالم، اعتقاداً منه بأن الإنسان سوف يحيى في عالم آخر هو عالم الحقيقة والسعادة الممكنة (31)

ويذكر بلوتارخ أن هجسياس استطاع بفصاحته أن يُقنع الكثير من الشباب بالامتناع عن الطعام حتى الموت (32)، لدرجة أنه سُمى «مستشار الموت»، ويُروى أنه زار الأسكندرية وألقى فيها عدة محاضرات انتشرت على إثرها ظاهرة الانتحار بين الشباب إلى أن فطنت السلطات الرومانية إلى خطورة تلك الدعوات وتصدت لها.

ويمكن التساؤل الآن هل استمد هجسياس هذه الفلسفة من اليوم الأخير في حياة سقراط، ولو فرضنا صحة هذا الرأى، ألم يُجرّم سقراط الانتحار، ألا يمكننا القول أن سقراط كان يتعجل الموت لا للخلاص من الألم وإنما لأن الموت راحة وخير لا شر فيه.

ولكن الحقيقة هي أن هجسياس استمد فلسفته في الانتحار والتشاؤم من بعض السابقين عليه لا من سقراط.

من ذلك مثلاً برود يقوس الذى كان متشامًا ويُروى عنه قوله «إن الموت أمر مرغوب فيه حتى نتمكن من الإفلات من شرور الحياة، أما الخوف من الموت فهو أمر غير معقول، ما دام الموت لا يخص الأحياء ولا الأموات، أما الأموات فلأنهم لم



يعودوا أحياء بعد»(33)

كذلك أيضاً نجد نزعة تشاؤمية عند أنطيفون، فيروى عنه قوله «ولكن الألم يجثم في صميم اللذة، لأن الأفراح لا تغدو وحدها، بل في صحبة الأحزان والمتاعب، فالنصر في الألعاب الأولمبية وسائر المباهج تُنال بالآلام الثقال»(34)

ويعود هذا الألم عند أنطيفون إلى مطالب الجسد اللامتناهية، وأن هذا الألم يزداد كلما ازدادت مسئولية الإنسان بتحمله مسئولية وأعباء الأسرة والأولاد، يقول أنطيفون «أليس من الواضح أن الزوجة حتى إذا كانت موافقة لزوجها تجلب له من الحب والألم ما يفعله لنفسه، فيرعى صحة بدنين ويكسب معاش شخصين، ويظفر بالاحترام والشرف لاثنين، فإذا أنجب أطفالاً ازداد همه وولى شبابه وتغيرت هيئته»(35)

وكأنه يدعو إلى العزلة في الحياة والتنسك وعدم الزواج لأجل ألا يتحمل الفرد أية مسئولية، فكيف تكون الحياة إذاً وكيف تستمر، وكيف يتولد الوجود من العدم، إنه بذلك يدعو إلى هدم الإنسان ذاته، حيث لا تكاثر ولا تناسل وتالياً الانقراض هو المصير المحتوم، فمن أين جاءت تلك الرؤية؟

وبذات النهج في التساؤل أيضاً كيف انحرف أرستبوس بفلسفة سقراط وجعلها قاصرة على اللذة فقط؟! وهل تلك

الدعوة من الفلسفة السقراطية في شئ.

وأول رد على القورينائيين، هو أنه لا يصح تأويل دون سند، فهم أولوا الخير السقراطى بأنه اللذة، فمن أين أتوا بهذا التأويل، وما الدليل على صحته؟!

لقد نفر سقراط من اللذة كل النفور إذ كانت عنده إذا صح تأويل مذهبه بأنه اللذة – لذة الروح لا لذة الجسد، وفي هذا الحوار ما يؤكد ذلك..

«سقراط: أما الفيلسوف، أو محب التعلم الذى يبلغ حد النقاء عند ارتحاله، فهو وحده الذى يؤذن له أن يصل إلى الآلهة، وهذا هو السبب أى سمياس وسيبيس، في امتناع رسل الفلسفة الحق عن شهوات الجسد جميعاً، فهم يصبرون ويأبون أن يخضعوا أنفسهم لها، لا لأنهم يخشون إملاقاً، أو يخافون لأسرهم دماراً كمحبى المال، ومحبى الدنيا بصفة عامة، ولا لأنهم يخشون العار والشين اللذين تجلبهما أعمال الشركمجبى القوة والشرف.

سيبيس: لا يا سقراط، إن ذلك لا يلامُهم.

سقراط: حقاً إنه لا يلائمهم، وعلى ذلك فأولئك المذين يعنون بأرواحهم، ولا يقتصرون في حياتهم على أساليب الجسد، ينبذون كل هذا، فهم لن يسلكوا ما يسلك العمى من سُبُل، وعندما



تعمل الفلسفة على تطهيرهم وفكاكهم من الشر، يشعرون أنه لا ينبغى لهم أن يقاوموا فعلها، بل عيلوا نحوها، ويتبعوها إلى حيث تسوقهم»(36)

إذاً سقراط طالب محبى الحكمة والفلسفة بنبذ شهوات البدن وتطهير أنفسهم من الشر واتباع كل سبل الفضيلة، فكيف يؤول القورينائيون هذا الجانب من فلسفة سقراط بأنه لذة الجسد، إن سقراط قد سبق له وأن عارض تلك النظرية بقوله «وترى الفلاسفة يلتمسون في مثل هذا الأمر كل سبيل لفصل الروح عن الجسد أكثر مم يفعل سائر الناس جميعاً، بينما يعتقد سائر الناس ياسيمياس أن حياة تخلو من لذائذ البدن ولا تأخذ منها بقسط، ليست حقيقة بالبقاء، بل يرون أن إنساناً لا يفكر في مسرات الجسد، يكون كالأموات»(37)

وكأن سقراط بهذه العبارة يقرأ ما سوف يفعله مدّعى اتباعه.. ثم من أين تأتى دعوة هجسياس إلى الانتحار!! هل من اليوم الأخير لحياة سقراط؟! وهل كان سقراط منتحراً بالأساس، إنه حرّم الانتحار وقال بأن الحياة ليست ملكاً لنا وبالتالى لا يجوز الخلاص منها إلا بإذن بارئها، أما المنتحر فيكون قد فعل ما هو على غير إرادة الآلهة وبالتالى يستوجب العقاب.

إذاً، مكننا القول بأن النداءين، بفلسفة اللذة والانتحار

نداءين ليس لهما أصل في فلسفة سقراط، ولكن الأتباع، من حيث علموا أم لم يعلموا انحرفوا بالمسار عن فلسفة سقراط العامة وخطوطه العريضة.

ج- المدرسة الكلبية:

ومؤسسها أنتستين (445-36ق.م) وكان يجمع مستمعيه في معهد سينوزارجس Cynosargess الرياضي وهـى إحـدى ضـواحى آثينا، ولـه عدة مؤلفات، منها «الهرقليات» وفيـه عجـد المثـل الأعـلى الكلبـى في الحيـاة ويشـيد بـالاعتماد عـلى الـنفس واحـتمال المشـقات والعمـل المتواصل، و«بوليتيقوس» يهاجم فيه الديموقراطية، بينما يشدد الحملة على الطغيان في «أرخيلاوس»، وفي «سيروس» يحض على حب بنى البشر والدعوة إلى الوحدة.

ويقصر أنتستين مذهبه الأخلاقى على القول بأن الفضيلة خير والرذيلة شر، دون تحديد لماهية تلك الفضيلة أو كنة هذا الخير، وبالمختصر فإن أنتستين عد نفسه الابن الشرعى الوحيد لسقراط، وتأثر بنزعة الزهد السقراطية وقوة الاحتمال عند سقراط، فأخذوا هذا الجانب ظناً منهم أنه عِثل خلاصة فكر سقراط.

أيضاً مما أثار إعجاب أنتستين وتلاميذه ليس هو سقراط رجل العقل ورجل المعرفة، بل سقراط الإنسان ذو الشخصية



المستقلة الذى يتبع أفكاره الخاصة عن حق، وبدون الإنصات إلى آراء الآخرين، لقد كان سقراط مستقلاً عن كل الخيرات والممتلكات الأرضية، ولم يكن يعبأ بالثروات أو الاستحسان وذلك لأن قلبه كان متلهفاً على احراز كنز أكبر، ألا وهو كنز المعرفة(38)

ولم تكن المعرفة عند الكلبيين متعددة الروافد، ولكنها كانت تقتصر على مذهبين فقط، الأول نظرى وهو «الفضيلة خير والرذيلة شر»

والآخر عملى وهو ممارسة الزهد والتقشف إلى حد لا يتحمله البشر، يقول باركر «وقد ترتب على اتباعهم لسيرة سقراط والمبالغة فيها، أن تطور بهم الحال فأصبحوا أشبه بالمتسولين على غرار قدامى الرهبان الفرنسيسكان فيما عدا هذا الفرق العظيم، وهو أنهم شاءوا لأنفسهم الفقر لا حباً في مملكة السماء، بل كراهية في ممالك الأرض» (39)

وقد وجه أرسطو النقد لتلك النزعة عند الكلبيين، خاصة بعد أن تطورت للغاية عند ديوجنس الكلبى، حيث يُروى عنه أنه التقى بالإسكندر الأكبر فلم يشعر بالهيبة في حضرته، وإنها قابله مقابلة الند للند لاعتداده بنفسه وشعوره باستقلال شخصيته، وحيث أصبح يعيش حياة أشبه بحياة الحيوانات، يقول

آرسطو متهكماً «إن ما يثبت الضرورة الطبيعية للدولة وفوقيتها على الفرد هو أنه إن لم يسلم به لأمكن الفرد أن يكتفى بنفسه بمعزل عن الكل وعن سائر الأجزاء كذلك، وإن هذا الذى لا يستطيع أن يعيش فى الجماعة وليس له مع استقلاله حاجات فذلك لا يستطيع ألبته أن يكون عضواً فى الدولة، إنها هو بهدمة أو إله» (40)

لقد تولدت تلك النزعة الفردية عند الكلبيين عن فكرتهم بأن الفرد هو محور النظام، وأنه يمكن للفرد أن يكتفى بنفسه في أداء واجباته (41)، وقد تولد عن تلك النزعة أيضاً دعوتهم إلى المواطنة العالمية باعتبار الفرد مركز الكون، ومن حقه ألا يتقيد بقيود أو تحد حريته بحدود، فله أن يحل بأى مكان، ويرتحل إلى أى مكان، فالكون كله وطن له.

ولا أدرى من أين أق الكلبيون بهذه النزعة، ثم نسبوا أنفسهم إلى سقراط، إن سقراط رغم كونه يحمل مبادئ للعالم بأسره إلا أن دعوته ومجال تطبيقها كان محلياً بحتاً مقتصراً على آثينا فقط، ولعلنا نذكر نداءاته المتكررة أثناء المحاكمة «أيها الآثينيون»، ثم اهتمامه بتعليم مواطنيه، ثم رفضه أن يترك أثينا ويهاجر إلى صقلية أو تساليا أو أى من المدن اليونانية المنتشرة، كل ذلك يدل دلالة قاطعة على أنه لم يدع قط إلى الوحدة



الإنسانية ولكنه فقط كان يسعى إلى بناء آثينا محلياً لا عالمياً.

ولكن الجدير بالذكر أيضاً أن هذه الدعوة الكلبية إلى العالمية قد تركت عميق الأثر على العديد عن المفكرين ورجال السياسة على السواء، يقول بلوتارخ «إن إقامة الإسكندر لإمبراطوريته العالمية إنما تدل على استيعابه للمثل الأعلى الكلبى في ناحية السياسة»(42)

أيضاً، كانت تلك الدعوة تمهيداً لما حدث بالفعل على يد الإسكندر، فعندما كانت الدولة اليونانية تعانى حشرجة الموت، وعندما كان آرسطو معنياً بإيجاد صنوف العلاج، رفع ديوجنس صوته صائحاً «إن الملك يلفظ أنفاسه الأخيرة، لقد مات الملك، فليحيا الملك الجديد، ملك العالم» (43)

يبقى التساؤل الآن، ما وجه التشابه بين المدرسة الكلبية والفلسفة السقراطية؟

إن الاتفاق الوحيد بين سقراط وعموم المدارس السقراطية هو المتمامهم بالفرد، فالفرد هو المحور الأساسى لفلسفتهم، ولكنهم في الحقيقة يعارضون جوهر الفكر السقراطي، فالجدل السقراطي كان ذا هدف وغاية، ولم يكن بلا غاية مثل المدرسة الميجارية، وسقراط نبذ اللذة، لذة البدن ودعا إلى لذة الروح، بما يخالف كل آراء المدرسة القورينائية، وأخيراً كان سقراط

متقشفاً، وقد وصفه «أنتيبو» في المذكرات بأنه «يحيا حياة لا آدمية»

ولكن دعوة الكلبيين جاءت فى ثياب المغالاة الشديدة، المغالاة التى ما بعدها مغالاة، كما أنهم أوصلوا تلك المغالاة إلى ذروتها بدعوتهم إلى العالمية، فى حين أن سقراط لم يتلفظ بلفظ واحد يدل على وجود أى دعوة عالمية لديه، وإنما كان حديثه منصباً إلى «بنى آثينا».

إذاً، هذه المدارس ادعت أنها تمثل المذهب السقراطى، في حين أنها جميعاً بلا استثناء تشوه المذهب السقراطى، إنهم اجتمعوا على حب سقراط، هذه حقيقة، ولكنهم لم يفمهوا غايات أو أهداف سقراط، فجاءت مذاهبهم مسخاً لا قيمة لها.

إذاً يبقى التساؤل، ما الذى جعل من سقراط بطلاً؟ وما الذى دفع المعجبين إلى ادعاء السقراطية مندهباً ومنهجاً وتسمية مدارسهم بالمدارس السقراطية، ثم ما الدافع وراء تمجيد أفلاطون لسقراط إلى هذا الحد، أكل هذا كان صنيعة القدر؟!

ثم هل تمثل هذه المدارس السقراطية حقاً سقراط؟

هل دعا سقراط إلى التنسك الصارم والعداء مع المجتمع مثلما فعل الكلبيون، وهل قامت فلسفة سقراط على اللذة



المحضة مثلما دعا أرستبوس.

مكننا أن نقرر باطمئنان إلى أن المبادئ السقراطية وثبات سقراط على مواقفه ومبادئه لدرجة أفضت به إلى الموت، هو ما ألهب المشاعر، وترك الأثر العميق في قلوب الأتباع والمحبين، لدرجة أن هؤلاء الأتباع لم يقتصروا على الشيعة السقراطية وحسب، بل تعدى الأثر السقراطي حدود الدولة اليونانية إذ جاء تأثيرهم القوى على الرواقيين في شخصية الحكيم كما ظهرت في حياة سقراط وفلسفته، ثم تركب الأثر العميق على عموم الفكر البشري، يقول الدكتور النشار «وقد فعل التأثير السقراطي بعد ذلك فعله في فلاسفة مدرسة الإسكندرية الذين تأثروا على اختلاف اتجاهاتهم ودياناتهم بفلسفة سقراط، فقد تأثر به فلاسفة اليهود كفيلون، كما تأثر به فلاسفة المسيحية مثل كليمنت وأوريجين، كما تأثر به الأفلاطونيون من أمثال أمونيوس ساكاس وأفلوطن، ولقد انتقل التأثير السقراطي من الفلسفة اليونانية ومدرسة الإسكندرية إلى العصور الوسطى، حيث نجد أن سقراط قد حظى بكل التبجيل والاحترام من فلاسفة المسيحية والاسلام على حد سواء، ففي الوقت الذي كان المسيحيون يقولون: سقراط أيها القديس صلى من أجل خلاص أرواحنا، كان فلاسفة الإسلام يعتبرونه سقراط الإلهي، وكان

مؤرخو الفلسفة من المسلمين الأوائل ينظرون إليه دامًا على أنه أحد أساطين الحكمة الخمسة في اليونان» (44) ذاك هو سقراط، وتلك كانت دواعى خلوده عبر التاريخ.

* * *



هوامش الفصل الرابع

- (1) أفلاطون، محاور فيدون، ضمن محاورات أفلاطون، ص145.
 - (2) نفسه ص 151.
 - (3) نفسه ص205.
 - .Zeller, op. cit. p.142 (4)
 - (5) فىدون، ص127.
 - (6) نفسه ص 131-132.
 - (7) نفسه ص 153-154.
 - (8) نفسه ص208

- (9)Xenophon, op.ct. B2,2
- (10)Dodds (E.R): The Greek and the irrational ,
 University of california press, Berkeley & Los Anglos
 1959. p.63
- (11)Burent op.cit.p.153.

- (12) فىدون، ص206.
- (13) أفلاطون، فيدون، ترجمة عزت قرنى، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة 1996م، ص270.
 - (14) أقريطون ص 87-88.
 - (15) نفسه ص93.
 - (16) فيدون ص206.

- - (17) نفسه ص207.
 - (18) أقريطون ص 85-86.
 - (19) نفسه ص 91.
 - (20) فىدون ص 119-120.
- (21) د. أميرة مطر، الفلسفة عند اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968، ص 376.
- (22) Fuller (B.A.G): Ahistory of Philosophy, Oxford University publishing Vo, colatta, 1955, p.126.
 - (23) د. أميرة مطر، المرجع السابق ص 376.
 - (24) باركر، المرجع السابق، ص193.
 - (25) نفسه ص 194.
- (26)Cicero: De finibus, trans by: H. Rackham, Harvard University press, 1994, BI, VII, p.22.
- (27) Ibid p.39.
- (28)D: Leartius, VoII, Book II. 88. p.217.
- (29) Ibid, B II,p.127.
- (30) فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان وروما) ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م ص 184.
- (31) د. اسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والألم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1936م، ص195.
 - (32)Plutarch: Moralia, Translated into English by W.C. Helm bold, Harvard



University press, London, 1993, Vol vi, F.497, p.357.

- (33)Plato: Axiochus, Trans by: G.Burges " the work of plato " vol. I, George Bell and sons, London, 1902, 366 ff.
- (34) أنطيفون، في الوفاق، الترجمة العربية للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ضمن كتابه الموسوم «فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط»، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1954، ص297، شذرة 49.
 - (35) نفس المصدر، شذرة 49 ص297.
 - (36) أفلاطون، محاورة فيدون، ص155.
 - (37) نفسه ص124.
- (38) وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة / مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1984، ص137.
 - (39) باركر، المرجع السابق، ص189.
 - (40) آرسطو، السياسة، ك1، ب1، فقرة 12، ص97.
 - (41) باركر، المرجع السابق، ص193.
 - (42) نفسه، ص190.
 - (43) نفسه، ص192.
- (44) د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، ص140.

* * *

الخاتهــة



وقفت الفلسفة وحدها باكية شاكية دون أن يحنو عليها أحد، وقفت وحدها تعانى شداً وجذباً ممن يعلم وممن لا يعلم، ولكنها ظلت صامدة، لم يكن صمتها عن عجز، ولكنه كان صمت الأقوياء... وصمود الأنبياء.... وحكمة العقلاء،.... كانت تعلم دوماً أنها سر التكريم ونبع التشريف ومصدر التفضيل،..... ومع ذلك لم تغتر يوماً ما عوهلاتها، ولم تضع حول نفسها هالة من التقديس، فقط..... أرادت أن يعى الناس الحقيقة، وأن يفهموا سر تكريهم، وأن يعلموا أن هذا السريكمن في العقل، وأن يعلموا أن هذا العمل وأن هذا الفكر وأن

تلك هي الحكاية بالاختصار.

لقد عوديت الفلسفة منذ القدم، ولكنها ظلت ملتزمة بالعقل اللذى جاءت لتغذيه، فنادت بأعلى صوتها على الإنسانية المعذبة «عليكم أن تسمعوا لعقلاء القوم لا وجهائهم»

وظل ذاك النداء مصدراً للعناء على مر التاريخ!!



لمن يسمع القوم، للحكماء، أم للوجهاء من أرباب السلطة والنفوذ والثراء!! معضلة كبرى مرت بها الفلسفة عبر التاريخ، إلى أن أصبحت اليوم يتيمة، تستجدى نفخة الروح في كيانها من المحبين، يقول الـدكتور مكاوى: «لقد أصبحت الفلسفة يتيمة، وحيـده، هجرهـا الأبنـاء واحـداً بعد الآخر، وانصرف عنها الناس قائلين إنها ماتت منذ زمن بعيد، وإن لم يُكلفوا أنفسهم عناء السبر في جنازتها وتشبيعها إلى مثواها الأخبر، ورحم بعض المحسنين شيخوختها فأووها في ركن من أركان الجامعات كأنها شاهد أثرى على تراث عقلى يحرسونه من الضياع ويروون تاريخه لزواره القليلن، وتخلى الكهنة عن الملكة العجوز بعد أن أصبح الكهنة الجدد يأتون من المعامل ومعاهـد الأبحـاث، ولم تجـد الملكـة المخلوعة عن العرش شيئاً ملأ فراغها ويؤنس وحدتها سوى اجترار ماضيها والتأمل في مرآتها، أو التسلى بتقليب كتاب حياتها ونقد لغته وتحليل عباراته أو التطفل على أبنائها المغرورين وتذكرهم بأصلهم والتنبؤ مستقبلهم وتعذيب ضمائرهم، أما الذين نذروا حياتهم لحراستها فقد صار الناس يتفرجون عليهم كما يتفرجون على مجموعة من الحمقي الذين يعيشون على هامش المجتمع ويؤدون لعبة لا خطر فيها ولا ضرر منها، لعبة عقيمة لا يصدقون اليوم أنها كانت تبهـر أجدادهم وتقلق حياتهم وتؤرق نومهم، ولا يتصورون كيف ضاق بهم



الأجداد حتى حكموا على نفر منهم بالسجن والتعذيب أو القتل والحرق والنفى والتشريد!! إنهم الآن لا يرون بأساً فى أن يتركوهم تسلية لمجتمع العمل والانتاج، أو قطعاناً نادرة فى متحف ذاكرته، أو دليلاً على اهـتمامهم «بالثقافة» وعنايتهم «بالتراث» و«التقاليد» وبذخهم فى الإنفاق عليها، ثم إنهم لا يفكرون اليوم فى قتلهم – إذ لا داعى لقتل الموتى – ولا يسعون لكسب مودتهم أو التماس الرأى والمشورة عندهم، إذ لا يحرص أحد على مودة العجزة أو مشورة المعتوهين»(1)

ذاك بالاختصار هو أفضل توصيف لحال الفلسفة منذ سقراط، وحتى اليوم!! لقد بُعث سقراط في وسط مجتمع يعج بالمشكلات، ورغم كثرة هذه المشكلات إلا أن البشر لم يرحموا آثينا العاجزة، المهلهة اقتصادياً، ولكن جاء السوفسطائيون لينشروا الفوضى، والعلم باللاعلم، ومعرفة اللامعرفة، فكان أن هب سقراط ليدرأ تلك الافتراءات، ويتصدى لذاك العبث، ليعيد الفكر إلى مساره الصحيح، المعرفة والفضيلة والعقل.

لقد سعى سقراط إلى وضع تعريفات محددة، وإرساء قواعد فضائل محددة، والترسيخ لقيم محددة.

أراد أن يثبت أركان تلك القيم والفضائل، فلا تتغير بتغير الزمان أو المكان إننا إجمالاً، بحاجة إلى استلهام مبادئ سقراط



الماضية لنبنى عليها مستقبل الأجيال القادمة، بشئ من الشفافية، وبشئ من المصداقية، حيث أنه كلما كانت النظرة إلى الماضى أكثر عمقاً وشمولاً، كلما كان فهم الحاضر أشد عمقاً، وكلما شُيدت قواعد المستقبل، ولعلى أذعن مع الدكتور النشار بقوله «إن السوفسطائيين في عصرنا كثيرون، فهل من سقراط جديد يحمل المصباح ويتحمل المسئولية ويُبشر عيلاد فجر جديد نتمناه»(2)...

لكن السؤال الآن، هل انتصر سقراط؟!

لا شك أن ثبات سقراط على مواقفه التى اقتنع بعدالتها وصحتها، لا ينم عن قوة الشخصية بقدر ما يبرهن على قوة الضمير ووجود إرادة حقيقية للتغيير.

لقد كان سقراط يتمتع بإرادة حديدية لإحداث تغيير جذرى ينتقل من السطح إلى العمق، ومن الشكل إلى المضمون، إذ ما الدافع وراء تركه ملذات الحياة جميعها وانقطاعه لهذه الرسالة، فإذا قال قائل بأنه انقطع عن تلك الملذات لأنه كان معتدل المزاج متحكم في شهواته بقدرة فائقة، فإذا كانت تلك طبيعته، فهل من طبيعته أيضاً أن يترك أولاده دون سعى لهم عن أسباب الرزق، وتالياً دون العناية المادية بهم، هل هذه طبيعة أيضاً، وهل هذا السلوك من الواجب في شئ؟!



إن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها هى أن سقراط كان يمتلك ارادة التغيير كشأن أى مواطن مخلص فى أى عصر من العصور، يرى وطنه يعانى المحن. أولم يتمنى بعض المخلصين من أبناء مصر أن تقبض أرواحهم مائة ألف مرة فداءاً لمصر عقب ثورة يناير 2011م!! ألم يكن الشعور العام لدى أولئك المخلصين هو فناء ذواتهم فى مصلحة وطنهم!! لقد امتلكوا فى أفئدتهم، وبين جوانحهم حلم البناء، حلم التعمير، إرادة التغيير، لقد امتلكوا العزيمة التى تريد أن تبنى وطناً فى ظروف

لقد كان سقراط يمتلك هذا الحس الوطنى لإرادة التغيير، كان يشعر بأن عليه أن ينهض بإرساء معانى ثابتة وحقيقية للمعرفات، معانى لا يمكن تغيرها بتغير الهوى والمصلحة..... تلكم كانت إرادة سقراط.

معينة عقب ثورة عظيمة اقتلعت الفساد وتستوجب البناء.

لقد كان مؤهلاً لتلك الإرادة نفسياً، كان يشعر أن عليه وحده يقع العبء لا على سواه، لذا ترى الفعل عنده ينتقل من المستحب إلى الواجب، لأنه رجل صاحب رسالة، هذه الرسالة تقتضى منه كل أمانة ممكنة في تبليغها.

لقد امتزجت هذه الرسالة بقلبه، وخالطت نفسه، وامتزجت



بها روحه، لدرجة جعلته يظن في وقت من الأوقات أنه مبعوث العناية الإلهية، أو صاحب رسالة سماوية، نعم، تلك مشاعر عادية تتكون في نفوس المخلصين الذين يمتلكون إرادة التغيير، لذا يكون من الصعب أن نفصل بين نفسية سقراط وامتلاكه لإرادة التغيير، وبين ما يقوم به من أفعال.

إن الفعل عندما يتحول إلى عقيدة، والعقيدة عندما تختلط بالنفس يصبح من العسير أن يتراجع صاحبها عنها، لأنها أصبحت إحدى مكونات نفسه، واحدى ممتزجات روحه، تلك العقيدة هى التى جعلت النبي الكريم (على يقول لعمه عندما حاول إثنائه عن دعوته «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته أبداً حتى يظهره الله أو أهلك دونه»

العقيدة هي التي تكلمت وليس لسان النبي الكريم (ﷺ).

وبذات النهج أيضاً نجد العقيدة عند سقراط هى التى تتحدث فى تحد شامخ، ليس تحد لمجرد التحدى، أو لإظهار صحة الموقف والتماس التبريرات له، ولكن تحدى الشموخ الذى تمنحه العقيدة لأصحابها «لوقلتم لى يا سقراط إننا سنطلق سراحك هذه المرة ولن نأبه لأنيتس، على شرط واحد، وذلك أن تكف عن البحث والتفكير فلا تعود إليهما مرة



أخرى، ولو شاهدناك تفعل ذلك أنزلنا بك الموت، إن كان هذا شرط إخلاء سبيلى أجبت بما يلى: أيها الآثينيون! أنا أحبكم وأمجدكم، ولكنى لابد أن أطيع الله أكثر مها أطيعكم، فلن أمسك عن اتخاذ الفلسفة وتعليمها ما دمت حياً قوياً»

المنطق هو هو، لم يتغير مضمونه، وإن تغير شكله بسبب الاختلاف بين بيئتين، وبين عصرين، وبين ثقافتين، لكن المبدأ واحد، وهو اختلاط العقيدة بالنفس فينصاع لها صاحبها حباً وشوقاً ولو افتداها بروحه. وتلك كانت النتيجة أيضاً، ما من نبي إلا وقتل أو هُدد بالقتل بنص القرآن ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ عِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرُتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَريقاً تَقْتُلُونَ ﴾.

إذاً، لا حيلة أبداً مع صاحب أى عقيدة لإثنائه عنها ولو أفضى به إلى الموت إن اختلاط الفكرة بالنفس وامتزاجها بالقلب ينقلها إلى مرحلة الاعتقاد، وإذا ما أصبحت عقيدة هانت لأجلها الأرواح عند أصحابها، فيتحولون من موكب الدعاة إلى موكب الشهداء، وما أعظم هذا الموكب، وما اروع الشهادة عندما تكون في سبيل عقيدة يؤمن بها صاحبها.

أيضاً إراداة التغيير عند سقراط لم تكن تقتصر على العقيدة فقط، حيث مشير يشير عليه وحيث نبؤة الكاهنة وحيث



الوحى الذى يتلقاه، وإنها كانت تمتد تلك الإرادة إلى شخص سقراط ذاته، حيث شخصية على مستوى عال وراق من الأخلاق، وعلى مستوى عال أيضاً من فن إدارة الحديث، ذاك هو ما كان يميزه على الدوام.

لقد أراد سقراط الخير للجميع، ولم ينفض عن تبليغ ما اقتنعت بـه نفسه أنه خير، حتى عندما هدد بالاغتيال لم يتراجع إلى الوراء قيد أُملة، حتى عندما جئ به إلى ساحة الاغتيال الحقيقية، كان من المفروض أن يتراجع ولو لخطوة واحدة ليفوت على الإنسانية هذا الدنس الذي يلازمها أبد الدهر، ولكن تكوينة نفسه وإباء شخصيته ورجولة روحه ونقاء سريرته، كل ذلك حال دون أن يتزحزج عن موقفه، فدفع روحه مناً لاعتقاد ما في نفسه، وتلازم تام بين عقله ونفسه وروحه وإرادته، بكل إباء وشموخ، وما أعظمها من شهادة، وما أروعه من موكب، موكب الشهداء. لقد ألهم موت سقراط الأدباء على مدار التاريخ في أن يكتبوا ويبدعوا ويتخيلوا ما قاله سقراط، وما كان ينبغى لـه أن يقولـه، وما كان ينبغي ألا يقوله، خيالات خصبة، وآراء عميقة، في أحداث خلدت عبر التاريخ.

لقد صنع الأدباء من سقراط رجلاً فوق التاريخ، بل وفوق الأرض ذاتها، رجل ليس كأى رجل، بالقدر ذاته الذي صنع



المسيحيون من عيسى عليه السلام بطلاً، فالمحاكمات واحدة، والنهايات أيضاً متشابهة إلى حد كبير.

هذا قطعاً لا يعنى أن سقراط راح ضحية لعقيدة دينية يؤمن بها، قطعاً قد تكون تلك العقيدة هى أحد الأسباب، ولكنها ليست كل الأسباب، فسقراط سيق للمحاكمة لأسباب سياسية، وصدر الأمر السياسي باغتياله، واغتيال عقله، ولكن العقيدة التي نقصدها هنا، هى إرادة سقراط الداخلية بإحداث تغيير عقلى، تلك الإرادة التي عندما ازدادت في قلب سقراط تحولت إلى عقيدة جاد سقراط لأجلها بحياته، ليصنع خلوداً سرمدياً في عقول وقلوب بنى البشر إلى قيام الساعة.



هوامش الخاتمة

- (1) د. عبد الغفار مكاوى، لم الفلسفة، ص67.
- (2) د. مصطفى النشار، فلاسفة أيقظوا العالم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988، ص86.

** *



المؤلف في سطور

- محمد ممدوح عبد المجيد
 - مواليد المنصورة 1982م.
- حصل على ليسانس آداب قسم الفلسفة 2003 من جامعة المنصورة.
 - حصل على تمهيدي ماجستير جامعة الزقازيق 2005.
- حصل على درجة الماجستير في الفلسفة (الفلسفة اليونانية والسياسية) من جامعة المنصورة 2009....
- حصل على الدبلومة العامة في التربية- كلية التربية جامعة المنصورة 2013.
- حصل على درجة الدكتوراه في الآداب قسم الفلسفة جامعة القاهرة تخصص «فلسفة يونانية» وفلسفة قانون2014م.
- حصل على درجة الدكتوراة من كلية الآداب- جامعة المنصورة- وهى الدكتوراة الثانية- تخصص الفلسفة الإسلامية والتصوف- موضوع الرسالة «مقاصد الشريعة عند ابن تيميه وآليات تحقيقها»، 2017م.
 - أبحاث منشورة
- فلسفة المستقبل عند أفلاطون مجلة ديوجين ويصدرها قسم الفلسفة كلنة الآداب جامعة القاهرة2014.
- المرأة بين الآلية والفطرة (بحث فقهي)منشور بالكتاب التذكاري للدكتور الخشت.
- أعماق محاكمة سقراط- ضمن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، منشور بتاريخ 20يناير 2015.



- الطغيان وانهيار الإنسان بحث فلسفى منشور ضمن الكتاب التذكاري للدكتور إمام عبد الفتاح إمام.
- كتب التصدير والتقديم للعديد من الكتب والدراسات لباحثين مصرين وعرب.
- الثيوقراطية الدينية عند اخوان الصفا وأثرها على الفكر السياسى المسيحى،بحث ضمن كتاب عن الفلسفة الاسلامية منشور بكلية الآداب- جامعة بغداد2014.
- «القانون بين السوفسطائيين وسقراط» ضمن مؤسسة مؤمنون بلا حدود، منشور بتاريخ 2015/10/28
- تجديد الخطاب الدينى وفقه الأولويات.... مقال منشور بمجلة الثقافة الجديدة، عدد أبريل 2016م.
- المعضلات الكبرى فى فلسفة الدين....قراءة فى كتاب مدخل إلى فلسفة الدين للدكتور مصطفى النشار، ضمن مؤسسة مؤمنون بلاحدود، مارس 2016م.
- الألوهية فلسفة أم اعتقاد، بحث منشور بمجلة الثقافة الجديدة،
 عدد أغسطس 2016.
- بين الفلسفة والعلم في واقعنا العربي المعاصر.... ضمن مؤسسة مؤمنون بلاحدود....يناير 2016م.
- المنهج المعرف عند ابن تيميه، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، عدد59، جامعة المنصورة.
- المعضلات الكبرى في التصوف، مجلة الثقافة الجديدة، عدد يونيه 2016م.
- النفس والجسد والروح، دراسة منشورة بمجلة الوعى الإسلامي الكويتية..
- العقل والقلب والفؤاد..... دراسة منشورة بمجلة الوعى الإسلامى الكويتية..
- أجرى حوارًا نُشر على موقع مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث وأجراه معه الباحث الجزائري سفيان البطل..



كتب منشورة

- فلسفة المقاومة في السياسة والقانون عند اليونان والرومان دار الوراق للطباعة والنشر الأردن 2014.
- تنمية القدرات وقهر الصعوبات (تنمية بشرية) دار الوراق للطباعة والنشر الأردن 2014.
- العدالة من المفهوم إلى الإجراء، دراسة في المنجز الفلسفي من السوفسطائيين حتى شيشرون، دار روافد وابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015 وبتصدير الأستاذ الدكتور على عبود المحمداوي أستاذ الفلسفة السياسية يجامعة بغداد...
- فلسفة القانون بين أفلاطون وشيشرون ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 2014.
- مدخل جديد إلى فلسفة القانون وإشكالياتها، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور مصطفى النشار، المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، 2016م.
- سقراط «اغتيال العقل» المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،2014.
- ترجم محاورتي «القوانين» و «الجمهورية» لشيشرون أثناء بحثه للدكتوراه وهما الآن قيد النشر...
- من النقد إلى فلسفة النقد «قراءة فى فكر مصطفى النشار» إشراف وتقديم الأستاذ الدكتور عصمت نصار وتصدير الأستاذ الدكتور حسن حنفى وإعداد وتحرير دكتور محمد ممدوح عبد المجيد... دار روافد وابن النديم، بيروت، لبنان2016م.
- المقاومة من النظرية إلى التطبيق «قراءة فى المنجز الفلسفى من السوفسطائيين حتى آرسطو» تصدير الأستاذ الدكتور مصطفى النشار، دار



- روافد وابن النديم، بيروت، لبنان 2016...
- العرب من الفناء إلى البقاء ...الحلم العربي واقعياً عند مصطفى
 النشار، نيو بوك، القاهرة، 2016م.
- المواطنة في الإسلام، المعضلات والإشكالات في واقعنا المعاصر، تصدير أ.د. مصطفى النشار، تقديم أ.د. محمد سعيد زيدان، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة2016م.
- ابن تيمية ظالمًا أو مظلومًا، تصدير أ.د. السيد عبد الرحمن، تقديم أ.د. محمد عمارة، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة 2016م.
 - التصوف...خلاص الإنسانية، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن تيميه، روابط للنشر والتوزيع،
 القاهرة، 2017م.
 - الحسين سيد الأحرار..... روابط للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.
- معراج السالكين ومنهاج الواصلين، دراسات محققة في التصوف، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مراجعة ودراسة د.محمد ممدوح عبد المجيد، نيو بوك، القاهرة 2016م.
 - ضد الإنسانية.....نيو بوك للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.
 - فلاسفة ملائكيون، روابط للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017م.
- کاتب عمود فکری بالعدید من الجرائد والمجلات مثل جریدة الأهرام المصریة و جریدة مصر الیوم والیوم السابع وجریدة الرؤیة الإماراتیة والوفد والمصریون ومجلة بلدنا ومجلة منبر الحریة والثقافة الجدیدة والرافد الإماراتیة والوعی الإسلامی الکویتیة.....
- کاتب مقال فکری أسبوعی بجریدة الرؤیة الاماراتیة صباح کل اثنین.
 - عضو الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة.....
 - مؤسس ورئيس جبهة: «إنسانيون بلا حدود»...

* * *



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- أ- المصادر العربية:
- 1- أفلاطون، محاورات أفلاطون [أوطيفرون الدفاع أقريطون فيدون]، ترجمة د. زكى نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترحمة والنشى، القاهرة، 1966م.
- 2- أفلاطون، محاورة المأدبة، ترجمة وليم الميرى، دار المعارف، القاهرة 1970م.
- 3- أفلاطون، محاورة الجمهورية، ترجمة ودراسة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م.
- 4- أفلاط ون، محاورة بروت اجوراس، ترجمها إلى الإنجليزية بنيامين جويت، تعريب محمد كمال الدين على، مراجعة د. محمد صقر خفاجة، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م.
- 5- أفلاطون، محاورة ثياتيتوس، ترجمة د. أميرة حلمى مطر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- 6- أفلاطون، محاورة فايدروس، ترجمة د. أميرة حلمى مطر، دار الثقافة، القاهرة، بدون تاريخ.

ب- المصادر الأجنبية:

- 1- Aristophanes: The clouds, trans by: R.levin, in Book (the question of sorates).
- 2- Plato: Axiochus, trans by: G.Burges "the works of plato " vol I, George Bell and sons, london, 1902.



3- Xenophon: Memorabilia of socrates, tran by: R.J.S. watson, in "socrat discourses" J.M.Dent 8, son LTD, london, 1951.

ثانياً: المراجع:

- أ- المراجع العربية والمترجمة:
- 1- آرسطو: السياسة، ترجمه إلى الفرنسية بارتلمى سانتهيلر، تعريب د. أحمد لطفى السيد- مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1947م.
- 2- آرسطو: دستور الآثينيين، ترجمة د. طه حسين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1914م.
- 3- النشار (د. مصطفى حسن): تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000م.
- 4- النشار (د. مصطفى حسن): فلاسفة أيقظوا العالم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1988م.
- 5- النشار (د. مصطفى حسن): مدخل إلى الفلسفة السياسية والاجتماعية، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2012م.
- 6- الخولى (د: هدى): الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، جامعة القاهرة 2012م.
- 7- الناصرى (د. سيد أحمد) / الإغريق تاريخهم وحضارتهم، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1977م.
- 8- الأهوانى (د.أحمد فؤاد): فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، القاهرة، 1954م.
- 9- اللاثرسى (ديوجينس): حياة مشاهير الفلاسفة، ج1، ترجمة وتقديم د. إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني محمد حمدى ابراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، القاهرة 2006م.



- 10- إبراهيم (د. زكريا): مشكلة الفلسفة، ضمن سلسلة مشكلات فلسفية، مكتبة مص، القاهرة، ب ت.
- 11- باركر (آرنست): النظرية السياسية عند اليونان ج1، ترجمة لويس اسكندر، مراجعة. د. محمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1966م.
- 12- بـدوى (د.عبـد الـرحمن): ربيـع الفكـر اليونـاني، ط5، وكالـة المطبوعات، الكويت 1979م.
- 13- برنز (دليل): المثل السياسية، ترجمة لويس اسكندر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1964.
- 14- توماس (هنري) أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة متري أمين، مراجعة د/ زكى نحب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة 1964.
- 15- تبلر (ألفرد إدوارد): سقراط، ترجمة محمد بكر خليل، مراجعة د/ زكي محمود - مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1962م.
- 16- جونز: الدموقراطية الآثينية، ترجمة عبد المحسن الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1976م.
- 17- ديورانت (ول): قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي)، ترجمة د/ فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط4، 1979م.
- 18- ستيس (وولتر): تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة / مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1984م.
- 19- كرم (د.يوسف): تاريخ الفلسفة اليونانية، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1953م.
- 20- زمرن (ألفرد): الحياة العامة اليونانية، ترجمة عبد المحسن خشاب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002م.
- 21- سارتون (جورج): تاريخ العلم، ج2، ترجمة لفيف من العلماء، إشراف د.



- إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- 22- ستون (آى اف): محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- 23- سباسن (جورج): تطور الفكر السياسى، ج1، ترجمة حسن جلال العروسى، دار المعارف، القاهرة 1954م.
- 24- كوبلستون (فريدريك): تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان والرومان) ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- 25- كيسيديس (ثيوكاديس): سقراط، تعريب / طلال السهيل، دار الفارابي للنشر، ط1، بيروت 1987م.
- 26- مطر (د.أميرة حلمى): الفلسفة عند اليونان، ط5، دار الثقافة، القاهرة 1986م.
 - 27- مكاوى (د.عبد الغفار): لم الفلسفة، منشأة المعارف الإسكندرية 1981م.
- 28- مكاوى (د.فوزى): تاريخ العلم الإغريقى وحضارته، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1999.
- 29- ميس (كورا): سقراط، الرجل الذي جرؤ على السؤال، ترجمة / محمد محمود، تقديم / حسن جلال العروسي، الأنجلو المصرية، القاهرة 1956م.
- 30- مراد (د.محمود) الحرية في الفلسفة اليونانية، دار الوفاء، الأسكندرية 1999م.
- 31- مرحبا (د. محمد عبد الرحمن): من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات، ط3، بيروت، 1982م.
- 32- ممدوح (د.محمد) فلسفة القانون عند اليونان والرومان، دار الوراق للطباعة والنشر، عمان، الأردن، 2014م.
- 33- مم دوح (د.محم د): فلسفة المقاومة في السياسة والقانون، دار روافد وابن النديم، بيروت 2015م.



- 34- ممدوح (د.محمد): سر السؤال السقراطي: بحث منشور في مجلة تطوير، جامعة سعيدة، الجزائر،2014م.
- 35- وورنر (ريكس): فلاسفة الإغريق، ترجمة عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985م.
- 36- وولف (فرانسيس): سقراط، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، يبروت، ط1، 1993م.
- 37- وافي (د.على عبد الواحد): الأدب اليوناني القديم، دار المعارف، القاهرة 1960م.

ب- المراجع الأحنية:

- Bony (M): The Medivel philosophy, Harvard 38-Univrtsity press, Macmillan, 1964.
- 39- Burnet (J): Greek Philosophy, thals to plato, Macmillan, London, 1968.
- 40- Cicero: De finibus, trans by: H.Rackham, Harvard University press, 1994.
- 41- Dodds (E.R): The Greek and the Irrational, University of California press, Berkeley, Los Anglos 1959.
- 42- Fuller (B.A.G): A history of philosophy. Oxford University. publishing co, colatta, 1955.
- 43- Guthrie (w.k.c): The Sophists, University press, Cambridge, New York, 1971.
- 44- Plutarch: Moralis, Translated into English by W.C. Helmbold, Harvard University press, London, 1993.
- 45- Seron (H.M): Socrat, the Great, Macmillan, cottd, London, 1959.
- 46- Zeller (E): Outlines of The history of Greek philosophy, trans by: L.R. plamet, 13 ed, Dover pubications inc, New york, 1980.



فهرس الموضوعات

3	الإهداء
7	على سبيل التقديم
17	الفصل الأول: الخلفية التاريخية
	چهید <i>.</i>
21	أولاً: البيئة الجغرافية
24	ثانياً: البيئة السياسية
	المزاج الآثيني
36	ثالثاً: البيئة الفكرية
51	الفصل الثاني: المعضلات الكبرى
	چهیدعهید
55	المعضلة الأولى: «حقيقة وجود سقراط»
55	أولاً: شهادة أرستوفانيس
67	ثانياً: زينوفون
69	ثالثاً: أفلاطون (427: 347)
73	المعضلة الثانية نبوة ســقراط
75	الدليل الأول: صوت الوحى
76	الدليل الثانى: الفلسفة الأخلاقية
	الدليل الثالث: عدم جزعه عند الموت
81	المعضلة الثالثة المنهج والغاية والسؤال
93	منهج سقراط الغايــــــة
	الســــــــــــــــــــــــــــــــــــ



99	المعضلة الرابعة المعرفة والفضيلة
	المعرفة
103	الفضيلة
	الثانية: الممارسة العملية للفضيلة
	الفصل الثالث: اغتيال سقراط
	 تمهید
	ثانياً: مراحل الأغتيال
	إفساد الشباب
	للذا يحاكم سقراط
	 ثالثاً: الاغتيال
	 ذاك هو سقراط!!
	الموقف الأخير
	الفصل الرابع: خلود سقراط
	 أولاً: خلود الروح
	ثانياً: المبادئ السقراطية
222	
243	الخاتمــــة
	المؤلف في سطور
	المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات